الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي يابس –سيدي بلعباس–

كليّة الآداب واللّغات والفنون

قسم اللغة العربيّة وآدابها

الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في الأدب العربي نظام ل.م.د

تخصص: الأدب الأندلسي في ضوء الدراسات الاستشراقية

إعداد الطالبة

➢ **بوزقاو مريم**

إشراف الأستاذ الدكتور:

➢ **صبار نور الدين**

لجنة المناقشة		
أ.د. بـــاقي محمـــد	جامعـــة ســـيدي بلعبـــاس	رئيســـــــــا
أ.د. صبارنور الدين	جامعة سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
أ.د. تاج محمد	جامعة ابن خلدون تيارت	عضوا مناقشا
د. عواد عبد القادر	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا
د.عبيد نصر الدين	جامعة سعيدة	عضوا مناقشا
د. بن منصور أمينة	المركز الجامعي بعين تموشنت	عضوا مناقشا

السنة الجامعية:2019-2020

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الخالص للأستاذ "صبار نور الدين"الذي ساندني بنصائحه وتوجيهاته فله مني كل الوفاء والتقدير.

الشكر لرئيس مشروع الأدب الأندلسي في ضوء الدراسات الاستشراقية "باقي محمد "فله مني كل الاحترام والتقدير.

كما أتوجه بالشكر إلى اللجنة المناقشة شاكرة لهم عناء القراءة والمناقشة معتذرة لهم عن كل خطأ وارد، فلا كمال إلا لله.

وإلى كل من ساهم في إنجاز هذا العملولو بالكلمة الطيبة

إهداء

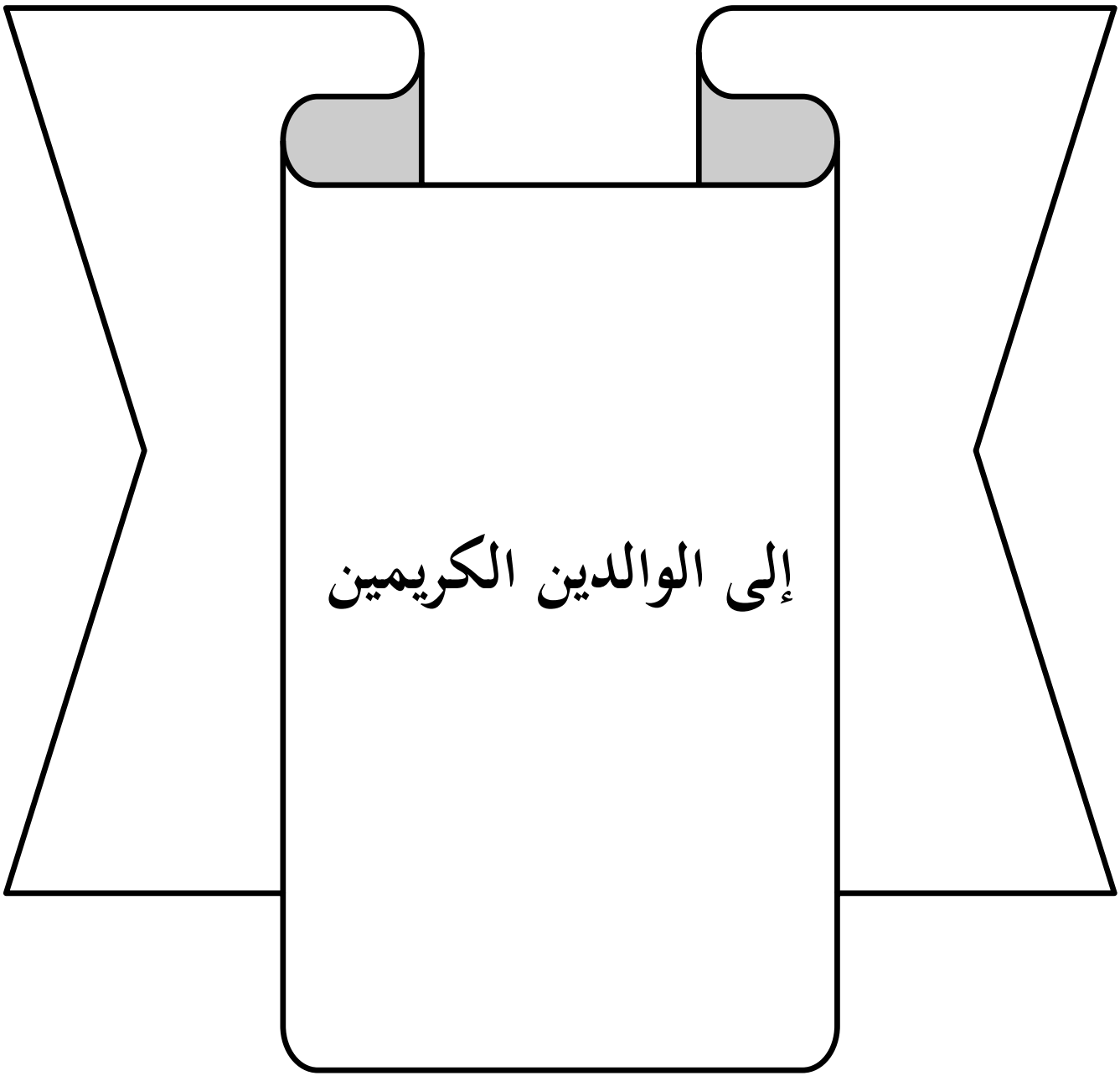

مقدمة

منذ بداية القرن العشرين ولع الغرب،بدراسة تاريخ العلم العربي الإسلامي ولهذا الولع جذور ترد إلى القرن العاشر الميلادي الذي شهد حركة الاستشراق الذي له إرهاصات قديمة في نشوءه فلقدمثل الاستشراق تيارا فكريا في الدراسات المختلفة، عن بلاد الشرق والبحث عن علومه وعقائده وآدابه وثقافته فأسهم في صياغة التصورات الغربية على العالم العربي والإسلامي، واحتل حيزا مهما من تاريخ البشرية ومن الحياة العربية الإسلامية، وكون عبر مختلف الحقب والأزمنة معلما رئيسيا في مجال الثقافة والأدب ونظرا للأهميةالبالغة لهذه الظاهرة وأبعادها الفكرية، التاريخية، وتأثيرها على ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا

تضاربت أراء الأدباء العرب، إتجاه الظاهرة وتباينت ردود فعلهم فانقسموا على أنفسهم بين الرافضين والمؤيدين للاستشراق، وأغلب هذه الآراء قائمة على مبررات تاريخية ومنطقية ومن هذا المنطلق دعتنا الضرورة والحاجة الملحة إلى الولوج لهذا الموضوع فجاءت صياغتة على هذا النحو"الاستشراق بين الرفض والقبول في الثقافة العربية"، وتبرز قيمة هذا الموضوع في الأثار التي خلفها الاستشراق على مفاهيم الفكر والأدب والقضايا الدينية والثقافية،ولأنه نتاج فكري تاريخي مشترك بين الغرب الأوربي المسيحي والشرق العربي الإسلامي ولعل أهم مادفعنا للخوض في مضمار هذا الموضوع هو محاولة سبر أراء النقاد العرب والمسلمين، والتطلع إلى أهم خلفياتهم الفكرية إذ أن لكل فريق ترسانة من المبادئ، والمرجعيات التي ينطلق منها لتبرير موقفه وعلى رأس هولاء الأدباء الدكتور علي بن ابراهيم النملة الذي خاض هذا المضمار وغاص في أعماق البحث في الاستشراق مبديا رأيه .

فقد تناول هولاء قضية الاستشراق في النشأة والهدف، والآثار لاسيما بما يتعلق بمصير الثقافة العربية وبناءا على كل ما تقدم حاولنا الإجابة على جملة من التساؤلات :

- ما الاستشراق، ومتى ظهر وما هي اتجاهاته؟
- إلى أي حد أثر الاستشراق في الثقافة العربية وعلى الرأي العام العربي الإسلامي؟
- ما هي مواقف المفكرين والمثقفين العرب اتجاه هذه الظاهرة؟
- كيف برر كل موقف وجهته، وماهي مبررات وأدلة كل فريق في الكشف عن تداعيات هذا التيار الاستشراقي؟
- كيف كانت رؤية علي بن ابراهيم النملة للاستشراق وماهي الأسس التي بنى عليها موقفه؟

وللوقوف على هذه الآراء والمواقف قسمنا بحثنا إلى ثلاثة فصول، لكل واحد منهم ثلاثة مباحثفالفصل الأول معنون بحقيقة الاستشراق عند العرب،وضحت فيه التأصيل التاريخي للاستشراق وماهية وإصطلاحا، وأهم الدوافع التى انطلق منها ولأجلها، وكذا أهم الأهداف التي خطط لها وأهم المدارس التي أنشئت في إثره، والوسائل التي اعتمد عليها، وكذا المراحل التي مر بها، وأثره على الثقافة العربية وحياتنا الفكرية والإسلامية،لاسيما اللغة العربية التي حظيت بكثير من الاهتمام، أما الفصل الثاني كان بعنوان "الاستشراق في رأي المؤيدين والرافضين "، بيّنت فيه موقف القبول المطلق إزاء هذه الظاهرة إلى حد يطالبون فيه بتغريب العالم العربي الإسلامي، تطرقت فيه إلى رأي طه حسين الذي يعد الابن البار للاستشراق، فلقد دعا لإتباعه والإيمان بأفكاره وأشرت في المبحث الموالي إلى رأي نجيب العقيقي الذي عنى عناية فائقة بالمستشرقين واعترف بدورهم في الكشف عن تراثنا العربي؛حتى أنه نسب نفسه إليهم، أما فيما يخص الرافضين، الذين لم يقبلوا أي إسهام للاستشراق، في الثقافة العربية من أناس لايدينون بالإسلام وينظرون إليه على أنه علم أوربي لايجوز قبوله، وهذا ما أشار إليه مالك بن نبي في كتابه إنتاج المستشرقين، أما فيما يخص رأي إدوارد سعيد فهو يرى أنه أسلوب غربي للسيطرة على الشرق.

أما الفصل الثالث دراسة تطبيقية لموقف علي بن ابراهيم النملة من خلال الرجوع إلى مجموعة من الكتب التي أنتجها، من بينها كنه الاستشراق، الاستشراق يبن منحيين النقد الجذري والإدانة...وغيرها، عالجنا في هذا الفصل نظرة علي بن ابراهيم النملة للاستشراق كمصطلح ومفهوم، مواجهة الاستشراق أوالرد عليه بما يطلق عليه، الاستغراب، علاقة الاستشراق بالتنصير من وجهة نظر علي بن ابراهيم النملة، كما ختمنا بحثنا بخاتمة خلصنا فيها إلى بعض النتائج .

ولعل من الواضح أن العنوان يستوجب في دراسته منهجا تاريخيا، ومنهجاوصفيا يعتمد الكشف والتعليق عن الجهود والآراء في هذا الميدان من طرف الرافضين والمؤيدين ولأنني بصدد تتبع هذه الظاهرة في مسارها التاريخي.

وقد اعتمدت على مجموعة من المصادر، والمراجع تفاوت استعمالها حسب أهميتها منها كتاب "فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي المعاصر"لأحمد سمايلوفيتش، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري لمحمود حمدي زقزوق، والاستشراق السلطة المعرفة الانشاء، لإدوارد سعيد، إنتاج

المستشرقين لمالك بن نبي، الإلتفات على الإستشراق ومحاولة التنصل من المصطلح والاستشراق السياسي لعلي بن ابراهيم النملة.

ومما يجد الاشارة إليه تلك الصعوبات التي حدت من تطلعي للأفق مثل ندرة المصادر الأصلية، التي تتعلق بالموضوع، فهي إن وجدت يتعذر الحصول عليها إضافة إلى أن الموضوع جد واسع يصعب الإلمام به.

وفي الختام أتوجه بخالص شكري وتقديري للأستاذ المشرف "**صبار نور الدين**"لما قدمه لي من توجيهات ونصائح، كما آمل أن يكون بحثي، فاتحا للأبواب والآفاق، أمام المهتمين بالبحث في الدراسات الاستشراقية بأفكار ومناهج جديدة مسايرة للتطور العلمي الدراسي.

بوزقاو مريم: تيارت في:2018/08/30

الفصل الأول
ماهية الاستشراق

أولا:مفهوم الاستشراق

أصبح موضوع الإستشراق والمستشرقين من المواضيع التي تشد انتباه علماء الإسلاموالأدباء والنقاد العرب ذلك أن الإستشراق أصبح اليوم علما له كيانه ومنهجه، فاتسعت حدوده وتداخلت مفاهيمه وتنوعت أفكاره لذا وجب على كل دارس وباحث أن يحدد مفهوم الإستشراق ويبين دلالاته.

تعددت التعريفات والمفاهيم لمصطلح الاستشراق **(Orientalisme)**إلا أنها تظل متقاربة ويطلق مصطلح الاستشراق، عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة.

1-تعريف الإستشراق (لغة واصطلاحا):

أ. **لغة:** الاستشراق كلمة مركبة وإضافة:"أ، س،ت" والتي تعني في قواعد اللغة العربية طلب الشيء، فالاستشراق إذن طلب الشرق وفي هذا يقول عبد المتعال محمد الجيري أن الاستشراق:"هو دراسة الشرق من حيث الأشخاص والهيئات والتيارات الفكرية والمذهبية في شتى صورها وأنواعها"[1]، والشرق كما جاء على لسان العرب لابن منظور في مادة شرق أن لفظة الاستشراق من الفعل الثلاثي شرق إذ نقول أشرقت الأرض إذ أنارت بإشراق الشمس[2]، وفي المعجم الوسيط "إن كلمة شرق أخذ بناحية الشرق تقابل الشمس شرقا وشروقا، إذ طلعت من الشرق"[3].

كما أن لفظة استشراق مولدة استعملها المحدثون من ترجمة كلمة **(Orientalisme)** ثم صاغوه من الاسم فعلا وقالوا استشرق في اللغات الأجنبية مرادف في الفعل العربي والجدير بالذكر أن الكلمة التي نبحث عن مقومها اللغوي لم ترد في المعاجم العربية المختلفة[4]، وفي موضع آخر نجد استشراق أي يستشرق، استشراق للأوربي الذي يهتم بالدراسات الاستشراقية[5]، وكلمة استشراق تعني تبني الأدب والسلوكيات

[1]- ينظر: عبد المتعال الجيرى: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مطبعة المدني، القاهرة، 1995، (ط1) ، ص: 13.

[2]- ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، (ط1)، ص: 914.

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، تج: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج1 (د.ط)، (د.ت)، مادة، شرق، ص: 469.

[4]- إسحاق موسى: الاستشراق نشأته وتطوره، أهدافه، مطبعة الأزهر، مصر، 1967، ص: 01.

[5]- ينظر: تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب: معجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والعلوم، الجامعة العربية، ص: 683.

الشرقية ودرس الشرق والبحث فيه[1]، وعلى هذا يكون الاستشراق حسب المفاهيم اللغوية هو دراسة الشرق أو العالم الشرقي.

ب. **اصطلاحًا:** إن كلمة استشراق تطلق عرفا على حركة ثقافية عرفتها أوربا خاصة في القرن الثاني عشر للميلاد، لكن لهذه الحركة جذورها المستمدة في الماضي[2] إلى أبعد حد، فهو ظاهرة تاريخية معقدة.

وعرف الاستشراق ادوارد سعيد "أن لفظ الاستشراق لفظ أكاديمي صرف والمستشرق هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه وكل ما يعلمه المستشرق يسمى استشراقا"[3]، لذا أصبح الاستشراق اليوم علما له كيانه ومدارسه وفلسفته، ودراساته، ومؤلفاته، وأغراضه وأتباعه ومعاهده، فصار حقا على الباحث أن يعنى بتحديد مفهومه والوقوف على معالمه البارزةوأفاقة ومظاهره وأطواره قبل البحث في أثاره وميادينه.

فالاستشراق بتعبير موجز:"دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته وآدابه وفنونه وعلومه وتقاليده وعاداته"[4]، لقد عرف الاستشراق بعدة تعاريف من طرف الباحثين العرب والمسلمين فعرفه حسن حنفي بقوله هو "تلك المحاولة التي قام بها ويقوم بها بعض مفكري الغرب للوقوف على معالم الفكر الإسلامي وحضارته وثقافته وعلومه، كما يطلق لفظ مستشرق على المفكرين المنشغلين بدارسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية"[5]، وفي موضع موضع أخر يقول أحمد غراب في تعريفه لهذا المصطلح "أن الاستشراق دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون من أهل الكتاب بوجه خاص، للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة، وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظما وثروات وإمكانيات بهدف تشويه الإسلام عليهم ومحاولة تشكيك المسلمين فيه وتضليلهم عنه وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية

---

[1]- ينظر: محمد محمد داود: المعجم الوسيط واستدراكات المستدركين، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007، ص: 120.

[2]- ينظر: عبد الله محمد الأمين النعيم: الإستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الوسائل 199 الجامعية، العدد 21، 1996، (ط1)، ص: 16-17.

[3]- Edward Said ،Orientalisme vintage books ،new York، 1979،P 20.

[4]- - محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986، (ط2)، ص: 11.

[5]- - تعريف حسن حنفي نقلا عن عقيلة حسن "المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي"، مؤسسة فؤاد بعنو للتجليد، دار ابن حزم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2004، (ط1)، ص: 31-32-33.

والموضوعية وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي"[1]، ومن هذا القول نستنتج أن الاستشراق من المصطلحات التي ارتبطت في أذهان وفكر ووجدان عموم العرب والمسلمين بأنه مظهر من مظاهر المكر والخداع ومؤازرة الاستعمار.

فالاستشراق "وسيلة لنقل حركة الفهم والفعل من الشرق إلى الغرب وقد ظهرت هذه الحركة الفكرية عن طريق ما يعرف بالمستعمرين الأوربيين الوافدين والمستعمرين بالأندلس بما لهم من ترجمة وشروح وتفسير وتوليف وتنسيب"[2].

لذا أصبح الاستشراق مصطلحا يطلق على الدراسات الغربية الأوروبية اتجاه العالم العربي الإسلامي.

فالاستشراق ظاهرة ثقافية غربية نشأت في الغرب أوربا أولا اتسعت بعد عبور الأطلس إلى أمريكا، وهي تحمل قيم الغرب ونظامه ومكونات ثقافته جميعا[3].

لقد اهتم الاستشراق بالعالم الإسلامي اهتماما بالغا وجعل قديمه وحديثه ركيزة بحوثه وعنايته، وسعى المستشرقون للانتفاع بعلوم العرب ومدنيته وحضارة الشرق من خلال كشف أثارهم وكنوزهم ودراسة لغاتهم الحية والميتة، وإحياء تراثهم وطبعه وإظهاره والانتفاع منه في مختلف مجالات الحياة، وبذلك صار الاستشراق علما قائما بذاته له مرتكزاته ومعالمه الواضحة.

أما بالنسبة للتعريف الغربي للاستشراق نأخذ بعض الآراء، يقول مكسيم رودنسون**(MaximeRodinson)**"إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق والحاجة ماسة لوجود متخصص للقيام على إنشاءالمجلات والجمعيات والأقسام العلمية"، وفي موضع آخر يرى رودي بارت **(Rudi Parte)** "أن الاستشراق علم يخص بفقه اللغة خاصة وهو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[4].

---

[1]– أحمد غراب: الاستشراق (رؤية إسلامية)، المنتدى الإسلامي، مطابع أضواء البيان، الرياض، ص: 07.

[2]– محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، سلسلة الدراسات نقد العقل التاريخي، الرباط، 1991، (ط1)، ص: 135.

[3]– ينظر: عصام سخنيني: المستشرقون ومصطلحات التاريخ الإسلامي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2007، (ط1)، ص: 21.

[4]– عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، مؤسسة فؤاد بعنو للتجليد، دار ابن حازم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004، ص: 31-32-33.

بالرغم من التباين في تحديد مفهوم الاستشراق بصورة ثابتة إلا أن المدلول الشامل لهذا المفهوم هو دراسة الشرق ومعرفته، وهو الجامع المشترك في كل الآراء التي تناقلت الاستشراق وتبينت معطياته ومجالاته.

غير أن مصطلح الاستشراق هذا أصبح فضفاضا نوعا ما، بعد دخول أوربا في العصر الحديث إثر الكشوفات الجغرافية والثورة الصناعية، إذ استولى الأوربيون مدفوعون بالنزعة الاستعمارية، على بلدان وراء البلدان العربية الإسلامية في كل من إفريقيا وأسيا، وادخلوا دراسات اللغات وحضارات شملت الهند والصين وغيرهم، ولهذا توسع مفهوم الاستشراق ليشمل كل لغات البلدان وحضاراتها[1]، فالاستشراق ليس مجرد بحوث أكاديمية أو دراسات بل إنه أبعد من ذلك، فهو نظرة إستراتجية لأهداف سياسية واقتصادية وثقافية ودينية.

[1]– ينظر: محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، كتاب عالم المعرفة، العدد 167، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، نوفمبر 1992، ص: 21.

ثانيا:التأصيل التاريخي للاستشراق

لا يكاد يجمع الباحثون على تحديد تاريخ معين لنشأة الاستشراق، ولذلك يصعب تحديد تاريخ معين لبدايته تبعا لاختلاف الباحثين في ذلك، لذا لا يوجد تحديد قاطع ودقيق لنشأة الاستشراق وبدايته المنظمة لنشاطه غير أن البعض يرى أن البداية الحقيقية لظهور الدراسات الاستشراقية كانت بعد أن فتح المسلمون اسبانيا وقيام الدولة الإسلامية في الأندلس التي أسست نهضة وحضارة عريقة إسلامية لم تشهدها أوروبا من قبل[1]، أي منذ منتصف القرن الثامن الميلادي فقد ازدهرت قرطبة وأصبحت منارة للعالم فتوافد عليها المستعربون وغيرهم من كل صوب وحدب.

فكان هذا المناخ بمثابة الإرهاصاتالأولية لظهور الاستشراق[2]، لهذا توافد الأوربيون إلى الأندلس لطلب العلوم ونقل المعارف واستكشاف الحضارة العربية "ولعل العمل العظيم الذي قام به المستشرقون هو ترجمة عدد كبير من الأعمال الأدبية والفلسفية والعلمية في التراث الأندلسي إلى اللغة الاسبانية بالإضافة إلى حشد كبير من الدراسات الجادة والتي كان من مآثرها اكتشاف التأثيرات الإسلامية في كوميدا دانتي"الإلهية على يد آسين بلاثيوس**(Ashn Placios)**ذلك الاكتشاف الذي هز العالم كله وحرك ضمير العرب لكي يضع الحضارة العربية موضعها من تاريخه[3].

لا يعرف بالضبط من هو أول غربي عنى بالدراسات الشرقية ولا في أي وقت كان ذلك ولكن بعض الرهبان الغربيون قصدوا الأندلس إبان عظمتها ومجدها، تثقفوا في مدارسها وترجموا القرآن الكريم والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على يد العلماء المسلمين في مختلف العلوم وخاصة في الفلسفة والطب والرياضياتيقول عمر فروخ"إن أوائل المستشرقين منذ القرن الرابع عشر هجري كان من الرهبان خاصة ذلك لأن العلم كان في ذلك الدور من تاريخ أوربا قاصرا على الرجال الكهنوت، فلا عجب إذ نحن قلنا أن جربرت **(Jerbrt)**الفرنسي الذي أصبح بابا باسمسلفستر الثاني (999هـ-1003م) كان أول المستشرقين

---

[1]- ينظر: محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1983، (ط1)، ص: 55.

[2]- ينظر: محمد ياسين عريبي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، ص: 142.

[3]- الأمير كوكاسترو: حضارة الإسلام في اسبانيا، تر: سليمان العطار، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م-1423هـ، (ط1)، ص: 06.

وأول بابا فرنسي يرقى سيادة الفاتيكان[1]،و كان إلى جانب جربرت دي اورليال **(Gerbert deorlial)**الراهب بطرس المحترم **(Pierrel Senera)** (1092م-1156م) وجيردي كريمون **(Gerrad cremone)**(1114م-1178م)"، وبعد عودة أولئك الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب ومؤلفات أشهر علمائهم، فأسست المعاهد للدراسات العربية وكانت أول مدرسة للدراسات الشرقية في أوربا هي التي تأسست في طليطلة سنة (1250م)وتدرس فيها العربية العبرية ومن أشهر خرجيها رايموندوس لوللوس **(Raymundus lullus)**الذي أتقن اللغة العربية وأنشئ الجامعات في الغرب فتم تأسيس أول جامعة في أوربا الوسطى في كراكو من مدن بولندا (1369م) وبعد أربع سنوات أنشئت جامعة فينا وهي أول جامعة ألمانية[2]، ومع ذلك هناك من يؤرخ لبدء وجود الاستشراق الرسمي على قرار مجمع فينا الكنيسي الصادر عام (1316م-733هـ) الذي نص على إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية فقد أصدر قرار المجمع العام للكنائس المنعقد بفينا الداعي إلى دراسة العبرية والعربية والكلدانية في جامعات روما وإكسفورد فقد كانت هذه اللغة في وقتها كالانجليزية اليوم لغة الرقي والمدنيةبوابة الخلاص من الجهل والتخلف إلى بهو النور والمعرفة[3]، وأيا كان الأمر فإن حركة الاستشراق قد انطلقت بباعث ديني يهدف خدمة الاستعمار وتسهيل عمله ونشر المسيحية.

وتعزز طائفة كبيرة من الباحثينبداية الاستشراق "إلى الحروب الصليبية التي دامت قرابة القرنين (1907م-1295م) قد كان للكنيسة المسيحية أطماع حقيقة تركتها أحقاد دفينة ضد الإسلام والحضارة العربية"[4]، فقد انتقل التراث الإسلامي إلى أوربا عن طريق الحروب الصليبية التي أذكت الحركة التجارية والثقافية بين الشرق والغرب إذن فالحروب الصليبية هي البداية الحقيقية والاحتكاك الفعلي بين المسلمين والنصارى الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولة التعرف على المسلمين.

---

[1]- عمر فروح: بحث الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، العدد 1، ص: 45.

[2]- محمد كامل عباد: صفحات من تاريخ الاستشراق، مجلة العلمي العربي، ج1، 1960، ص: 344- 375.

[3]- يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، نقله إلى الألمانية عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، 2001، (ط1)، ص: 10.

[4]- ينظر: عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق في الصراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، 2013، (د ط)، ص: 27.

إذن فالمستشرقون هم جماعة من المفكرين الغربيين المتخصصين في دراسة شؤون الشرق وأحوالالأمم فيها وعاداتها وعلومها وأديانها "بالإضافة إلى افتتان هؤلاء بسحر الشرق وجماله وحب الاكتشاف والمعرفة، الأمر الذي دفع المستشرقين إلى الوفود إلى الشرق والإطلاع على كل شيء فيه"[1].

فبدايات الاستشراق بدأت تظهر بشكل فردي وتدريجي من طرف أفرادأوربيين ورهبان ورجال دين ومعاصرين استهوتهم الدراسات الشرقية وأحلام الشرق[2]، إلا أنه تطور وأسست له المدارس والمعاهد والمؤتمرات والندوات وأصبح تحت مضلة الإستشراق،الجندي، العالم، الباحث، الطالب، والسائح...إلخ.

وفي الأخير يمكن حصر أراء الباحثين في تاريخ الاستشراق في النقاط التالية:

– يرجع بعض الباحثين نشأة الاستشراق إلى أواخر القرن السابع الميلادي ويستندون في ذلك إلى كتابات بعض النصارى عن الإسلام مثل: "يوحنا الدمشقي*" الذي كان هدفه إرشاد النصارى في جدل المسلمين في كتب معنون "حوار بين مسلم ومسيحي"[3].

– ذهب أحمد سمايلوفيتش أن حركة الاستشراق قد نشأت في القرن الثامن ميلادي في الأندلس[4].

– هناك من يقول أن الاستشراق نشأ في القرن الثاني عشر ويستدل على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي تتمثل في أول ترجمة لمعاني القران الكريم، وكذلك ظهور أول قاموس لاتيني عربي[5]، وأخيرا فإن بعض الباحثين يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر متخذا من حملة نابليون على مصر نقطة انطلاق الحركة الاستشراقية ويتبين في هذا الفقرة الموالية تطور حركة الاستشراق في مرحلتين اثنتين:

1– المرحلة الأولى: تلك الحقيقة التي تبدأ من القرن الثامن ميلادي وتستمر حتى النهضة الأوربية الحديثة وفيها احتكاك الإسلام بالعرب سياسيا وعسكريا وأسس مراكز حضارته في جنوب أوربا وجنوبها الغربي ووقف منها موقف المعلم يلقنها حضارة حفية الجوانب كثيرة الروافد، امتزج فيها تراثه العربي بتراث

---

[1]–سالم المعوش: الأدب العربي الحديث "نماذج ونصوص"، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، (ط2)، ص: 111.

[2]– ينظر: الطيب ابن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص: 34.

[*] – **يوحنا الديمشقي**: هو حفيد منصور بن سرجون وزير معاوية ابن سفيان عاش ما بين 676م–749م، ينظر: محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، بيروت، 2002، (ط2)، ص: 24.

[3]– ينظر: المرجع نفسه، ص 24.

[4]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 70.

[5]– ينظر: مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1984، ص: 17–18.

الفرسوالهند واليونان وغيرهم من الأمم التي دانت لسلطانه وكان موقف أوربا من ذلك الدور أشبه موقفنا نحن من الحضارة الغربية.

1-2- المرحلة الثانية: منذ أوائل النهضة الأوربية حتى القرن الحالي وفيه ظهر أثر الفكر الإسلامي واضحافي الفكر الغربي لاسيما أدبائها[1]، وأخص بالذكر الفرنسيين الذين بمجرد أن وضعوا أيديهم على المؤلفات العربية فأسرعوا بالتعرف عليها ونقلها إلى بلادهم[2]،فترجمت روائع الأدب الشرقي مثل ألف ليلة وليلة كما أخذت المدارس الغربية تدرس مؤلفات العرب المترجمة إلى اللاتينية واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على الكتب وتعتبرها المراجع الأصلية للدراسة، قرابة ستة قرون، ومنذ القرن الخامس عشر وربما قرن قبله أخذت الأمم الأوروبية تبتاع بواسطة وكلائها وقناصلها وتجارها في الشرق مخطوطات عربية تزين بها قصور ملوكها وإداراتها ودور العلم بها.

يقول عمر فروح"ومن القرن السادس عشر للميلاد بدأ الاستشراق بالمعنى المقصود عندنا لأنهم بدأوا بالاهتمام باللغات الشرقية والتركية خاصة الاهتمام بجميع المخطوطات العربية[3]"، فظهرت صورة العرب والمسلمين تتجلى بشكل واضح في أفكارالأوربيين وتأسست المطابع العربية في مدن أوروبية كثيرة بدأت بنشر كتب التراث العربي كما ترجم القرآن الكريم إلى ترجمات كثيرة أولها في البندقية سنة (1593م) وطبع الكتاب العربي الذائع الصيت نزهة المشتاق باختراق الأفاق للإدريسي وكتاب القانون في الطب لابن سينا[4]، فاهتمام المستشرقين منذ زمن طويل بجمع المخطوطات العربية يدل على وعيهم التام بقيمة هذه المخطوطات التي ستكون عونا للباحثين الأوربيين، من المستشرقين وغيرهم في الأيام القادمة.

وعند قيام الثورة الصناعية اشتدت الحاجة أكثر من قبل للاطلاع على آداب العرب وغيرهم من أمم الشرق، فدخل علم المشرقيات في طور العلوم المنظمة منذ أواخر القرن الثامن عشر، وهو العصر الذي بدأ فيه الغرب في استعمار العالم الإسلامي، والاستيلاء على ممتلكاته وأكدت بعض الدراسات أنهم استولوا على ما يقارب مئاتا وخمسون ألف مجلد، ومازال العدد يتزايد حتى اليوم.

---

[1]- محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، (د ط)، (د ت)، ص: 41-42.

[2]- عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت، ص: 10.

[3]- ينظر: عمر فروح: الاستشراق بحث المستشرقون ما لهم وما عليهم، ص: 45.

[4]- ينظر: عادل الالوسي: التراث العربي والمستشرقون -دراسة عن ظهور الكتاب العربي، ونفائس الكتب العربية الي طبعت في الغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، (ط1)، ص: 15.

وفي القرن التاسع عشر اشتدت حركة الاستشراق لقيام الحكومات الغربية بتأسيس مدارس تعلم لغات الشرق ليسهل عليها حكم مستعمراتها، فازداد شعور الأوربيين بمعرفة الشرق العربي والاطلاع على ثقافته ودراسة علومه[1].

لقد كرس عدد كبير من المستشرقين حياتهم للبحث والكشف عن ذخائر التراث العربي ونأخذ على سبيل الذكر المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي**(Ignati Kratchkovski)**"الذي تناول جميع أطراف الحضارة العربية بالدرس والاستقصاء، واهتم بجميع مظاهرها الكبيرة والصغيرة"[2]، إضافة إلى هذا فقد أنشأت الجمعيات والمجلات الأسيوية، وعقدت المؤتمرات الشرقية التي تضم أعضاء أقطاب المستشرقين وتشجع الحركة تشجيعا قويا وحينها بدأت تظهر الكتب الأوربية عن الإسلام وتاريخه، والترجمات المختلفة للقرآن وأسست الجمعيات ثم بدأت سلسلة من المؤتمرات الدولية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ميلادي ثم انتقلت إلى دراسة الأمم الإسلامية في نهضتها الحديثة إلى وقتنا الحاضر[3]، كان المنهج في دراسة التاريخ العربي تتنازعه عوامل شتى كالعوامل القومية والدينية والسياسية والنفسية والتي كانت تأثر في عملية تحليل الخبر التاريخي وتفسيره، وتأويله من قبل المستشرقينرغم اختلاف جنسياتهم[4]، أي أنهم كانوا يجتمعون، في اتخاذ قراراتهم على أي شيء يخص العالم العربي الإسلامي.

إذن الاستشراق في أول العهد كان مدفوعا بتحدي الإسلام أما فيما بعد فقد أصبح الدافع إليه إخضاع الشعوب الإسلامية والإسلام بمن فيهم العرب[5]، وفي الحقيقة لم يتطور الاستشراق إلا بتأثير الاستعمار لأجل تحقيق أغراضه السياسية والاقتصادية، فقد أدركت الدول الاستعمارية أن الدراسات الشرقية التي قامت بها مسبقا يمكن الاستفادة منها في معرفة عقلية الشعوب الشرقية للسيطرة عليها.

---

[1]– عادل الالوسي: التراث العربي والمستشرقون، ص: 15.

[2]– اغناطيوس كراتشكوفسكي: أدب التاريخ والجغرافيا عند العرب، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيفور بليا يف، قسم الأول جامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ص: 03.

[3]– ينظر: عمر فروح: الاستشراق بحث المستشرقون ما لهم وما عليهم، ص: 45.

[4]– ينظر: عادل الالوسى: التراث العربي والمستشرقون، ص: 17.

[5]– لويس نافع: حضارة أوربا، تر: ميشل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979، (ط1)، ص: 19.

ثالثا:دوافع الاستشراق

الاستشراق بوجه عام ومن خلال دراساته العربية والإسلامية، له دوافع متفاوتةشدّة وضعفا، فقد كان للمستشرقين عناية كبيرة بالإسلام والآداب العربية، فقد اتسمت بعض هذه الدوافع بأهداف تبشيرية بينما اتجه البعض الأخر بغرض استعماري وخلص القسم الثالث إلى اتجاه علمي ومع هذا فهناك دوافع أخرى.

ركز الاستشراق محاوره على حضارة العرب والإسلام"لأنهم انتبهوا أن الحضارة العربية وعملوا على إقامة صرح حضاري كصرحها واضطروا في سبيل تحقيق ذلك إلى الاستعانة بعلومها وفنونها وهيؤا لهذا التذوق آدابها ومحاولة محاكاتها"[1]، إن اهتمام أوربا بالعالم العربي الإسلامي كان سببه وجود بواعث ودوافع نفسية واجتماعية وسياسية ونبدأ بأول هذه الدوافع:

1- الدافع الديني:

لقد كان الدين الإسلامي يمثل مشكلة طويلة المدى بالنسبة للعالم المسيحي في أوربا على المستويات كافة، وتخوفوا من انتشاره السريع في العالم الغربي لذا جهزوا أنفسهم وعمدوا إلى إضعاف الدين الإسلاميبكل الوسائل، ولقد اعتبر محمد البهي "إن اهتمام المستشرقين كان منبعه الدافع الديني، وذلك أن الحروب الصليبية تركت في نفوس الأوربيين أثارا مرة وعميقة فظهرت حركة الإصلاح الديني المسيحي فدفعت البروتستانت والكاثوليك إلى إعادة النظر في شرح كتبهم فاتجهوا إلى الدراسات العربية والإسلامية إضافة إلى رغبتهم في التبشير بدينهم بين المسلمين فاقبلوا على على الاستشراق ليتسنى لهم تجهيز الدعاة وإرسالهم إلى العالم الإسلامي وذلك للسيطرة على العقلية الإسلامية لهذا تبين لنا أن الاستشراق في أول أمره نشأ على أكتاف المنصرين والرهبان تم اتصل فيما بعد بالاستعمار[2].

إذن فالاستشراق كانت غايته الهجوم على الدين الإسلامي وعقيدته وعباداته وأحكامه وتصويره على أنه دين القتل وسفك الدماء والشهوات كل ذلك من أجل التغطية على فشل الكنيسة فهيأت لهذا الجمعيات النصرانية التي كانت من أهم أهدافها تحويل المسلمين عن دينهم في الأحكام والأخلاق والمعاملات اهتمالمستشرقون بالدين الإسلامي" فأنشأ القسيس صمويل مارينوس زويمر **Samuel**

[1]- محمد مفيد الشوباشي: رحلة الأدب العربي لأوربا، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ص: 21.

[2]- عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص: 13.

(Marinus Zwemer)مجلة العالم الإسلامي ليعرف أبناء المسيحية أخبار العالم الإسلامي بطريقة محرفة مبدلة، ليس هذا فحسب بل نجد جولدتسيهر**(Goldziher)** يكتب عن القرآن والحديث النبوي ويتمثل هذا في كتابه مذاهب التفسير الإسلامي[1] ركز المستشرقون على الكتب ذات الشأن في الدين الإسلامي والمسيحي وحتى علوم التاريخ واللغة.

كما كان همهم الطعن في الإسلام وتشويه حقائقه والتشكيك في قيمه لإثبات فضل اليهودية عليه، والادعاء بأنها هي المصدر الأول للإسلام، ولقد انصب اهتمام المستشرقين على هذا الدافع بسبب ما تركته الفتوحات الإسلامية ثم الحروب الصليبية ثم الفتوحات العثمانية في نفوس الغربيين من خوف من قوة الإسلام، وكره لأهله فاستغلوا هذا الجو وازدادوا نشاطا في الدراسات الإسلامية[2].

وبناءا على ما سبق فالاستشراق سعى إلى إفساد صورة الإسلاموالتشكيك في صحة الرسالة المحمدية، وفي صحة القرآن الكريم والطعن فيه، والتقليل من قيمة الفقه الإسلامي وأنه مستوحى من الفقه الروماني، وكذا الأحاديث النبوية...الخ.

فالهدف الاستراتيجي الديني من حملة التشويه ضد الإسلام هو حماية أوروبا من قبول الإسلام بعد أن عجزت، عن القضاء عليه من خلال الحروب الصليبية.

2- الدافع الاستعماري:

هناك ارتباط وثيق بين الاستشراق والاستعمار هذا يمثل هذا وصورة الاستعمار تتجلى بصورة واضحة في الحروب الصليبية، والواقع أن الاستعمار توجه إلى دراسة هذه البلاد في كل شؤونها من عقيدة وعادات وأخلاق ليتعرف على مواطن القوة فيضعفوها وعلى مواطن الضعف فيغتنموها و"لما تم لهم الاستيلاء العسكري والسياسي قامت بتشجيع الحركة الاستشراقية لإضعاف المقاومة الروحية والمعنوية في نفوسنا، وذلك عن طريق التشكيك في التراث والعقيدة والقيم الإنسانية فنفقد الثقة بالنفس، ونرتمي في أحضان الغرب"[3].

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير، ص: 16.

[2]- ينظر: علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأديان العربية، دار فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1993، ص: 34-35.

[3]- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار الوراق للنشر والتوزيع، بيروت، 1999، (ط1)، ص: 22.

ومن الملاحظ أن الاستشراق هدف إلى زعزعة ثقة المسلمين من خلال الطعن في العقيدة والشريعة والعقائد والمبادئ الأخلاقية الإسلامية ومنه فالاستشراق "استطاع أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين ونشأت بذلك رابطة رسمية وثيقة بين الاستعمار والاستشراق، ومن الأمثلة الضاربة في ذلك فرنسا فجعلت مستشرقيها يعملون وزراء ومستشارين في المستعمرات الفرنسية في العالم العربي والإسلامي فالمستشرقين في جمهورهم لا يخلوا أحدهم من أن يكون قسيسا أو استعماريا أو يهوديا"[1]، إذن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة.

بناءا على ما سبق فقد انطلق المستشرقون في دراستهم للإسلام من منطلقين كان لهما الأثر في توجيه الدراسات الاستشراقية.

المنطلق الأول: النزعة الصليبية التنصيرية التي خيمت على أذهان المستشرقين وغطت على أفكارهم فجاءت دراساتهم في ثوب تنصيري، فقد ارتبط الاستشراق في جميع مراحله ارتباطا وثيقا بالمؤسسات الكنيسية التنصيرية.

أما المنطلق الثاني: النزعة الاستعمارية السياسية المادية التي تهدف إلى بث النفوذ الغربي على البلدان الإسلامية، نهب خيراتها وثرواتها.

3- الدافع العلمي: هناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى الشرق (العالم الإسلامي) نتيجة الانبهار بالحضارة والتاريخ الإسلاميين، وكذا العقيدة الإسلامية التي بنيت على التسامح مع الآخرين وفي هذا تقول فاطمة هدى نجا "منذ أواخر القرن الحادي عشر وحتى السابع عشر ميلادي وحتى اليوم، ظهر نفر قليل جدا من المستشرقين أقبلوا على الدراسات الاستشراقية بدافع من حب الاطلاع والبحث والتمحيص على حضارات الأمم وأديانها وثقافاتها ولغاتها وبالأخص دراسة الدين الإسلامي والتراث العربي والإسلامي"[2].

فهذا هو الدافع الوحيد نحس بالأمان اتجاهه لأنهم أعجبوا بالإسلام ورأو نور الحقيقة فمنهم من أسلم وخدم العقيدة الإسلامية ومنهم من أخذت كتاباتهم تجنح، نحو العلمية والعمق والصدق في القول بدلا من السطحية والكذب فلم تكن غايتهم المضرة بالإسلام، وعليه فما كان لأوربا أن تنهض نهضتها

[1]- ينظر: فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ص: 65-66-67.

[2]- المرجع نفسه، ص: 71.

دون أن تأخذ بأسباب ذلك هو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية لكن هذه الدراسات والبحوث كانت علمية خالصة تتجرد من الهوى والتعصب.

4- الدافع السياسي:

إن الأهداف السياسية هي جزء لا يتجزأ عن الهدف الاستعماري فقد سعى الغرب إلى فرض سياسته على البلاد العربية والإسلامية، واتسعت سياستها باتساع، رقعة الاستعمار الغربي وقد اتجهوا في هذه الناحية إلى معرفة العادات السائدة واللهجات العامية وطبائع الناس لتسهيل الأمر عليهم[1].

فقام المستشرقون بأمور كثيرة منها نشر المسيحية أولا "أوصى المؤتمر بإنشاء فروع لجمعيات التبشير، تقوم على إعداد متطوعين للتبشير بالمسيحية في العالم الإسلامي، والإكثار من الإرساليات الطبية ومستشفياتها على جميع المستويات فالاستشراق عمل كنيسي في ذروة الأعمال التي تنفق عليها الكنيسة، كما أنه في نفس الوقت في ذروة الأعمال التي تهتم بها الدول ذات الأغراض والمطامع السياسية والاقتصادية"[2]، وهذا الدافع مازال في عصرنا الحاضر حتى بعد استقلال الدول العربية والإسلامية فرجال السياسةهم الذين يخططون ويتدارسون الأوضاع، حيث أن في كل سفارة من سفارات الدول الغربية لدى الدول الإسلامية سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن الثقافة واللغة العربية، ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والسياسة والصحافة، ليتعرف على أفكارهم ويبث فيهم اتجاهاته السياسية[3]، فالدافع السياسي هو الوسيلة الجيدة لتسهيل وتسيير خطط الدافع الاستعماري.

كما توجد دوافع أخرى ليست بمثل أهمية الدوافع السابقة، لكن لها أثر في تنشيط الاستشراق وهي الدافع التجاري والاقتصادي وبتالي تسهيل عملية التطور العلمي والنفسي والتكنولوجي والصناعي، كل هذا التطور فقد أدركت الدول الغربية أن العالم الإسلامي العربي منطقة زاخرة بثرواتها وخيراتها فأخذت تدعم مصانعها وشركاتها عن طريق "الاتصال المباشر مع العالم الإسلامي اقتصاديا، ذلك باستيراد ما تفتقر من المواد الخام الطبيعية وبأسعار زهيدة حفاظا على مستوى التصنيع والتقنية، عندهم وإبقاء مستوى

[1]- فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص: 71.

[2]- ينظر: عبد المتعال محمد الجبري: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، ص: 113-122.

[3]- ينظر: مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، ص: 23-24.

التراجعوالتخلف في منطقتنا الإسلامية التي كانت مهدا للصناعات والاختراعات وجعلها منطقة استهلاك فحسب، وبذلك يتم القضاء، كليا على الصناعة الوطنية المحلية"[1].

وتؤكد فاطمة هدى نجا أن هناك ارتباط وثيق بين مصالح الغرب واهتماماته ودعم الحركة الاستشراقية، وهذا يجعل استمرار الاستشراق متوقفا على استمرار الدعم المالي الذي تقدمه الحكومات والهيئات المختلفة، واستمرار الدعم المالي يتوقف على مدى تشبث الغرب بمصالحه في العالم العربي الإسلامي[2]، وبناءا على ما سبق يتضح لنا أن الغرب يحتضن هذا التيار، فالحاجة إليه في الغرب ستبقى قائمة بل وستزداد مع مضي السنون، فلا يستطيع الاستشراق المضي بدون بنزين يزوده ويواصل به الطريق ثم تأتي دوافع أخرى ناتجة عن البواعث النفسية والشخصية والتاريخية والإيديولوجية.

واليوم ونحن في بداية القرن الثاني وعشرين ميلادي نرى أن الحركة الاستشراقية، لاتزال متماسكة منظمة وقوية وفي مبادئها فمازالت لحد اليوم، تزاول أعمالها وتؤسس الجمعيات وندوات ومؤتمرات داخل أوربا وخارجها فإن المعاهد والجامعات الأوروبية لا سيما الأمريكية منتشرة اليوم في أغلب بلدان العالم وخاصة بلدان الشرق الأوسط لذا فقد نبه العديد من الباحثين إلى ضرورة استيعاب التيار الاستشراقي، الذي غزا حياتنا ودمر معالم حضارتنا بشتى أنواع الدمار.

وفي المحصلة يتبين لكل باحث في مجال الاستشراق أن الهدف الديني كان وراء نشأة الاستشراق، فالاستشراق في الإرهاصات الأولى بدا مع القساوسة والرهبان سعيا لنشر النصرانية والقضاء على الإسلام، والواقع على حد قول فاطمة هدى نجا:"أن المستشرقين يعمدون إلى تطبيق المقاييس النصرانية على الدين الإسلامي"[3].

والاستشراق في مراحله جميعها قد ارتبط بمؤسسات تبشيرية وأغراض استعمارية ومسؤوليات دولية أجنبية، لم تخف على أحد الباحثين المتتبعين[4].

لا ريب أن الاستشراق في مجال العقدي يعمل على هدم الإسلام والقرآن، وفي المجال السياسي يعمل على هدم الأمة العربية واللغة العربية فلقد ركزوا على اللغة العربية "تمثل اللغة في الأمة الناطقة بها

---

[1]- فالح بن محمد فالح الصغير: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، (دط)، (دت)، ص: 11.

[2]- فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص: 52.

[3]- المرجع نفسه، ص: 13.

[4]- نذير حمدان: الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، 1986، (ط1)، ص: 35.

الصورة التعبيرية الثابتة لثروتها الدينية والفكرية والحضارية، فهي تعبير عن مشاعر الأمة وآدابها ومنتجاتها فاللغة هي الجزء المشترك في كيان الأمة، والأداة الوحيدة المعبر عن الفكر والنفس والوجدان[1]، ونتيجة لهذا الكلام فقد كانت اللغة العربية ومازالت محط أنظار المستشرقين وهدفهم الأساسي، لأنها متصلة بالدين الإسلامي ولأن القرآن الكريم نزل بها لذلك فهم يواجهونكل قواهم وأسلحتهم لصد الشعوب الإسلاميةعن اللغة العربية الفصحى.

[1]- ينظر: فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق ص: 208.

رابعا : وسائل الاستشراق

توطئة:

لقد حدد الاستشراق منذ نشأته دوافعه التي وان اختلفت شكلا فهي تتفق جوهرا فمن دافع تبشيري استعماري إلى دافع اقتصادي سياسي إلى دافع علمي ثقافي، إلا أن الموضوعية كانت قليلة بالمقارنة مع حجم الدراسات الكثيرة المنجزة، ومن أجل أن تتحقق هذه الأهداف وتتطور هذه الدوافع اتخذ الاستشراق جملة من الوسائل من بينها:إنشاء الجمعيات العلمية الاستشراقية،جمع المخطوطات وفهرستها تأليف المعاجم والموسوعات ودوائر المعارفوترجمة الكتب.

1- إنشاء الجمعيات العلمية الاستشراقية:

منذ أواخر القرن الثامن عشر، فلقد أصبح تأسيسها واجبا وضرورة لايمكن الاستغناء عنها، لدى المستشرقين في عموم الدول الغربية، فساهمت بدورها في جمع جهود المشتغلين بالدراسات الاستشراقية، "كانت بمثابة نقطة الانطلاق الكبرى للإستشراق حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والادارية والمالية، فأسهمت جميعها اسهاما فعالا في البحث والاكتشاف والتعرف على عالم الشرق وحضارته، فضلا عما كان لها من أهداف استغلالية واستعمارية"[1]، فكان لهذه الجمعيات أثر بالغ الأهمية في تكوين صورة الشرق عند الغرب، ومعرفة أحواله ومساره التاريخي وجغرافيته ولغاته وعاداته السائدة.

ويرجع تأسيس"أول جمعية لدراسة الشرق إلى عام (1778م) حيث ولدت في هولندا، الجمعية البتافية للعلوم والفنون، وأعقب ذلك ميلاد جمعية البنغال الآسيوية الملكية في كلكتا عام (1784م)،وتلاها ظهور الجمعية الاستشراقية الأمريكية، عام (1842م)،أما في ألمانيا فأنشأت عام (1845م)، الجمعية الشرقية الألمانية"[2]، فهذه الجمعيات وغيرها كانت بمثابة ركائز ودعائم للتيار الاستشراقي، لم تتوقف حركة الاستشراق عند هذا الحد، بل ظهرت الجامعات والمعاهد المختصة، في هذا الشأن وكان هدفها "إنتاج معرفة متصلة بالشرق والعالم الإسلامي، منه على وجه التحديد، وعملت على تخريج البحوث والدراسات والمناقشات، التي كانت نتاج الاتصال المباشر بالشرق"[3]، فقد كانت الجامعات الغربية والمعاهد متخصصة

[1]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي المعاصر، ص: 81.

[2]- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج3، دارالمعارف، (ط4)، ص: 600.

[3]- عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، 2013، ص: 42.

تهتم بالدراسات الشرقية، حول القرآن الكريم والسيرة النبوية والفلسفة والتاريخ الإسلامي والسياسة وعلم الاجتماع اتسعت مجالات الاستشراق، وأخذت تشهد إنعقاد المؤتمرات الدولية "وقد احتضنت فرنسا أولها (1873م)،وصارت بذلك باريس عاصمة الاستشراق، وأخضع الاستشراق للإمبريالية والعرقية والماركسية وغيرها، غير أنه أصبح يملك منطلقات للبحث وجمعيات علمية ومؤسسات خاصة، نمت عدد كراسي الأستاذية في الدراسات الشرقية عبر عدد من دول الغرب، مما أتاح مجالا واسعا لنشر الدراسات الأكادمية"[1].

2- المؤتمرات والندوات العلمية والمخطوطات:

إذن عقد المستشرقون العديد من المؤتمرات والندوات العلمية حول الاستشراق، وكانوا يتوافدون عليها من كل مكان والهدف واحد هو تنسيق الجهود وتبادل المعارف حول الشرق والعالم العربي الإسلامي إضافة الى الجامعات والمعاهد فكانوا يلقون محاضرات في الجامعات والتجمعات العلمية، ويترددون على الجامعات بالدول العربية لإلقاء المحاضرات ولقاء الباحثين والمناقشة معهم في بعض المجالات العلمية جمع المخطوطات العربية وفهرستها، فلاتخلو مكتبة أو مركز علمي بأوربا من المخطوطات العربية الهامة، في مختلف العلوم والفنون وتحصلت عليها أوربا أما عن طريق الشراء والأخذ بالقوة، والسرقة لاسيما في الحروب.

أما فيما يخص المخطوطات الجزائرية فيقول أبو القاسم سعد الله، أن أغلبها صودر عن طريق الاستعمار الفرنسي "لكن أغلبه قد اشتراه المستشرقون، أيضا من ورثة هؤلاء العلماء الذين كباهم الزمن، فأصابهم الفقر بعد الغنى والذل بعد العز، وهكذا تفرقت مصادر تاريخ الجزائر الثقافيفي عواصم أوروبا (برلين لندن، باريس، وغيرها)[2].

ولج المستشرقون أبواب المخطوط العربي فأفاضوا عليه تحقيقا وتعليقا ونشرا، وكان لهم دور كبير مهم،في نقل المخطوطات من العالم العربي إلى أوربا والعكوف على قرائتها، وكان هذا العمل مبنيا على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل إرثا حضاريا وثقافيا[3].

---

[1]- سعد بوفلاقة: الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد 03، 2005، ص: 122.

[2]- أبو القاسم سعد الله، من تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص: 23.

[3]- ينظر: عادل الألوسي، التراث العربي والمستشرقون، ص: 17.

فلم يكن عمل المستشرقين مقتصرا على اقتناء المخطوطات وملء رفوف المكتبات بها بل انتشرت في أوربا حركة نشيطة لتحقيق المخطوطات والعرض، وكذا الاطلاع أكثر على تراث المسلمين، كما حققوا القرآن الكريم وفهرسوه في عدة فهارس وكتب أما فيما يخص الأحاديث النبوية "عملت كوكبة من المستشرقين لأكثر من ثلاثة عقود على جمع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي الشريف الذي يشمل كتب الحديث السته المشهورة بالاضافة إلى مسند الدارمي وموطأالامام مالك ومسند الامام أحمد بن حنبل وثم نشره في سبعة مجلدات، في الفترة من عام (1936-1969م)،أما منهج المستشرقين في دراستهم لشخصية الرسول تختلف من شخص لآخر فمنهم من يذكره في سياق الكلام عن الإسلام، عقيدة وشريعة وتاريخا وفكرا، فمنهم من أفرد له فصلا أوأكثر، ومن الأعمال ما اختص بالبحث فيه كشخصية غيرت وجه التاريخ[1].

"والحقيقة إنه لايمكن إعفال دور المستشرقين وجهدهم في إحياء التراث العربي خاصة وأنهم بذلوا جهودا علمية جادة لتحقيق النصوص وتوثيقها بدقة وأمانة، كما اهتموا اهتماما خاصا بإعداد الفهارس الفنية لهذه المصادر"[2]، وجه المستشرقون عنايتهم لنشر نفائس الكتب وذخائر التراث العربي وذلك للتعرف على لشرق العربي أكثر والاطلاع على ثقافته والاستفادة من علومه.

وإلى جانب التحقيق والنشر للمخطوطات، فقد امتد نشاط المستشرقين إلى المحاضرات فيالجامعات داخل أوربا وخارجها فقاموا بدراسات عن الدين الإسلامي، والتاريخ وعلم الاجتماع، وعلم الكلام وكل ماله صلة بالدين الإسلامي وبالعرب وكانت هذه الدراسات تتسم بالموضوعية حينا، وبالتعصب والبعد عن المنهج العلمي أحيانا كثيرة.

3- المعاجم والموسوعات:

ومن أهم الوسائل، تأليف المعاجم والموسوعات ودوائر المعارف: لم يؤلف المستشرقون دراسات وبحوث في مجال معين فقط، بل كانت جهودهم كبيرة في تأليف المعاجم والموسوعات الضخمة والكبيرة، التي تتطلب جهدا ومالا ووقتا، فقد كان لهم باع طويل في تأليف المعاجم والقواميس اللغوية، وأول معجم

[1]- ينظر: عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، 2013، ص: 42.

[2]- السعيد الورقي: في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، 2013، ص: 08.

هو قاموس لاتيني عربي في القرن الثاني عشر ميلادي، كما ألفوا دائرة المعارف الإسلامية، وقد صدرت سنة (1913م- 1938م) في طبعتها الأولى بالانجليزية، فهي إحدى الأعمال الموسوعية للمستشرقين ولها أهمية كبيرة على الصعيد العلمي والفكري والثقافي فقد ظل العمل عليها متواصلا عدة سنوات، بحيث تظافرت جهود جيل كامل من المستشرقين في إخراجها.

ومن الملاحظ "أنه على مدار أكثر من ثمانية قرون كان العلم على مستوى العالم ينطق بالعربية ومنه زاد الاهتمام الغربي بتاريخ العلم العربي الإسلامي، منذ حركة الترجمة في صقلية والأندلس، وحتى العصر الحديث واشتد مع بداية القرن العشرين حتى وصل ببعض مؤرخي الغرب إلى درجة الولع، فأصدرت الكثير من الموسوعات التي تؤرخ للعلم العربي الإسلامي ومنها موسوعة تاريخ كيمبردج للإسلام، وقد دونوا كل مايتعلق بالإسلام كدين ومجتمع وحضارة، فلقد ألفه الكثير من المستشرقين"[1].

لم يقتصر نشاط المستشرقين على التأليف والتحقيق والنشر، بل تعداه إلى الاهتمام بالترجمة وذلك لتصوير الثقافة العربية إلى الشعوب الأوربية التي لا تتقن العربية، وقد قاموا بترجمة عدد كبير من الكتب الإسلامية إلى اللغات الأوربية كافة، من الكتب التي ترجمت الدواوين الشعرية والمعلقات، وأولى الكتب العربية التي ترجمت "ترجمت إلى اللاتينية لغة العلم في أوروبا آنذاك –كانت الكتب الطبية والعلمية وكان المترجم (**تونسيا**) غدا فيها بعد ذلك راهبا في دير مونت كاسينو **(Monte Cassino)**،بعد ارتداده عن الإسلام وتسميته قسطنطين الأفريقي **(Constantineth African)**، وقد بدأ عمله كمترجم حوالي عام (1070م) إلى (1087م)"[2].

فهذه أولى بدايات عملية الترجمة، فقد ترجمت الكثير من بينها كتاب التصريف للزهراوي، وكتاب جداول في علم الفلك لمسلمة المجريطي عام (1126م)، ترجمه المستشرق الانجليزي ادلارد الباثي **(Adélard of Bath)**،كما ترجم أول معجم عربي إلى اللاتنية-**(Clossarivm Latino-Arabicum)**،لكن واضعه مجهول، ولعله صدر بمساعدة الكنيسة ضمن أعمالها التبشيرية، ثم نشر

[1]– جورج قنواتي: تاريخ كيمبردج للإسلام، المجتمع والحضارة الإسلامية، تر: خالد أحمد حربي، مج 2، دار الوفاء، الإسكندرية، 2008، ص: 10.

[2]– لويس نافع: حضارة أوربا، تر: ميشل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1974، (ط1)، ص: 12.

بوستيل كتابه القواعد العربية(**Cramatica Arabhca**)،وهوأول كتاب في قواعد اللغة العربية الفصحى ينشر في الغرب[1].

كما لاننسى المستشرق يوهان ياكوب رايسكا الالماني (**Gohan Jakob Reiskeh**)،الذي عشق الأدب العربي، وكتب مقدمة في التاريخ الإسلامي، وترجم مختصر تاريخ البشر لأبى الفدا، ومجموعة الأمثال العربية وكما وقد تربع المستشرق الفرنسي الكبيرسلفستر دي ساسي (**Silvestre Desacy**)، على الدراسات العربية في أوربا،وعين رئيسا للمدرسة الجديدة للغات الشرقية الحية، فقد ترجم واحدة من كنوز الأدب العربي وهي مقامات الحريري[2]، ومنه فقد واكبت حركة الاسشتراقحركةالنقل والترجمة للحضارة الإسلامية، إلى اللغات الغربية ومنها اللاتنية والقشتالية والعبرية، ومنه انتقلت العلوم العربية الإسلامية إلى الطب والرياضيات، والفلك والفلسفة والأدب والشعر والكيمياء...

فلقد وجدت"أوربا في التراث العربي الإسلامي، تراث أجدادها، اليونان الذي ترجم إلى اللغة العربية إبان إزدهار الحضارة العربية الإسلامية، وسلمت بأنه لولا التراث العربي الإسلامي لطمس تراث أجدادها اليونان"[3].

ونستشهد بقول العلامة الجزائري، أبو القاسم سعد الله، في كتابه تاريخ الجزائر الثقافي "عاش بالجزائر مستشرق فرنسي آخر هو هوداس(**Hodace**)،اهتم كثيرا بالتراث الإسلامي، وترجم منه وتعاون مع زميله مارتيل (**Martule**)، على ترجمة كتاب تحفة الحكام لابن عاصم في الفقه، ومن أوائل من ترجم مختصر الشيخ خليل"[4].

من هنا نستنتج أن للمستشرقين دورا بارزا في إذكاء روح الترجمة وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب فقد نقل التراث العربي وكنوز الثقافة العربية من سير وقصص، وحكايات وروايات إلى الغرب فترجموها وآخذو بمقارنتها بنظائرها في تراثهم الغربي اليوناني وخاصة في العصور الوسطى سعيا للتعرف على ما يصدر عن المسلمين سواء من الأدب العربي القديم أو الحديث.

---

[1]- ينظر: لويس نافع: حضارة أوربا، ص: 12-13.

[2]- المرجع نفسه، ص: 16-17.

[3]- جورج قنواتي: تاريخ كيمبردج للإسلام، المجتمع والحضارة الإسلامية، تر: خالد أحمد حربي، المجلد 2، دار الوفاء، الإسكندرية، 2008، ص: 08.

[4]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 105.

وقد انقسم المستشرقون إلى قسمين:جماعة اشتهرت بالانصاف في الأوساط العلمية لكنهم لم يتحرروا من أفكارهم ومعتقداتهم الدينية التي أثرت سلبا على فهمهم للعالم الآخر أما الجماعة الثانية لهم أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث العلمي ودراسة الثراث العربي،ومنه ينقسم المستشرقون إلى قسمين المنصفون، والمتعصبون وينقسم المنصفون بدورهم إلى قسمين:

القسم الأول: جماعة اشتهروا بالإنصاف في الأوساط العلمية، وأظهروا أنهم اقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانهم وثقافتهم ولغاتهم وأنهم متحررون تماما في بحوثهم العلمية من أثر العواطف الدينية، فكتبوا عن العروبة والإسلام وأظهروهما في ثوب نظيف على جسد وسخ[1]، فهو صنف آخذ غير مقر أي أنهم يأخذون من أفكار وعلوم الحضارات الشرقية ما ينفعهم عاجلا، ثم آجلا لكنهم لم يتحرروا من أفكارهم ومعتقداتهم الدينية التي أثرت سلبا على فهمهم للعالم الآخر (الشرق).

والقسم الثاني: جماعة لهم أهداف علمية خالصة لا يقصد منها إلا البحث العلمي والتمحيص ودراسة التراث العربي والإسلامي دراسة تظهر بعض الحقائق الخفية عنهم وهذا الصنف قليل عدده جدا، وهم مع إخلاصهم في البحث والدراسة لا يسلمون من الأخطاء والاستنتاجات البعيدة عن الحق إما لجهلهم لأساليب اللغة العربية وإما لجهلهم بالأجواء التاريخية[2].

فهم يملكون منهجية علمية تغنيهم على البحث،ولا ريب أن لدى بعضهم صبرا ودأبا جلدا في التحقيق والتحميص وتتبع المسائل فهو صنف علمي مقر وهو يقر بالأفضلية لحضارات الشرق ونورها الساطع، و بسماحة الإسلام وفضل الشرق على الغرب وهذا ما وضحته المستشرقة الالمانية زيغريد هونكا **(Sigrid Hunke)** في كتابها (شمس العرب تسطع الغرب) "وبينت فضل العرب على الحضارة الغربية خاصة، والحضارة الإنسانية عامة فقد قامت المستشرقة الباحثة الألمانية زيغريد هونكا **(Sigrid Hunke)**بدور مشهور في تحسين صورة العرب والمسلمينوالدفاع عن حضارتهم وثقافتهم، وأخلاقهم وتاريخهم وتقريب الحقائق التاريخية إلى الرأي العام الغربي"[3].

[1]– سعد بوفلاقة: الاستشراق والمستشرقون بين الإنصاف والتجني، مجلة بونة، للبحوث والدراسات، العدد الثالث، 2005،ص: 125.

[2]– المرجع نفسه، ص: 125.

[3]– زيغريد هونكا: شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، ص: 07-08.

لكن هاجم عشرات منهم المؤلفة والكاتبة معا، واتهموها بالتعصب للعرب والتحيز لهم بيد أن أصدقاء العرب في كل مكان انبروا يفندون مزاعم هؤلاء ويردون على افترائهم فشهد الكتاب في عامه الأول معركة حامية الوطيس لم يعرفها كتاب غيره.

وأما المستشرق سلفا توري مورسو **(Salvatore Morso)** الذيدرس اللغة العربية في جامعة باليرموا، فكانت معرفته لهذه اللغة وأسرارها وقواعدها تفوق الكثير من المستشرقين إلى حد ما، وقد اشتغل بعلم الوثائق والسجلات والنقوس[1]، كما لا ننسى كارل بروكلمان**(Karle Borkelme)**المشرق الألمانيفهو مصنف كتاب تاريخ الأدب العربي وفيه قيم، وعد فيه أسماء الأدباء العرب والشعراء والعلماء والفلاسفة وغيرهم، وكتابا أخر معنون بتاريخ الشعوب الإسلامية، وهم كثيرون من أعجبوا وأنصفوا الحضارة العربية فجاك بيرك(**Jacques Berque**) واحد من أهم المثقفين في العالم في القرن العشرين وهو بترجمته لمعاني القران الكريم "قد خدم الإسلام والمسلمين ونبه العالم إلى ثقافتهم وحضارتهم من خلال ما يمتلكه من موضوعية ومناهج علمية حديثة"[2]،لا يمكن أن ننكر الجهود التي بذلها ويبذلها المستشرقين في خدمة الحضارة الإسلامية التي كانت هي صاحبة الفضل في إرساء الحجر الأساسي للحضارة الأوروبية الحديثة.

لابد أن نعترف أن القلة القليلة من المستشرقين، لعبت دورا هاما في تنوير الرأي العام الغربي وتحسين صورة المسلم في نفسية الغربي، أما النوع الثاني من المستشرقين هم المتعصبون وهم الغالبية وهم جزء من مخطط كبير لمحاربة الإسلام وتمكن مهمتهم في الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية وبلدان الشرق الأقصى مما يشكل أرضية تسهل عملية الاستعمار والتبشير" أكثرهم جواسيس اشتغلوا بالاستشراق وهؤلاء ليست لدراستهم قيمة علمية فالاستشراق دور لا يرتاب فيه تمهيد الأرض العربية الإسلامية للاستعمار الغربي"[3]،فالمستشرق بيسمارك **(Bismarck)**الذي انشأ مدرسة اللغات الشرقية في ألمانيا وألحقها بوزارة الخارجية لأغراض سياسية ولنشر النفوذ فمدرسة اللغات الشرقية بباريس ألحقت بوزارة الشؤون

[1]- ينظر: لامبرتور بريتالو: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الأردنية، كلية الأدب، عمان، ص: 26.

[2]- جاك بيرك: إعادة القران الكريم، تر: وائل غالي، تقديم: أحمد صبحي منصور، دار التنديم للصحافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، (ط1)، ص: 06.

[3]- سعد بوفلاقة: الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني، ص: 131.

الخارجيةوماسينيون**(Massignon)**المستشرق الفرنسي كان من كبارها فلقد بذل جهود كبيرة لتخريب العقل العربي الإسلامي وتنويمه عن طريق تمجيد التصوف والحلاج"[1].

ومثله المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي**(Silvester De Sacy)**الذي كان يشغل منصب المستشرق المقيم بوزارة الخارجية الفرنسية منذ عام (1805م) وعند غزو الفرنسيون الجزائر سنة (1830م) كان سلفستر دي ساسي هو الذي ترجم البيان الموجه للشعب الجزائري وكان يستشار بانتظام في كثير من المسائل المتعلقة بالشرق من قبل وزارة الخارجية ووزارة الحربية[2]، إذن فالصنف الأخير صنف متعصب هدفه الطعن والشك لزعزعة الإيمان وصرف المسلمين عن دينهم فهم ركزوا أهدافهم على النيل من الدين الإسلامي من خلال دراسة قرآنه والسنة النبوية.

وأخيرا فجهد المستشرقين ليس كله حسنا وليس كله سيئافقد بالغ البعض في إطرائه والإشادة به وبالغ البعض الأخر في الحملة عليه "أن حركة الاستشراق، حركة هامة في تاريخ العلم والمعرفة فيها الخير والشر ... يتجلى خيرها في حفظ الكثير من التراث الشرقي ونشره ودراسته ويتجلى شرها في التحامل على العرب والمسلمين والتعصب السياسي والديني والعرقي، وإذ كان جانب الشر غالبا ما صدر من دراسات رافقت ظهور الاستعمار الأوربي"[3]، فالاستشراق سلاح ذو حدين يضر وينفع لأن المستشرقون حاولوا أن يتعاملوا مع الحضارة العربية بموضوعية وقد نجح عدد قليل منهم في هذا المجال ولكن أغلبهم لم يستطيعوا أن ينفكوا عن تأثير ثقافتهم وعقائدهم فصدر منهم ما يقبله المسلم من المغالطات والتحريفات.

لكن الدكتور صلاح الدين المنجد يصنف المستشرقين في كتابه المنتقى من دراسات المستشرقين إلى ثلاثة ضروب: ضرب لم يملك الفهم اللغوي والبلاغي الدقيق فأخطأ في نشر الكتب وفي فهم النصوص وضرب أثرت في دراساتهم مآرب السياسة والتعصب للدين فوجهوا الحقائق وفسروها حسب أرائهم وفريق ثالث أوتي من سعة العلم والتمكن من العربية والإخلاصفي البحث والتحرير والإنصاف[4].

---

[1]- ينظر: سعد بوفلاقة: الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني، ص: 131.

[2]- المرجع نفسه، ص: 132.

[3]- ينظر: فريد حجا: كتب أنصفت حضارتنا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1977، ص: 23-24.

[4]- ينظر: نذير عدان: الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ص: 36-37.

ويرى الدكتور حسين مؤنس أن أشد المستشرقين تعصبا ضد الإسلام ورسوله هم الفرنسيون"أنه من النادر أن يقر المستشرق الفرنسي شيئا طيبا عن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم"[1]، فالاستشراق والاستعمار والتبشير في نظره أشبه بالحلقات الثلاث المتداخلة التي يتخذها التعاون شارة له.

[1]- نذير عدان: الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، ص: 34.

خامسا:مراحل الاستشراق

مرت حركة الاستشراق منذ نشأتها حتى القرن العشرين في أغلبها بثلاث مراحل.

1- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتكوين

بعد ميلاد الاستشراق أخذ يترعرع في كنف الكنيسة في القرن الثامن ميلادي وعن طريق الأندلس اتصل الغرب بالعرب، وبدأأصحاب الفكر يعادون المسلمون ويهاجمونهم، ولقد لعبت الكنيسة دورا كبيرا في هذا التعصب.

وظل الغرب يفكرون ويبحثون عن أسباب نهضة المسلمين وبلوغهم هذا المجد العظيم فبدؤوا يدرسون علوم المسلمين ولغاتهم لعلهم يظفرون بما يوقفون به هذا التيار الجديد أو يكتسبون من علوم المسلمين ما ينفعهم في إنقاذهم من تخلفهم وجهلهم" ويؤكد الباحثين أن بعض الرهبان اتجهوا إلى الأندلس وغيرها من مراكز الحضارة الإسلامية في أوربا في أيام ازدهارها، وتعلموا في مدارسها وتثقفوا بعلوم المسلمين وثقافتهم، وتتلمذوا على علماء المسلمين في مختلف العلوم وبخاصة في الفلسفة والطب والرياضيات واستطاعوا أن يترجموا بعض الكتب العربية إلى لغاتهم[1]، وبهذا تهافت كثير من الطلاب الغربيين إلى الأندلس لتلق العلوم على أيدي العرب وترجمت أهم الآثار العربية وبصفة خاصة ما كان متصلا بالآداب والعلوم والفنون والطب والفلسفة.

ومن أجل ذلك بقي أثر الحضارة العربية ينتشر ويتغلغل في الأوساطالأوربية بالرغم من عداء الكنيسة لهذه النهضة ومن تحيز رجال الدين لتعاليمهم الخاصة.

2- المرحلة الثانية: مرحلة التقدم

كانت الحروب الصليبية سببا للغرب حيث تأكد لهم أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير وانهزام الغربأمام المسلمين في هذه الحروب كان سببا في زيادة روح التعصب الديني وانعكست هذه الروح على الاستشراق فقد بدأ الغرب يتعلمون اللغة العربية لا حبا فيها ولكن ليتخذوها وسيلة إلى دراسة تراث المسلمين، ومن ثم إلى فهم القرآن الكريم وسلاحا في منافسته، كما أن الصلبين الذين انهزموا عسكريا، وفشلوا في غزو المسلمين بقوة السلاح بدؤوا في التفكر جديا لغزو المسلمين فكريا، حتى يتمكنوا من زحزحتهم عن عقيدتهم الراسخة التي كانت السبب الرئيسي في تصديهم للصلبيين وعلى إثر ذلك "بدأت

[1]- محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام موقف بعض المستشرقين منها، ص: 44.

حركة جادة من الرهبان لتعلم اللغات الشرقية وخاصة اللغة العربية، وقضي مجمع فينا الكنيسي سنة (1311م) أن يؤسس مدارس خاصة تدرس فيها العربية والعبرية، وهي ما عرفت أخيرا بكراسي الدراسات الشرقية في العديد من الجامعات الغربية"[1].

وأصبح أبناء الغرب يستعملون العربية وآدابها وفنونها في بلادهم وعلى أيديأساتذتهم الذين تعلموا بدورهم على أيدي العرب وعلمائهم وهكذا انتشرت في أوربا المعاهد والجامعات التي أخذت تنشر الثقافة العربية في الأقطار الأوربية وكانت هذه الفترة بحق فترة تقدم الاستشراق واتساعه.

3- المرحلة الثالثة: مرحلة الانطلاق.

عندماأشربت أوربا ثقافة العرب وقامت بنهضتها بدأت تنظر إلى الاستشراق بروح أوسع أفقا وأرحب تفكيرا، فاهتم علماء الاستشراق لا لمواجهة الإسلام فحسب، وإنما لفهمه ودراسته ثم جاءت الطباعة فانتشرت العربية بن الأوساط العلمية، وكان القرن السادس عشر الميلادي خطوة مهمة في تطور الاستشراق وانتشرت الدارس والمعاهد لتعليم العربية في معظم البلدان الأوربية.

وشهد الاستشراق في القرنين السادس عشر والسابع عشر ازدهارا كبيرا في النواحي العلمية والدراسات المتخصصة وعندما قبل القرن الثامن عشر كان الاستشراق ثبت إقدامه واستقل كيانه ورسم اتجاهه وحدد معالمه، ثم اختتم القرن الثامن عشر بحلة نابليون على مصر[2]، وفي ذاك القرن بالذات شقت الدول الأوربية طريقها إلى الشرق الأقصى وبدأت ترسل البعثات تحت أسماء مختلفة لكي تتعرف على أحوال الشعوب العربية وإمكانية احتلال أرضيها، وكثير ما نجح الرحالة في الحصول على معارف جديدة ونقلها إلى بلادهم، وظهر العديد من الكليات والأقسام لتدريس اللغات الشرقية في العديد من بلدان أوربا، وأصدرت المجلات وعقدت المؤتمرات ودخل المستشرقون في السلك الدبلوماسي كوزارات الخارجية والقنصليات ونحو ذلك.

[1]- محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام، ص: 67.

[2]- ينظر: أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصري اللبنانية، مصر، 1996، (ط1)، ص: 24.

سادسا:أهم المدارس الاستشراقية

أحصى نجيب العقيقي في كتابه المستشرقون عشرين مدرسة استشراقية وأشار إلى خصائص كل منها، ومناهج بحثها ومناطق اهتمامها وميادين نشاطها ومميزات أصحابها ومنها: فرنسا، ايطاليا، انجلترا، اسبانيا، البرتغال، النمسا، هولندا، ألمانيا، بولونيا، الدانمرك، روسيا، فلنندا، رومانيا، يوغسلافيا.

غير أننا اكتفينا بذكر ثلاث مدارس استشراقية كبيرة بحكم أقدمية صلة هذه المدارس بالشرق من جهة واحتواءها على أكبر الكراسي للغات الشرقية التي اهتمت باللغة والأدب العربي من جهة ثانية وهي المدرسة الفرنسية الانجليزية والألمانية.

1- المدرسة الفرنسية:وهي رائدة المدارس الأوروبية فهي أول المدارس وأكثرها اهتماما بدارسة الشرق وذلك لانشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية 1795م التي ساهمت في نقل الكثير من الثقافة العربية إلى أوربا.

المدرسة الفرنسية وضعت أسسها في الجزائر إبان إستعمار"هاو"يعتبر هذا العهد (1880م-1905م) هو العهد الذهبي للمستشرقين الفرنسيين، في الجزائر وهو العهد الذي كلل بانعقاد المؤتمر الرابع عشر للمستشرقين، العالميين في ربيع سنة (1905م) بمدينة الجزائر والذي حضره حوالي خمسمائة شخص، ولم يحضره من المشرق العربي حسب علمنا غير ثلاثة من مصر:هم محمد فريد وعبد العزيز جاويش ومحمد سلطان.ولكن حضره عدد من تلاميذ وأعوان المستشرقين الفرنسيين أمثال محمد بن أبي شنب"[1].

ومنه "إن الجزائر أصبحت منطلق نشاط الاستشراق الفرنسي مبكرا، فقد وقعت مخطوطاتها ووثائقها وآثارها بين أيدي المستشرقين فتصرفوا فيها تصرف المالك في ملكه، وضاعت معهم اليوم ثروة هائلة من ذلك، بعد أن استولو عليها بطرق مختلفة تحدث عن بعضها كبارهم من أمثال دي سلان **(Slane Baron)**"[2]،لكن علاقة فرنسا بالعالم العربي قديمة منذ زمن طويل وهذا ماسنوضحه في طريقة إتصال فرنسا بالعالم الشرقي.

اتصال فرنسا بالشرق:نشأت صلة فرنسا بالشرق الأدنى منذ أن غزا العرب مقاطعات منها، منذ وصولهم إلى بونه (**Poitiers**) واستمرت في محاولة تعاون الرشيد وشارلمان على الخلافة الاموية في

[1]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 41.

[2]- المرجع نفسه، ص: 43.

قرطبةوالامبراطورية البزنطية، والقسطنطينية وقيام الحروب الصليبية (1096م-1291م)، وإنشاء الطرق التجارية وتبادل السفراء،وتوالي الرحلات واحتلال شمال إفريقيا (1830م-1962م)[1]، وحملة نابليون على مصر التي، كان لها دور كبير في تطوير فرنسا، "بمجرد أن وضع يده -نابليون- على هذه المؤلفات أسرعبالتعرف عليها ونقلها إلى بلاده، وأقام لها الأكاديميات المختلفة ورصد لها المبالغ الطائلة وخصص لها العلماء من عرف عنهم قدرة على البحث والدراسة، فانتفع بما فيها من معارف وساهمت هذه الأفكار بشهادة بعضهم في تطوير حياتهم وبزوغ نهضتهم"[2]، فكانت العلاقة بين فرنسا والشرق متعددة ومتنوعة اختلطت فيها الحرب والسلم، والتجارة والثقافة معا.

وقد كانت فرنسا أحد المراكز المهتمة لهذا الحقل البازغ وقد ساعد المستشرق الفرنسي سلفستر دي ساسي **(Silvester de Sacy)** الذي تولى تعليم اللغة العربية في فترة مبكرة في وضع أسس للاستشراق الحديث فقد نشرأبحاثاوترجمات كثيرة من العربية والفارسية، ودرب بضعة أجيال من الباحثين والمترجمين وقدم المشورة للحكومة الفرنسية في الشؤون الإسلامية، وهو أول من تولى رئاسة الجمعية الآسياوية (**Société asiatique**)سنة (1821م) لكي يجمع الباحثين وقد مهدت هذه الشبكة الدولية لتربط بين الباحثين في، مختلف البلدان، فانعقد أول مؤتمر دولي للمستشرقين (1873م)[3].

لقد توسع الاستشراق البحثي وتزايد ذالك في تزايد الترجمات من اللغات القديمة إلى الحديثة وتكاثرت الدراسات الأكاديمية عن تاريخ وثقافة الشرقيين.

أثر الشرق في الأدب الفرنسي:

في القرن السابع عشر اطلع الأدباء الشيوعيون لأوربا على الثقافة الصينية بترجمة روائعها فتأثر الأدب الفرنسي ببعض التيارات التي انتهت إليهمن الشرق، ولا سيما الشرق العربي وفي العصر الذهبي وفيها إشتق كورناي **(Corneille)** مسرحية السيد **(Lecid)** (1632) من الاسبانية بعض حياة العرب كذالك البرجوازي الظريف لموليير **(Molieve)**سنة (1670) وهي أول مسرحية عن الشرق، إذ ترجم جالان **(Antoine Galland)**ألف ليلة وليلة في اثنى عشر مجلد.

[1]- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص: 01.

[2]- عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دارالجيل، بيروت، ص: 10.

[3]- ينظر: زكارى لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته، تر: شريف يونس، دار الشروق، مصر، 2007، (ط1)، ص: 129-190.

وكانت ألف ليلة وليلة أكثر الكتب تداولا بين القراء وسعى أدباء فرنسا لمحاكاتها فكتب دي لاكرو(**De lacro**)قصة ألف يوم ويوم بباريس (1710م- 1712م)، وهكذا ظلت الموضوعات الشرقية غذاء للأدب الفرنسي[1]، فهي ركزت "اهتمامها على حضارات الشرق المختلفة عامة وحضارة الهلال الخصيب خاصة ثم إفريقيا الشمالية كلها والدول الإسلامية كذلك"[2]، فالمدرسة الفرنسيةلعبت دورا كبيرا في الدراسات الاستشراقية بجميع الجوانب الحضارية والسياسية والفلسفية والدينية وحتى الجوانب اللغوية والأدبية.إذن نستنتج أن كتاب ألف ليلة وليلةمن أهم أعمال المستشرقينفقد ترجمة ألف ليلة وليلة[3]، وكما يقول أحد الباحثين لقد لقيت نجاحا قويا واستمرت إعادة ترجمتها وإعادة طباعاتها لقرنين أو أكثر، وكان أثرها قوى ومستقر، ولقد لقيت القصص الإعجاب بسبب العنصر السحري الغالب على المجموعة، ولأنها تنقل صورة الأساليب الشرقية، وقد ظل هذا العمل الغرائبي إلى أقصى درجة، في أذهان الزوار الأوربيين تقريبا للعالم الإسلامي منذ ذلك الحين وحتى الآن،ومن أهم روادها ميكسيم ودنسون **(MaximRodimon)**وريجس بلاشير **(R. Blacher)**.

ونستذكر في هذا الجانب المدرسة الفرنسية بالجزائر فقد استعمرت فرنسا الجزائر حوالي قرن ونصف، ونتيجة لهذا فقد أسست فرنسا الكثير من المدارس والكليات والجامعات، الخاصة بالدراسات الاستشراقية واعتمدت في ذلك على الترجمة التي أعدها أبو القاسم سعد الله من دعامات الاحتلال المرتبطة بالاستشراق "ازدهرت أيضا الترجمة باعتبارها إحدى وسائل الاستشراق في البحث والإطلاع، وبالإضافة إلى معرفة معظم المستشرقين للعربية والبربرية والفارسية أحيانا...وقد اشترك بعض المستشرقين مع جزائريين، في الترجمة والتعليق على بعض الأعمال التراثية واللغوية ونحن نجد هذه الثنائية (فرنسي/جزائري)قد تعددت في عدة كتب ومقالات، ولكن بعض المستشرقين كانوا يوظفون الجزائرين ثم لايذكرون أسماءهم في أعمالهم، المنشورة كما فعل رين(**Rine**) في كتابه(مرابطون وإخوان)، ولوسياني(**Luciani J D**) في كتابه عن عبد الرجمن الأخضري ومنطقه (السلم المرونق)"[4].

---

[1]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، (ج1)، ص: 168-174-198.

[2]- أحمد سمايلوفيش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي المعاصر، ص: 222.

[3]- زكاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته، ص: 124-125.

[4]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م -1900م، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007م، ص: 537.

استعانت فرنسا بالجزائرين لمساعدتها على الترجمة والاطلاع على مكنونات لغتها، فقد ربطت فرنسا نشاطها العلمي المحصور في الترجمة والبحث والاطلاع بالمصالح الاستعمارية الفرنسية، فظهرت جمعيات كثيرة كان تخصصهامحصورا على هذا الأمر.

وفي هذا الصدد نستشف بقول أبو القاسم سعد الله "وفي سنة (1894م)، كون الحاكم العام **كامبون** لجنة لترجمة الكتب العربية، وواضح من اسمها أنها كانت تهدف إلى ترجمة الكتب العربية إلى اللغة الفرنسية، وأن هذه المهمة لايقوم بها إلا المستشرقين وتلاميذه الجزائرين"[1]، فقد نوهنا في هذه الفقرة عن المدرسة الفرنسية والدور الذي لعبته في الجزائر فلقد كانت لها اليد الطولى في كل شئ إبان الاستعمار.

2- المدرسة الانجليزية: الاستشراق الانجليزي من أول وأوثق وأوسع ما عرفته أوربا من استشراق منذ اتصال بريطانيا بالشرقين الأوسط والأقصى اتصالا ثقافيا وعسكريا واقتصاديا واستعماريا في الأندلس، القدس، والصين، الهند، والعراق، مصر، وفلسطين[2]، ويمتد اهتمام هذه المدرسة إلى حضارات الجزيرة العربية وما جاورها عامة ومدنيات الأقطار التي ارتبطت ببريطانيا بتاريخ أو أخر[3]،فالمدرسة البريطانية ارتبطت بالاستعمار وتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية في الشرق إلا أنها اهتمت باللغة العربية،فأنشأت أول أقسام اللغة العربية في الجامعات البريطانية كمبريدج وأكسفورد ومن أهم أعلامها، توماس ارنولد، هاملتون جيب، برنارد لويس لقد طلب الرواد الانجليز الثقافة العربية عن طريقتين:

- طريقة المتضلعين أمثال الفيلسوف الاسباني إبراهيم بن عزار من مدينة طليطلة الذي وفد على لندن ودرس فيها 1958م-1959م .
- طريق العلماء الذين قصدوا صقلية والأندلس واخذوا الثقافة العربية على أعلامها في مدارسها منهم توماس براون فتثقفوا بالثقافة العربية وترجموا الكثير منها وشرحوا وصنفوا[4].

ومن خلال القرنين الثامن والتاسع عشر اتخذ الاستشراق الانجليزي طابعه العلمي عندما توفرت عند المستشرقين أسبابه، وتنوعت أعراضه وانقطعوا إليه وأخلصوا فيه.

---

[1]- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م -1900م، ص: 540.

[2]- أحمد سمايلوفيش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي المعاصر، ص: 42.

[3]- المرجع نفسه، ص: 223.

[4]- نجيب العقيقي:المستشرقون، ج2، ص: 420.

أثر الشرق في الأدب الانجليزي: تأثر الأدب الانجليزي بالشرق تأثرا متواصلا متزايدا متبلورا في أقلام عدة منها:شيكسبير في مسرحيتين عطيل وتاجر البندقية، لقد احتل الأدب العربي مكانا مرموقا لدى معظم الأدباء الانجليز فاطلعوا في القرن الثامن عشر كتابا على ترجمات المستشرقين واستوحوا منها ولا سيما من ألف ليلة وليلة وغيرها من القصص العربية، والفارسية والهندية، وعالجوا الموضوعات الشرقية التي رسمت آدابهم سمات مميزة ومن أمثال ذلك قصة عنترة لـ **اللورد بيرونوشللي** في تقليد عن العربية، ذكريات ألف ليلة وليلة، ومحاكاة معلقة امرؤ القيس لـ **الفرد تيسون**[1]، فلقد تأثر الأوربيون بالثقافة العربية وظهر هذا جليا في كتاباتهم الأدبية فمعظمها متحول ومنقول على الأدباء العرب.

3- المدرسة الألمانية: مما لاشك فيه أن الدراسات العربية الإسلامية قد نشطت في القرن التاسع عشر وبلغت أوجها في الجامعات الأوربية.

وخاصة ألمانيا التي يرجع تاريخ اتصالها بالعالم العربي إلى الحملة الصليبية الثانية (1147-1149م)، والمدرسة الألمانية هي الوحيدة التي تميزت بالجدية والموضوعية دون وجود غايات استعمارية وتبشيرية وقد ظهرت اهتماما علميا جادا بالإسلام حتى اصطبغت الدراسات الإسلامية في أوربا في وقت من الأوقات الصبغة الألمانية وأهم علم من أعلام المستشرقين كارل بروكلمان (1867م-1956م) **(k-bro kelmman)** وظهرت جهوده في إنتاج كتاب تاريخ الأدب العربي وتاريخ الشعوب الإسلامية "اشتهر بركلمان بحجم نشاطه وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمولية والجدة مما جعله مرجعا للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي"[2].

فالدراسات الألمانية المعاصرة إسهامات جليلة في تناول الأدب العربي القديم والشعر الجاهلي خاصة[3]،وفي هذا السياق أنتج الشاعر والروائي المسرحي يوهان فولاجوته**(Johann Von Coethe)** أشهر أعماله المسرحية الشعرية"فاومت" وهو عمل مقتبس بشدة من الموضوعات الإسلامية، ويقلد الأساليب الأدبية العربية، وطور المعماريون الأوربيون أساليب تعتمد على عناصر أسلوبية مصرية

[1]- نجيب العقيقي، المستشرقون، ج2، ص: 421.

[2]- المرجع نفسه، ص 420.

[3]- موسى ربايعة: مرايا الاستشراق الألماني المعاصر والشعر العربي القديم، دار جرير، عمان، 2008، ص: 07.

قديمة[1].ومازال الاستشراق الألماني مزدهرا في العديد من الجامعات وقد لحق غيره فالاهتمام بالقضايا المعاصرة التي تخص العالم العربي الإسلامي.

فالاستشراق الألماني يعد الوحيد الذي عرف بإنصافه للعالم العربي وفي هذا يقول صلاح الدين المنجد" لم يخضع الإستشراق الألماني لغايات سياسية استعمارية أودينية، كالاستشراق في بلدان أوربية أخرى فألمانيا لم يتح لها، أن تستعمر البلاد العربية أو الإسلامية ولم تهتم بنشر الدين المسيحي في الشرق، لذلك لم تؤثرهذه الأهداف، في دراسات المستشرقين الألمان وظلت محافظته على الأغلب على التجرد غالبا والروح العلمية ...لم تكن دراسات الألمان عن العرب والإسلام والحضارة الإسلامية العربية، متصفة على الأغلب بروح عدائية ...رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف نجد هذه الروح عند رايسكه**(– J Reiske)**، الذي سمى نفسه شهيد الأدب العربي"[2].

فنستشف من هذا القول أن المفكر صلاح الدين المنجد خصص كتابا للمستشرقين الألمان لبين لنا الخدمات التي قدموها للعرب والإسلام وفي نفس الوقتلم ينسى أخطائهم ونقائصهم فيقول في هذا الصدد "ولست أنكر أن في إنتاج بعض هؤلاء المستشرقين نقصا أو أغلاطا، ولكن من هو العالم الكامل، يكفي أنهم عملوا بحب وحماسة بقدرما أسعفتهم به المعرفة والمصادر، ولقد استدرك بعضهم على بعض بإخلاص، وصحح بعضهم أخطاء بعض وكانوا علماء حقا، يقبلون كل نقد وتصحيح"[3].

أما من أبرزالانجازات الاستشراقية، التي جاءت لصالح العرب، فقد أفاد الاستشراق الثقافة العربية بفوائد عديدة منها، نشرالثقافة العربية في أوروبا، ترجمة الكثير من الكتب التراثية العربية، إلى اللغات الأخرى،تصحيح فكرة الشعوب الغربية، عن العرب والمسلمين، أضف إلى ذلك كتابة العديد من المؤلفات النفيسة عن الحضارة العربية الإسلامية، ويمكن زيادة الاستفادة من بعض العلماء المستشرقين في كثير من الميادين الثقافية، في البلاد العربية.

وقد ساعد الاستشراق بذلك في تحديد مكانة الفكر الإسلامي وقيمة العظيمة، في اطار الفكر العالمي "قدم المستشرقون خدمات جليلة للدين الإسلامي وحضارته، التي أفرغت جهدها في تقديم نموذج

---

[1]– زركاري لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته، ص: 131.

[2]– صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 07-08.

[3]– المرجع نفسه،ج1، ص: 12.

علمي استفادت منه اوروبا، في بناء نهضتها وأسهمت بتالي في الرقي لمدينة الغرب، وتقديم حضارته فاستوفى كثير من المستشرقين جهدهم في إبراز مآثر حضارتنا"[1]، ومن أبرز الانجازات تأتي في مقدمتها دراسة التراث العلمي والأدبي والثقافي الإسلامي، وصيانته وحفظه من الضياع والتلفوذلك بفهرست المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها والتعريف بها للرأي الغربي والعالمي، على أن هذه الأمة التي تتعرض للاستعمار والاحتلال والتمزيق هي أمة ذات حضارة عريقة تستحق الإعجاب والتقدير.

وقد كان حركة الاستعمار والنفوذ الغربي يستهدف التجزئة والتفرقة بتشجيع اللهجات العامية ومحاولة فرضها،وتدريس اللغات الأجنبية، قد حاول جاك باركأن يصور هذه الحركة حين قال إن العرب في ظل الاستعمار لجأوا لحمايةهويتهم وأصالتهم، أما فيم يخص اللغة العربية فقد ناضلت بنجاح ضد غزو اللغات الغربية، المسلحة بقدرة علمية على الاتصال وحسب، وإنما ضد اللهجات التي حاول الاستعمار تغذيتها لزرع الفرقة والتجزئة[2].

ولع الاستشراق بالأدب العربي ويمكن أن يرجع هذا الاهتمام إلىأسباب عديدة من أهمها صلة الأدب بالإسلام وكتابة القرآن الكريم باللغة العربية "فالقرآن الكريم هو الكتاب الوحيد من بين الكتب المقدسة الذي ظل يقرأ بلغته الأصلية في كل مكان نزل فيه وهذا في حد ذاته،يضيف إلى معجزة القرآن بعدا آخر لذلك استهدفه المستشرقون في خططهم للقضاء علىالإسلام وذلك بتشويه والتشكيك فيه، باعتباره قاعدة الإسلام الكبرى الذي اجتمع العرب عليه"[3]، وهنا يتضح أن لنا جليا أن الأدب العربي ينفرد أولا من بين الآدابالأخرى باتصاله المباشرة بالقرآن الكريم الذي يحاول الكثير الباحثون في كل زمان ومكان الغوص في أسراره ومعرفة مكنوناته.

ثانيا اهتموا بدراسة الشخصية العربية وفهمهالأن الهوية العربية متصلة بالأدب العربي فهو يمثل ديوانها ويبرز تاريخها وعقليتها، ويمثل انفتاحها وتقديمها "فإن الأدب العربي بالذات يعد صورة لحياة العرب قديما وحديثا، إذ يتبلور فيه ماهو بحياتهم من خصب وجدب وغني، وفقر وفرح وحزن، حتى يمكن القول

[1]– عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها علي الصراع الحضاري، ص: 98.

[2]– أنور الجندي: الفصحي لغة القرآن الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، (دت)، (دط)، ص: 286-287.

[3]– ينظر: محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2002، (ط1)، ص: 400.

بأنه يصور لنا بحق صورة صادقة للشخصية العربية، ممايزيد من أهمية دراستها"[1]، فاهتمام المستشرقين بالأدب العربي لوعيهم بأنه يساعدهم في معرفة الرجل العربي والإحاطة بجوانبه الخفية والمعلنة.

فالأدب العربي شعرا ونثرا زاخرا بالمعاني الإنسانية والنفسية والاجتماعية والتاريخية، وهو يحيط إحاطة تامة بمقومات أسلافنا القومية، ومُثلهم العليا السامية التي صانت أمتنا العربية[2].

ثالثا:تأثير الأدب العربي على الآداب المختلفة ومنها الآداب الأوروبية:إن تأثيره في الآداب الأوروبية لأن الثقافة العربية، عبرت إلى أوروبا عن عدة طرق "عن طريق الحروب الصليبية، الذي أذكت الحركة التجارية والثقافية بين الشرق والغرب، وعن طريق الحضارة العربية إلى الأندلس، التي كانت كعبة العلوم والفنون في أوروبا وكذلك عن طريق أثر العرب في صقلية وجنوبي إيطاليا"[3]، وعبر هذه الطرق جميعا أثر العرب في الآداب الغربية وألوانها المختلفة، كما وقد استسقى المستشرقون آدابهم وعلومهم من الأدب العربي كان ذلك شعرا ونثرا أو غير ذلك.

رابعا:منزلة الأدب العربي بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه الأدب العربي شعره ونثره وعلمه وفلسفته، لا يمكن بحال من الأحوال، يقل عن الآداب الأربعة القديمة (اليونانية، الفارسية، اللاتينية، والهندية)بل من غير شك متقدم على اللاتنية والفارسية[4].

لقد كان للحضارة الإسلامية، دور رائد وهام على الساحة العالمية، "بفضلاكتمال مقومات وعناصر هذه الحضارة، بحيث قدمت للعالم أجمع دورا إنمائيا جديدا، لم يشهد العالم من قبل في كل مجالات والفكر والثقافة، وهذا بفضل اكتمال عناصرها المتمثلة في القرآن الكريم أصل هذه الحضارة، وسيرة الرسول صلي الله عليه وسلم،وأمة العرب واللغة العربية"[5].

انشغل المستشرقون بترجمة روائع الأدب العربي، قديمه وحديثه إلى اللغات الأوروبية وتقديم العرب، والمسلمين للرأي العام في الغرب من خلال آدابهم، مما كان له أثر في تحسين صورتهم وهذا ما شكل مقدمة لتفهم قضاياهم والتعاطف معهم، فالآداب خير رسول ينقل صورة أمة من الأممإلى العالم، ولولاجهود

[1]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 392.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 392.

[3]– المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم: التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن، تونس، 1991، ص: 81.

[4]– ينظر: أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص: 494.

[5]– ينظر: حسن باشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر، 1975، ص: 12.

المستشرقون لما نقل شيءمن آدابنا إلى اللغات الأجنبية، ولما عرف العالم شيئا عن ذلك الأدب وعن الأمة التي أبدعته.

فنشأ عن هذا الجو من البحث والدراسة استيعاب أبواب الثقافة العربية الإسلامية، بين لغة وأدب، وتاريخ وسياسة، وتفسير، وتشريع وعلوم وفلسفة،فظهرت بحوث متعددة ودراسات متنوعة ومقالات في الجرائد والمجلات العلمية إضافة إلى كتب موسعة ومستقلة.

ساعد الاستشراق في تحديد مكانة الفكر الإسلامي وقيمته العظيمة في إطار الفكر العلمي فقد كان لجهود المستشرقين الأثر البالغ في نهضة وإيقاظ، التراث العربي الإسلامي "استطاع الاستشراق أن يؤثر في الفكر الإسلامي الحديث والمعاصر، بمناهجه ومبادئه البحثية، وبتالي فقدأيقظ الوعي المنهجي لدي المسلمين"[1]، اطلع المستشرقون علىالثقافة العربية، وتمكنوامن معرفة أحوال الأمة وعلومها اللسانية والطبيعية وأعمالها الأدبيةوالثقافية، إضافةإلى التفحص في الحقائق التاريخية والنصوص التراثية ولكن ركز اهتمامه على الثقافة العربية لأن الثقافة هي مجموعة من القيم التي توجه الإنسان وتسيره وتقدم له المعايير التي يوازن بها بين الأشياء والمواقف، إذن هي مجموعة من العلوم والمعارف وأحكام العرف والتقليد[2]، وفي تعريف آخر "فالثقافة هي كل مظاهر التعبير الإنساني وكل عمل يعود تعبيرا للأدب والفن وحدهما،بل كذلك الديانات أو الميثولوجيات بطقوسها، وآلهتها بعباداتهاومعتقداتهاوكذلك الأخلاق (أي الآداب القومية)ومظاهر الحياة الاجتماعية من لباس وتزيين، وكيفية طبخ وأكل...إلخ"[3]، إذن فالثقافة الإنسانية هي مجموع الوسائل، الفكرية والنفسانية، والعملية التي تستعملها المجموعات الانسانية المختلفة للتعبير عن كنهها أوسرها أونظرتها للحياة والكون[4].

لم يكن وصول الاستشراق إلى هذا المستوى من معرفة الثقافة العربية الإسلامية سهل المنال "بل كان يتطلب عملا مضنيا شاقا استمر أكثر من عشرة قرون، حتى أنتج عطاؤه ذلك العدد الضخم من الدراسات والمؤلفات التي نشروها عن العرب والإسلام"[5].

---

[1]- عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق، ص: 114.

[2]- ينظر: زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1982، (ط7)، ص: 67.

[3]- عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي،بيروت، 2006، (ط5)، ص: 99.

[4]-المرجع نفسه، ص: 101.

[5]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 168.

وهكذا كان لعناية الاستشراق بالتراث العربي الإسلامي، فضل كبير علىالنهضة العربية الحديثة، فقد طفت على سطح الثقافة العربية، بعض الظواهر الفكرية والاتجاهات الأدبية والعلمية التي تعد مرايا تكشف، عن هذه الثقافة العربية الإسلامية.

سابعا:إهتمام المستشرقين بالثقافة العربية

1- الاهتمام بتاريخ ولغات وآداب العرب

إن الحضارة العربية نجحت في جميع شعوب قارات العالم وذلكفي ظل كيان ثقافي واحد وثرات علمي وفكري مترابط فالحضارة العربية هي اسمى ما عرفت الإنسانية في تاريخها الطويل فهي التي حفظت ما وصل إلينا من حضارات العالم القديم وأضافت إليه ماأسفرت من جهود أبنائها ثمبعد ذلك قدمته إلى العالم فكان ماقدمته إلى العالم أساسا لقيام حضارة قديمة.

فأدركت الشعوب الأوروبية أن الثقافة العربية لها أهمية كبيرة والثقافة العربية في نظر الغرب "أنها ثرات وفلسفة الإنسان والمجتمع"[1]،إذن فالحضارة العربية هي المحور الأساسي والمحرك العقلي لتاريخ العالم ولذلك وجهت أوروبا أنظارها وصوبت أفكارها وعززت وسائلها لدراسة العالم العربي الإسلامي فركزوا في بداية الأمر على الثقافة العربية.

2- الاهتمام بقضايا الإسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية):

وللثقافة العربية ناحيتان مهمتان وهي ناحية دينية من دراسة القرآن الكريم والحديث النبوي والفقه وناحية لغوية وأدبية تمثلت في الشعر والأدب وغيرهما لأن الجزيرة العربية هي منبع اللغة العربية ومولد الإسلام والعرب وهم الذين حملوا لواء اللغة العربية في أرقي اللغات السامية فقد أثرت على عقول وأرواح عامة الناس[2].

فثقافة أي أمة هي هويتها أما فيم يخص الثقافة العربية فلها شأن كبير على العالم وفيها الصدد فيقول أحمد عزت عبد الكريم "منذ أن خرجوا فاتحين مبشرين برسالة الإسلام والعروبة فاستقروا في ذلك الموقع وصنعوا عالمهم وتابعوا منه حمل رسالة الحضارة الإنسانية فأخذوا من الشرق والغرب فكانوا بذلك من أهم رسل الحضارة الى العالمين والعرب هم حلقة الوصل التي لابد منها لصلة، المدنية القديمة بالمدنية الجديدة[3]،وهذا اعتراف وتأكيد لفضل العظماء (العرب)، وهنا يحضرنا قول أحمد حسن الزيات الذييخبرنا

[1]- مالك بن نبي: مشكلات الحضارة، تر: عمر كامل سقاوي، عبد الصبور شاهين، شروط النهضة القدس، دار الفكر، سوريا، 2009، ص: 88.

[2]- ينظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط8، ص: 289.

[3]- أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث،دار النهضة، بيروت، ص: 12.

عن بعض المتشرقين الذين تعصبوا ضدالعرب ودعوا"أنه لم يكن للعرب، ثقافة فكرية ولا ثرات حضاري، ولا أصالة فكرية[1].

ولكنه ينتقد فكرهم ويأتي بحجج وبراهين، يدحض بها آرائهم، وأشاد بأثر العرب على أوروبا حينماكانت غارقة في دياجير الظلام والاضمحلال والانحطاط الفكري.

فمعرفة العرب بالأوربيين ومعرفة الأوربين بالعرب ظلت محدودة ولأن العلاقات بين العرب والأوربين كانت متأثرة بعوامل عدة تجعل أثرها محدودا فقد كانت منذ أن قامت علاقات غير ودية إذا لم نقل عدائية فقد نظرت أوروباإلى العرب على أنهم قوم خرجوا من جزيرتهم ينشرون دين جديدا ويحملون مفاهيم جديدة تخالف ماهم عليه،إذ وقفت أوروبا من العرب موقف الدفاع عن دينها وكيانها جميعا فأدركت أن هذا أن يكون بالقوة والسلاح بل بدارسة هذا العالم من جميع أطرافه اجتماعيا وسياسيا ودينيا وعقائديا وتاريخيا.

اهتم المستشرقونأيما اهتمام بالثقافة العربية منذ زمن قديم وحتى هذا العصر ومن هذا نستنتج أن الاستشراق هو اهتمام علماء الغرب بعلوم المسلمين وتاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعاداتهم ومعتقداتهم وأساطيرهم فقد ركزوا على ثلاث جوانب أولا دراسة الشخصية العربية الإسلامية والدين الإسلامي بكل أصوله وفروعه ثم عمدوا الى ترجمة المصادر والكتب،أعدوا دراسات حول الأدب العربي إضافة إلى ترجمة أعمال أدبية لكثير من الأدباء العرب وإنشاء دور التعليم ونشر الكتب والمجلات والمقالات وكل هذا كان نعمة على الغرب.

اعتني المستشرقون بدراسة عادات وتقاليد ولغات الشرقية وأهم شئ هو الآداب العربية والإسلامية والمستشرقون هم جماعة من المفكرين الغربيين المتخصصين في دراسة شؤون الشرق وأحوال الأمم فيه وعاداتها وعلومها وأديانها "بالإضافة الى افتتان هؤلاء بسحر الشرق والاطلاع على كل شيء فيه"[2]، ويسجل على المستشرقين نقص دراستهم للعالم العربي اجتماعيا واقتصاديا وكان العائق في ذلك اللغة العربية ومسألة تقسيم التواريخ إلى فترات زمنية.

[1]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 398.

[2]– سالم المعوش: الأدب العربي الحديث، نماذج ونصوص ، دار النهضة العربية ، بيروت،2011، (ط2)، ص: 111.

اعتبرت الثقافة العربية الوجه الأساسي لعصر النهضة فسعي الكثير من المستشرقين للغور في هذه الثقافة واختراق أفق الشرق الفكري ودراسة هذه الحضارات العظيمة بما فيها من دين سمح ومن لغة غنية بمفرداتها ومن أدب يغور بنبضات القلوب وخلجات النفوس تصل بالإنسانيةإلى بعد أفضل.

ارتكز الاستشراق في دراسة الثقافة الشرقية على ركيزتين أساسيتين تمثلت"في الناحية الحضارية التي مهدت لتطور الإنسانية والناحية الروحية المستمدة من الدين الإسلامي باعتباره مهدا للأديان السماوية وكذا الناحية الاقتصادية المتمثلة في ثرواتها الطبيعية[1].

كتب المستشرقون في شتى قضايا الإسلامابتداء من القرآن الكريم وتفسيره والكتابة حول السنة النبوية والتاريخ الإسلاميإلى الكتابة باللغة العربية وآدابها وشتى القضايا الإسلامية وحياة المسلم العربي من جميع نواحيها.

فالاهتمام بالدراسات العربية الإسلامية في أوروبا يتجدد ويتبلور بفعل تغير الدوافع "مثل توسيع العلاقات الدبلوماسية والتجارية لممالك أوروبا ومن جهة أخرى الاهتمام بالدراسات الإنسانية والاطلاع علىالآدابالأجنبية والتاريخ العالمي"[2].

نلمس من هذا الكلام أهمية الحضارة العربية وسعة الثقافة الشرقية بحيث استفاد الغرب من ينابيع هذه الثقافة واستسقوا منها علومها ومعارفهاوهذا يدل على فضل العرب والمسلمين على الحضارة الغربية وفي هذا يقول مؤرخ تاريخ الحضارات ول ديوارنت **(Will Durant)**عن حضارتنا الإسلامية "إن ابن سينا أعظم من كتب في الطب في العصور الوسطي، وأن الرازي أعظمأطبائها والبيروني أعظمالجغرافيين فيها وابن الهيثم أعظم علمائها في البصريات وجابر ابن حيان أعظم الكميائين"[3].

لقد كان نظير زيتون مصيبا حين قيم كتاب غوستاف لوبون **(Gustave Le Bon)**المعنون بحضارة العرب بقوله"ما عرف العرب في كل العصور مؤلفا أنصفهم وروى حقيقتهم كما صنع غوستاف لوبون عندما وضع سفره التاريخي العظيم في تأثيل الحضارة العربية وتمجيد الفتوحات الإسلامية حتى يتهمه

[1]– ايناش حسني: الاستشراق وحضارة الشرق، مجلة دبي الثقافية، دار الهدي، الامارات العربية المتحدة، العدد 62، 2020، (ط1)، ص: 55.

[2]– لويس نافع: حضارة أوروبا، ص: 14.

[3]– فاطمة هدي نور الاسلام واباطيل: الاستشراق، ص: 35.

من لايعرف المؤلف النزيه المتحرر أنّه يتزلف للعرب ويتملقهم بعدما صور الحضارة العربية بريشة المبدع الفنان"[1].

ونستشف مما سبق ذكره رغبة المستشرقين في الاطلاع على ثقافة الأمم الشرقية ودراستها بمنهج علمي يتسم بالأمانة والموضوعية لكن لاننسى تحاملهم ودسائسهم اتجاه البلاد العربية والإسلامية "فلقد تمكن المستشرقون من تحقيق انجازات معرفية وثقافية عامة في الشرق وساهمت بالتعريف بالثقافة العربية والإسلامية وتقدمها على المجتمعات الغربية والعالم"[2].

أفاد المستشرقون الثقافة العربية الإسلامية فائدة جليلة مخطوطا ومطبوعا لأن بعض الكتب القديمة"مثل كتب الطبري وابن الأثير قدطبعها المستشرقون ووضعوا لها فهارس شاملة كثيرة العون والفائدة"[3]، لذا لايمكن أن ننكر فضل المستشرقين في خدمة التراث العربي الإسلامي "في التاريخ والجغرافيا والفلسفة والمنطق والطب، والكيمياء والرياضيات، والعلوم والقانون، والنحو والصرف، واللغة والأدب شعره ونثره، والتراجم والدراسات الإسلامية(تفسيروحديث وفقه وقرءات) وغير ذلك[4].

وشكلت تلك الجهود دون مراءالأساس الذي اعتمد عليه العلماء العرب حين "بدأت اهتمامهم بتحقيق التراث فارتكز عملهم على تلك النسخ الأولى وعادوا إلى عدد أكبر من المخطوطات التي صارت متاحة ومعروفة، وأعادوا وتحقيق بعض تلك التحقيقات التي قام بها المستشرقون، وصوبوا وعدلوا ونقحوا، وأضافوا وعلقوا"[5].

كان للمستشرقين دور كبير في تأسيس المنهج العلمي في مجال العلوم الإنسانية،بعد أن قطعوا شوطا كبيرا في الترجمة، ونقل الكثير من،الكتب في مجال العلوم الإنسانية، فبذلوا جهودا كبيرة في تطوير مختلف جوانب حياتهم.

---

[1]- فريد جحا: كتب أنصفت حضارتنا،ص: 75.

[2]- نديم النجدي: أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، ص: 40.

[3]- أحمد شلبي: كيف نكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية لأصباحها حسين وأولاده، القاهرة، 1967، (ط6)، ص: 56.

[4]- محمد عويني عبد الرؤوف: تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوروبي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008،(ط1)، ص: 372.

[5]- المرجع نفسه، ص: 373.

فصورة الاستشراق بمثابة، مشهد انعكاس لواقع الشرق، وكشف أسراره وابراز آثاره،فحركة الاستشراق هي حركة متواصلة الحلقات يحاول الغرب التعرف على الشرق، علميا وفكريا وأدبيا، ثم استقلاله اقتصاديا وثقافيا، واستراتجيا، جعله منطقة نفود له يسيطر بها علىالعالم بأسره.

ينقسم المستشرقون في موقفهم من الثقافة الإسلاميةإلى فريقين فهناك المادحين لهاوطبقة المنتقدين لها، المشوهين لسمعتها ومن المؤكد، أن الطبقتين معا كان لهما تأثير واضح على مجري الفكر الأوروبي اتجاه الثقافة الإسلامية، ويكاد يضيع ما ذكره المادحون لثقافة الإسلام، في غمار ما ذكره ذلك التيار التعصب الأهوج، إن لم يكن له تأثير عكسي من حيث إغراء المتعصبين لمزيد من الطعن والدس والتشويه[1].

كان للمستشرقين عدة محاولات في الافتراء على ثقافتنا الإسلامية العربية إضافةإلى الكثير من الآراء الزائفة التي أذاعوها، حول علوم وعلماء وتاريخ وحضارة الإسلام.

يتبين لنا أن الاستشراق عنى بكل ما يتعلق بالشرق عامة، وسعى وراء كل مايتعلق بالعرب خاصة، وبحث في كل ما يتعلق بالإسلام بوجه أخص حتى يبدو وكأنه كله قد انحصر، في دراسة حضارتهم وآثارهم وفلسفتهم وفنونهم، ولغتهم وأدبهم على السواء.

ومن هنا يستطيع القول بأن الدراسات الاستشراقية قد أثرت في جميع تلك الميادين حيث كشفت عن المخلفات لم تكن معروفة، وساعدت على نشر المخطوطات القيمة وترجمت طائفة من نفائس المكتبة العربية، وذخائرهاإلى اللغات الأوروبية الحية من انجلزية وفرنسية[2].

ومع أن الاستشراق ومجال الدراسات الاستشراقية "كان مقتصرا في بداية ظهور على دراسة الإسلام وحضارته واللغة العربية، وآدابها فإن دائرته اتسعت فيما يبدو وأخذت تستوعب دراسة الشرق، كله أي لغاته وأديانه وعاداته كما وأن ظل الدين الإسلامي يستقطب اهتمام المستشرقين في دراساتهم[3].

فالمستشرقون حققوا انجازات علمية ومعرفية وثقافية هي بصورة عامة لصالح العرب والمسلمين، فالمستشرقون هم الذين عرفوا بالثقافة العربية الإسلامية، وقدموها إلى المجتمعات الغربية والعالم، ممارفع مكانة العرب والمسلمين إذ أخذ العالم ينظر إليهم كأمة ذات حضارة، عريقة لقد أسهمت جهود المستشرقين

[1]- ينظر: عمر الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، (ط14)، ص: 187.

[2]- ينظر: أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 548.

[3]- مجلة المعيار: دورية محكمة تعني بالدراسات الإسلامية والاجتماعية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد 10، سبتمبر 2005، ص: 1.

بصورة جوهرية، في تحسين صورة الشرق، وذلك بتقديمه على الرأي العام الغربي والعالمي، كموطن لشعوب ذات حضارة راقية لاكشعوب همجية بربرية، مثلما تدعي الأوساط الاستعمارية والصهيونية، وبهذا الخصوص كان هناك تعارض بين جهود المستشرقين، التي أبرزت منجزات الحضارة العربية وبين المساعي الاستعمارية الصهيونية، التي صورت العرب كهمج.

متوحشين وسوغت بذلك قيامها استجابة لبلدانها، واحتلالها ونهبها ولا أظن أن أحدا يجهل ما قاله مؤسس الحركة الصهيونية:تيودور هرتزل **(Theodor Herzl)**، بخصوص الدولة الصهيونية التي ادعت أنها "ستكون قبلة للحضارة والديمقراطية، وسط بحر الهمجية والبربرية السائدتين في الشرق"[1].

[1]- عبد عبود: الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، مصر، 1999، (دط)، ص: 145.

ثامنا: أهداف الاستشراق

إن للمستشرقين دور فعال في خدمة اللغة العربية وآدابها حيث سخروا جهودهم، في فتح المعاهد والتدريس والبحث وحفظوا في خزائن مكتباتهم، فألفوا دوائر المعارف الإسلامية بلغاتالانجلزية، والفرنسية، والألمانية ونهجوا تدريس الأدب العربي في جامعات بلدانهم "إن هذا الاهتمام الواسع بالدراسات العربية هو بلا شك اعتراف بأن اللغة العربية هي اليوم من أكثر اللغات اتساعا، كما أنه اعتراف بأهمية الحضارة الإسلامية ويمكن القول بأن التوسع في الدراسات العربية، ليس مبعثه أدبيا بحتا وإنما تكمن خلفه دوافع سياسية"[1]،وضعف الدولة العثمانية (الرجل المريض) كان قد أثار جشع الدول الأوربية الكبرى لاقتحام، تلك الامبراطورية المتداعية، وهذا يحتاج مجموعات وخبراء في اللغات الشرقية، يقومون بدورهم في انجاز الأعمال السياسية والتجارية،والعسكرية إذ أن الشعار(المعرفة القوة) المرفوع على مبني، كلية لندن للدراسات الشرقية والإفريقية، ليوضح ذلك بكل صراحة[2]،فلقد ركزوا على اللغة العربية لأنها المحور الأساسي للمجتمع العربي والإسلامي "وتعتبر اللغة العربية عاملا أساسيا من عوامل العروبة والإسلام، واللغة هي قاعدة أي ثقافة وأساسها، وتجدر الإشارة إلى أهمية اللغة العربية وأثرها العميق على الإنسانية، خاصة الحضارة الغربية، حتى استطاعت أن تمهدللانطلاق الحضاري الأوروبي في العصور الوسطى"[3]،فمعرفة اللغة العربية هي السبيل الوحيد للغور في الدراسات العربية ومعرفة ظاهرها وباطنها ومن أبرز الدوافع الأخرى للدراسات العربية في أوروبا هي "نهضة دراسات التوراة بعد الإصلاح الديني البروتستانتي حيث أدرك عدد من الباحثين مدىأهمية العربية في فهم العبرانية كتاب التوراة(العهد القديم)،ويعتبرالبرت شولتنز الرائد الأول في القول بأن اللغة العربية هي مفتاح دراسة الكتب المقدسة، وقد عين أستاذا للغات الشرقية في ليدن"[4]، وهكذا نرى أن المستشرقين اعتنوا باللغة العربية عناية خاصة، لاسيما اللغة العربية الفصحى"، قد كانت اللغة العربية الفصحى، ميدانا لأبحاث عديدة قام، أساتذة عرب، وأساتذة مستشرقون حاولوا فيها دراسة ظواهرها وتتبع تفاصيلها ونقد نظمها سواء أكان ذلك في نطاق الفصحى فحسب أم في تناول لهجاتها أيضا"[5]،فاللغةالعربية ثروة كبيرة

[1]- لويس نافع: حضارة أوروبا، ص: 18.

[2]- المرجع نفسه، ص: 18.

[3]- حسان حلاق: قضايا العالم العربي، دار النهضة العربية، بيروت، ص: 41.

[4]- لويس نافع: حضارة أوروبا، ص: 16.

[5]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 660.

وهي تمثل أحد مقومات العالم العربي الإسلامي فبزوالها لايبقي للعربي والمسلم، قوام يميزه عن سائر الأقوام، ولايعصمه على أن يذوب في غمار الأمم فلا تبقى له باقية من بيان ولاعرفولا إيمان[1]، وفي أواخر القرن التاسع عشركانت معظم الدول الأوربية تعد لتدريس اللغة العربية والقيام بالبحوث الإسلامية في معاهدها العالية "وشهد القرن العشرون توسعا في تدريس العربية حتى إذا كان منصف القرن،كانت العربية موضع دراسة في الجامعات الغربية التالية أمستردام، برشلونة، بلغراد، برلين،بون، كامبردج، غرناطة، أوكسفورد، ليون، موسكو، سيدني وغيرهم"[2]،لقد كان لهذه الجامعات دور فعال في نقل الآداب العربية واستخدام اللغة العربية كأداة للتفاهم والتعلم.

ومن المهتمين باللغة العربية في العصور الوسطى بدرودي الكالا**(Pedro de Alcala)**الذي كلفة مطران غرناطة عام (1499) أن يضع قاموسا اسبانيا عربيا، يسترشد به المبشرون في غرناطة فبحث في العامية، وليس الفصحى تلك العامية وأضاف نشر قواعد لتلك العامية[3]، ولكن مع السنين تضاءل الاهتمام باللغة العربية، بعد أن تلاشى وجود العرب والمسلمين في اسبانيا.

إن اهتمام باللغة العربية ظل أحد مميزات الدراسات الاستشراقية فقد ألفت، الكثير من الكتب في اللهجات العربية والشعر والنثر والأدب الجاهلي، وترجمات للقصص والمقامات العربية.

لقد تفرغ المستشرقون للبحث ووضعت تحت أيديهم المكتبات العامرة بالأبحاث والمخطوطات النادرة، وكلهم يعرفون عدة لغات غربية وشرقية، فكان من الطبيعيأن تتسم أثارهم بسمات التحقيق والاطلاع ومراجعة الأصول والمخطوطات واشتهروا بتحقيقاتها اللغوية وأبحاثهم في أصول اللغات، وفن اللغة وحتى اللغات السامية، واكتشافاتهم الأثرية في البلاد العربية، التي ألفت على نمط كتبهم والدراسات الأدبية وتاريخ الأدب بصورته، التي تعرفها اليوم وهي أثرمن آثارالمشرقيين ويتضح ذلك في الكتب العربية التي ألفت على نمطهم ككتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان الذي اتبع طريقة كارل بروكلمان**(K-Breklmane)** في كتابه تاريخ الأدب العربي الذي يعد عملا رائدا ولم يقف عند هذا الحد بل أصدر ملاحق عديدة سجل فيها تطور للآداب العربية في عصرنا هذا.

---

[1]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 667.

[2]– لويس نافع: حضارة أوروبا، ص: 18.

[3]– المرجع نفسه، ص: 14.

وكما نعلم أن اللغة العربية،هي الإناء الحاوي والملم للأمم، لذا أدرك العرب أنه لا سبيل للقضاء على المسلمين إلا بالقضاء على لغتهم، لأنها هي التي تجمعهم "لقد أدرك أعداء الإسلام، أن القضاء على وحدة المسلمين لا يمكن أن تتم ما دامت هناك، لغة واحدة يتكلمها المسلمون ويربطون بها حاضرهم بماضيهم ذلك أن اللغة العربية هي تراث الأمة وقوميتها"[1]، فقد كانت اللغة العربية محط أنظار الغرب إذ يؤكد كثير من الباحثين أن اللغة العربية لغة عالمية واسعة تحتل كثيرا من الألفاظ والهدف، من تعلم اللغة العربية "هو التوغل في معرفة تفكير العرب ويقول أحد الأدباء أن الإستشراق يرمي من وراء ذلك إلى غايتين، حماية الإنسان الغربي من أن يرى نور الإسلام فيؤمن به وثانيا معرفة الشرق ودراسته أرضه وأهله ورجاله وعلمه، ودينه وعقائده"[2].

ومن هذا الكلام نستدل بما حدث للجزائر من ويلات الاستعمار الفرنسي وهنا نستشهد بقول أبو القاسم سعد الله "عندما يذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر يتبادر إلى الأذهان موقفه، من اللغة العربية والمشهور عنه أنه حارب اللغة بمختلف الوسائل، حتى عجم لسان أهل الجزائر وكاد وفرض عليهم لغته الفرنسية"[3]، وهذا ما نلمسه الآن في وقتنا الحالي أن جل الجزائرين يتكلمون باللغة الفرنسية، فلقد سخرت فرنسا طاقتها على اللغة العربية، وأرادت القضاء عليها وذلك للوصول إلى أهدافها وتحقيق مصالحها.

لهذا حاول المستشرقون القضاء اللغة العربية، وإحلال العامية محلها "وقد تبني لويس ماسينيون **(Louis Massignon)** هذه الحركة وجند لها الدعاة في مصر من أمثال، سلامة موسي وزكي نجيب محمود وغيرهم، من الذين أشاعوا أن اللغة القرآن الكريم، والسنة النبوية،لا تساير حاجات العصر، ذلك يجب علي المسلمين أن يهجروها ويتحدثوا باللغة العامية بحيث تصبح هي اللغة الشائعة"[4]،لقد ذكرنا سلامة موسى أنه من دعاة التغريب وقد التمس من من معلمه طه حسين فكره ومنهجه كما تتبع الخلفية التي تنطلق منها، أفكار طه حسين، فنجده يقول فينا يخص اللغة العربية "لنا من العرب ألفاظهم ولانقول

[1]– سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص: 103.

[2]– ينظر: كلية التربية: قسم الثقافة الإسلامية، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمنالقاسم، 1424، ص: 23.

[3]– أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 22.

[4]– سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص: 103.

لغتهم، بل لا أقول كل ألفاظهم، فإننا ورثنا عنهم هذه اللغة العربية، وهي لغة بدوية تكاد تكمل الأداء إذا تعرضت لحالة مدنية، راقية كتلك التي تعيش ظهرانينا الآن[1].

ويرجع أنور الجندي هذا الاهتمام الكبير باللغة العربية ونشر العامية لأسباب منها التأثير في البيان العربي، وذلك بالتقليل من دراسة التراث بحيث لايستطيع الباحث أن ينظر في كتب السلف الكبرى، وبذلك يتم القضاء على القدرة الذهنية، في التمييز بين الصواب والخطأ،في المناظرة، فالناظر في كتاب الآمدي يجد أنه يجعل الفكرة في متن لايتجاوز سطر ثم يناقشها، في أربعين صفحة، هذا العطاء الفكري الذي يخاف المستشرقون منه هذه القدرة الجدالية، التي تستطيع أن تدافع عن الإسلام لذلك كان التوجه للقطع بين المعاهد الإسلامية الكبرى وبين كتب التراث الأصلية التي تنمي القدرة العلمية[2].

وكما نعلم أن أنور الجندي تصدى للفكر الغربي والاستشراقي والتغريبي، فأقبل على مايصدر منه فكان بمثابة الراصد للشبهات المطروحة كاشف عن السموم التي طفحت عل الفكر العربي.

فقد أرادوا إحياء اللغة العامية في البلاد العربية للإنقاص من الفصحى لغة القرآن ،إجراء محاولات لتعديل النحو أو ما يسمى اللغة الوسطى، أو الكتابة الميسرة، وكلها ترمي إلى، إيجاد فجوة بين اللغة العربية الفصحى وشخصية المسلمين، باعتبار أن اللغة العربية الفصحى هي أساس الشخصية العربية، كما أخضعوا مفاهيم الإسلام وقيمه للتفسير المادي والتفسير الماركسي، وللمفاهيم الغربية.

ونجد مصطفي السباعي يخبرنا أنهم شككوا "في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور العلمي ولتظل عالة، على مصطلحا تهم التي تشعرنا بفضلهم، وسلطانهم الأدبي علينا، وتشكيكهم في غنى الأدب العربي،إظهاره مجدبا فقيرا لنتجه لآدابهم، وذلك هو الاستعمار الأدبي"[3].

قام الاستشراق ببحوث ودراسات، في قضايا التراث الإسلامي في العقيدة والفقه والشريعة وفي التاريخ السياسي وفي الفلسفة وفي الاجتماع.

وهذه الدراسات "قام بها قساوسة ولاهوتيين بتكليف من الكنيسة، ومن وزارات خارجية يدعون فيها التزامهم بمناهج البحث العلمية وكما قد يدرسون قضايا أدبية أو لغوية، ومعظم نتائجهم ترجع إلى

[1]- ينظر: أنور الجندي: تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميين، 1920-1940، دار لاعتصام، القاهرة، 1988، ص: 176.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 13.

[3]- مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص: 29.

سوء فهم اللغة العربية والتراث العلمي، وإما أن تعود إلى قصد التحريف في مبادئ العقيدة وبالأخص في دائرة ما يختلف فيه القرآن من التوراة والإنجيل"[1]، وفي موضع آخر يقول عمر فروخ كانت الغاية الأولى من هذا الاستشراق هو معرفة اللغة العربية خاصة، ذلك لأن اللغة العربية هي الوسيلة الأساسية للسيطرة على الشعوب المحكومة أو الوصول إلى تفهيم شعب عقائد، شعب آخر[2].

وحسب واقعنا المعاصر المعاش نرى أنهم نجحوا في القضاء على اللغة العربية إذ أصبحت تدرس وتعرض وتنطق فقط في المدارس والمعاهد والمساجد، أما في حياتنا اليومية فنحن نتعامل باللغة العامية، وهذا ظاهر في بلدنا الجزائر وحتى مصر التي يظهر هذا جليا في مجتمعها.

للإستشراق جملة من الأهداف والمرامي، ومنها الدينية والاستعمارية، والعلمية والاقتصادية، والتجارية وسوف نوضحها بالتفصيل:

1- الهدف الديني: يجمع الباحثون المسلمون على أن أهداف الاستشراق في بداياته هدف ديني محض، وكان سبب ظهوره هو إحساس الغرب بفقدان السيطرة، علىالإسلام الذي غزى أوروبا، فلقد أذهل المسيحيون المد السريع للإسلام والذي "زحف على المعاقل المسيحية ويطرق أبوابها من هنا، فكرت البابوية في روما في مواجهة هذا الزحف بالتبشير المضاد بالمسيحية في البلاد الإسلامية، نفسها واستعادة ما يمكن استعادته"[3]،إذا جهزت أوروبا عن طريق الاستشراق الرهبان والقسس لدراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية ليحققوا غايتين "الأولى انتزاع مقومات الفكر الإسلاميوذلك بالتشكيكفيه، وإثارة الشبهات حوله،كوسيلة لفرض الثقافة الغربية،التي تحاول تطويق الثقافة الإسلامية وصهرها في بوتقة الثقافة الغربية وثانيا محاولة إسقاطالنفوذالإسلامي وتطويقه حتى لا ينشر في أماكنأخرى من العالم الغربي فلقد كان الإسلام[4]، هو العدو اللدود للغرب، فكثير من المسحيين من تراجعوا عن ملتهم، وأعجبوا بالإسلام وفي هذا يقول:محمد عبد الفتاح عليان "كان الباعث الأول للاستشراق دينيا، إذ أدى التفوق العسكري والحضاري للمسلمين، التي تحول أعداد كبيرة من المسحيين النصارى للإسلام، كماأن كثيرا ممن بقوا علىنصرانيتهم أعجبوابقرار ترجمة

[1]- محمد البهي: الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة: مكتبة وهبة، القاهرة،1981، (ط1) ص: 30.

[2]- ينظر: كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمنالقاسم، 1424، ص: 13.

[3]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 49.

[4]- سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر، ص: 90-91.

الثرات الإسلامي، بقصد التشويه وحجب محاسنهم للجماهير المسيحية"[1]، إنَه ليس غريبا أن يكون هدف الاستشراق الأساسي هو الحفاظ، على دين الأوروبين النصراني، ولن يحدث هذا إلا إذا وصلت صورة الإسلام، مشوهة ومحرفة إلى العالم الغربي، وكل هذا خوفا من أن يفقد الرهبان الزعامة من بلدانهم.

والهدف الديني يعد جزءا، من الأهداف الصليبية التي تهدف إلى توحيد حملات التنصير، وتشويه الحقائق الإسلامية رغبة في تشكيك المسلمين في دينهم،وقيمة إرثهم الحضاري وهكذا أصبح الهدف الديني عاملا أساسيا لانتشار الاستشراق، في العالم،إذن السبب الرئيسي المباشر الذي دعا الأوروبين، إلى الاستشراق هو السبب الديني بالدرجة الأولى.

والتبشير والاستشراق قسمين مشتركين للغرب فإن لنتيجة إرساليات، التبشير، وجهود الإستشراق في البلاد الإسلامية ميزتين أساسيتين، مزية تشيد ومزية هدم "لقد عمل التبشير على محاربة الإسلام ودعوته والقضاء على الحركات الإسلامية باعتباره (التبشير)أداة من أدوات الاستعمار، فهو يعمل على إظهار الغرب المسيحي بمظهر المحبة والسلام والنور، واتهام الإسلام وتاريخه بأنه العداوة والظلام والجهل"[2].

فالاستشراق أعظم خادم للتبشير في العالم خاصة العربي وكما نلاحظ أن الاستشراق لم يقتصر علي الإسلام، بل توسع في دراسة الآداب والعلوم الإسلامية بشكل عام، ولو تفحصنا مخططاتهم لوجدنا أن الاستشراق يسعي لمعرفة الإسلام ومن ثم بث الشبهات عليه، حيث يقول **يوهان فوك**(**Fuck .J**) "لم يكن هدفهم علميا، محضا بل إنهم أرادوا الرد علىالإسلامونشر التبشير"[3]،بين المسلمين ودعوتهم إلى المسيحية عن طريق تراجم عربية للإنجيل.

ولو بحثنا ماهي أوائل الكتب التي ترجموها الغربيون لوجدنا أن القرآن الكريم من أوائلها، ويمكن تقسيم الهدف الديني هنا إلى ثلاثة عناصر تصب في هذا الهدف:

العنصر الأول:إضعاف المد الإسلامي في أوروبا**ثانيا** نشر المسيحية بين المسلمين، **ثالثا** فهم ما غمض من الكتب المقدسة والقديمة لسائر الأمم والحضارات.

---

[1]– محمد فتاح العليان: أضواء على الاستشراق، دار البحوث، الكويت، 1400هـ، ص: 43.

[2]– عبد القهار داود عبد العاني: الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، 2001، ص: 29.

[3]– كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، أهداف الإستشراق، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمن القاسم، 1424، ص: 8.

فبالنسبة للعنصر الأول إضعاف المد الإسلامي في أوروبا يقول أكبر مستشرق في التاريخ العربي كيتاني (**Caetani**)الذي رحل إلى الهند وإيران ومصر وسوريا ولبنان وأنفق ماله وجهده في تاريخ الفتح الإسلامي في مقدمة كتابه "حوليات الإسلام"فهو يريد أن يفهم سر المصيبة الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتى أنحاء الأرض[1].

ونستشهد كذلك بالمستشرق لويس ماسنيون (**Louis Massign**)،وهو مستشرق مشهور لايضارعه في مكانته أحد فقد اهتم بالدراسات الإسلامية لاسيما التصوف عند الحلاج بالتراث الديني الإسلامي وكان من ثمار الرحلات التي قام بها للشرق لاسيما مصر والعراق والجزائر "عدة مقالات منها هجرات الموتى في بغداد، والمعركة الأخيرة بين الرفاعية والقادرية، ودراسات لمخطوطات قي مكاتب بغداد ونشرت في مجلة العالم الإسلامي"[2].

ومن هنا نستشف أن الاستشراق بدأ من تشجيع من الكنيسة فحتما سيكون الهدف الديني في قائمة الأهداف، لأن النصارى أقبلوا على الدين الإسلامي لسماحته، ولأنه نظام كامل للحياة كما وأن النصارى خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصارى فكان لزاما أن يقفوا في وجه الإسلام، لأن الإسلام طبقات لرجال الدين، فقد كانت جل كتابات النصارى في بدايتها مليئة بالحقد والتعصب وذلك لتشويه الإسلام وإبعاد النصارى عنه.

2- الهدف العلمي: وهو له شأن عظيم في حركة الاستشراق لأن الغرب كان منغلقا على نفسه في القرون الوسطى غير متصل بالعالم من حوله "ولما وصل المسلمون إلىالأندلس وبدأت أوروبا ترسل أبنائها للتعلم في مدارس المسلمين أحد[3]، قد بعث هذا الفتح يقظة لأوروبا حضاريا وفتح للغرب آفاقا جديدة للتقدم والرقي.

[1]- ينظر: كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، أهداف الإستشراق، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمن القاسم، 1424، ص: 10-11.

[2]- عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، (دط)، (دت)، ص: 191.

[3]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، ص: 529.

وقد كان حب الاستفادة من علوم العرب وتفهم حقيقة دينيهم، باعثا لدراسة شاملة للإسلام، وكان علماء أوروبا يحاولون الأخذ والاستفادة مما أنجزه العرب من اكتشافات جديدة وتجارب علمية[1]، إذن فقد اهتموا بأمرين قراءة الإسلام، والغوص في علومهم المكتشفة "إذ أدرك الغرب خلال الحروب الصليبية مع الشرق أنه يتفوق عليه فكريا وحضاريا واقتصاديا، فإذا أراد أن يتقدم ويتحرر، فلابد أن يسير في الطريق الذي سارت فيه شعوب الشرق قبله، ولذلك شرع في إنشاء المدارس والمعاهد والمراكز،وفي تعلم الحضارة العربية التي كانت من أقوى البواعث لنهضة المسلمين العلمية والفكرية"[2].

فنستنتج أن أوروبا مكان لها أن تتقدم، وتنهض نهضتها دون أن تأخذ بأسباب ذلك وهو دراسة منجزات الحضارة الإسلامية في جميع المجالات العلمية، بالرجوع إلى قوائم الكتب التي ترجمت إلى اللغات الأوروبية فهم لم يتركوا مجالا واحد إلا ودرسوه "حيث أن الاوروبين أرادوا أن ينزعوا عن جهلهم، وتخلفهم فأرسلوا البعثات العلمية المنظمة، ومنها البعثة الفرنسية، برئاسة الأميرةإليزابيثابنة خالة لويس السادس ملك فرنسا، والبعثة الانجليزية برئاسة الأميرة دوبان ابنةالأمير جورج صاحب مقاطعة وليز"[3]، لقد استفادت أوروبا من هذه البعثات العلمية، وعادت عليها بالنفع والتطور والازدهار حيث أصبح أفرادها بعد عودتهم، شعلة علمية مضيئة للعالم الغربي.

هناك مجموعة من المستشرقين اندفعت إلى الشرق العالم الإسلامي نتيجة للانبهار بالحضارة، والتاريخ الإسلامي والعقيدة الإسلامية، التي بنيت على التسامح مع الآخرين الأمر الذي لا يتحقق في إطارالديني الواحد، في المسيحية بالغوص في العلوم الإسلام.

وانتهي المقام بالكثير أن يخرجوا من مكانة الاستشراق ويصيحوا في عداد المسلمين للإيمان برسالتهم والانصراف عن الاستشراق، وهؤلاء لم تكن غايتهم مضرة بالإسلام[4].

قسم مصطفي السباعي هدف الاستشراق العلمي إلى قسمين:هدف علمي مشبوه والآخر خالص لا يقصد منه إلا البحث والتمحيص، أما فيما يخص الهدف العلمي المشبوه فهو إنكار النبوة والتشكيك

---

[1] ينظر: كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، أهداف الاستشراق، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمن القاسم، 1424، ص: 45- 46.

[2] – أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 74.

[3] – سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص: 92.

[4] – ينظر: مصطفي السباعي، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، دار الوراق والنشر والتوزيع، بيروت، 1991، ص: 27.

في صحة رسالة النبي صلي الله عليه وسلم وحتى في مصدرها اللاهي، فجمهورهم ينكر أن يكون الرسول صلي الله عليه وسلم نبيا موحى إليه من عند الله ويتخبطون، في تفسير مظاهر الوحي التي كان يراها أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم أحيانا، وخاصة السيدة عائشة أم المؤمنين منهم، من يرجع ذلك إلى صرع كان ينتاب النبي حينا بعد حين وكان إنكارهم لنبوة النبي تعنتا مبعثه التعصب الديني الذي يملأ نفوس أكثرهم كرهبان وقسس ومبشرين[1]،وأكد نولدكه(**Noldeke**) بقوله "إن السبب الوحي النازل علي محمد صلي الله عليه وسلم والدعوة التي قام بها هو ما كان ينتابه من داء الصرع"[2].

لقد حاول الاستشراق الغض من عظمة الدعوة الإسلامية بإثارة الشبهات المتعددة منها"التشكيك في صحة الحديث النبوي الذى اعتمده علماؤنا، المحققون،ويتذرع،هؤلاء المستشرقون بما دخل الحديث النبوي من وضع ودس، وكل راجع إلي عدم تصديقهم بنبوة الرسول ومنها تنبعث كل تخبطاتهم وأوهامهم"[3]، فقد شككوا في عالمية الرسالة الإسلامية بالقول إنها موجهة إلى العرب فقط وكذا التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي.

"هذا التشريع الذي لم يجتمع مثله، لجميع الأمم في كل العصور فهم في بادئ،لم يؤمنوا بنبوة الرسول، فلم يجدوا بدا من الزعم، بأن هذا الفقه العظيم مستمد من الفقه الروماني"[4]، فلقد حاولوا الإدعاء بوجود صلة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني ولكن الدراسات تؤكد عكس ذلك،تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري إذ يدعون أن الحضارة الإسلامية،منقولة عن الحضارة الرومانية ولم يكن العرب المسلمون إلا نقلة لفلسفة تلك الحضارةوأثارها، أي لم يكن لهم إبداع فكري ولا ابتكار حضاري[5]،هناك العديد من الشبهات والسموم التي أثيرت في مجال التاريخ والعلوم والتراث إذن فالاستشراق أكبرخطر، جاثم اليوم على صدر الفكر الإسلامي.

---

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 25.

[2]- حنيف عبد الودود بن مقبول: مصدر القرآن الكريم عند المستشرقين،ص: 55-56. نقلا عن ندوة القرآن الكريم في الدراسات الاستشراقية (16-1427/10/18هالموافق لـ :2006/11/9/8م)، المملكة العربية السعودية.

[3]- مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص: 29.

[4]- المرجع نفسه، ص: 29.

[5]- ينظر: مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم ، ص: 30.

قدم الاستشراق صورة مضللة عن الإسلام وعمل على توسيع شقة الخلافات المذهبية بين المسلمين بينما المعروف أن هذه الخلافات لم تصل إلى ما وصلتا إليه بين فرق الأديان الأخرى وخاصة المسيحية فهم يسعون لإضعاف روح الأخوة بين المسلمين "في مختلف أقطارهم عن طريق إحياء القوميات، التي كانت لهم، قبل الإسلام وإثارة الخلافات والنعراتبين الشعوب"[1]، فقد حاولوا أثارة الفتن الطائفية في العالم الإسلامي لتمزيق البلاد الإسلامية إلى دويلات تقام بينهما حدود مصطنعة.

الصنف قليل عدده جدا ومن يؤدي بهم البحث الخالص لوجه الحق إلى اعتناق الإسلامأما بنسبة للهدف العلمي الخالص الخاص بدراسة التراث العربي والإسلامي، وهذا والدفاع عنهكما فعل المستشرق الفرنسي (دينيه)الذي عاش في الجزائر فأعجب بالإسلام وأعلن إسلامه وسمي نفسه ناصر الدين، وله كتاب أشعة خاصة بنور الإسلام بين فيه تحامل قومه علىالإسلام ورسوله وقد توفي هذا المستشرق المسلم بفرنسا ونقل إلى الجزائر.

3- الهدف السياسي:لقد خدم الإستشراق الأهداف السياسية والاستعمارية للدول الغربية ومازال الارتباط بين العالم العربي والإسلامي، إلى يومنا هذا "ولا يصلح هذا الاتصال المباشر مع الغرب إلا من له تأهيل لغوي ومعرفة،بعقائد وعادات البلد الذي يتعامل معه"[2]، فكثير من المستشرقين كانوا يعملون في وزارات وكانت لهم مناصب في الدول يسعون، من خلالها إلى دراسة الشرق، ويوجد عدد كبير من الباحثين الغربيين دفعهم حب العلم لدراسة الشرق والعالم الإسلامي، فقد أنشأت مدارس ومعاهد وجامعات مختصة في أوروبا بالدراسات الشرقية.

وقد لخص ادوارد سعيد في أكثر من موضع في كتابه الاستشراق بقوله "وما أطرحه هنا هو أن الاستشراق كان مذهبا سياسيا، ومورس إداريا على الشرق، لأن الشرق كان أضعف من الغرب الذي يساوي، بين اختلاف الشرق وبين ضعفه"[3]، فقد بين لنا أن المسألة الرئيسية بالنسبة للمستشرقين، هي أن يبقوا الشرق والإسلام، تحت سيطرة الرجل الأبيض (أمريكا) أي فوقية الغرب عن الشرق.

[1]- المرجع نفسه، ص: 31.

[2]- المرجع نفسه، ص: 46.

[3]- مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، ص: 30-31-32.

4- الهدف الاستعماري:يعتبر الاستشراق تمهيدا للاستعمار، وهناك علاقة قوية بينهما من ناحية أن الإستشراق،كان يدعم الاستعمار بالمعلومات، والاستشارات والنصح وكذا التأييد، ويؤكد هذا محمد حمدي زقزوق، بقوله "وقد استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين، لخدمة أعراضه، وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين،وهذا مامكن المستشرقين لخدمة أغراضه، وتحقيق أهدافه وتمكين سلطانه في بلاد المسلمين وهكذا نشأت هناك رابطة رسمية وثيقة بين الإستشراق والاستعمار.

وانساق في هذا التيار عدد من المستشرقين ارتضوا،لأنفسهم أن يكون عملهم وسيلة لإذلال شأن الإسلام وقيمته"[1].

إذن فالمستشرق يخضع الشرق وأهله فكريا، قبل أن يخضعه المستعمر عسكريا، وفي هذا يؤكد هذا القول عمر فروخ "لاشك في أنه كان للاستشراق صلة بحركة الاستعمار في العصر الحديث ...فالإستشراق إذن قد نشأ أولا في سبيل التبشير، وفي سبيل الاستعمار والدليل على ذلك أن الإستشراق، قد نشأ في الدول الكبيرة القوية ذات المطامع في التوسع في الأراضي وفي الدول التي أصبح، لهم فيم بعد مستعمرات انكلترا، فرنسا، وألمانيا،وإيطاليا[2]، ويعد ضعف المسلمين وبعدهم عن دينهم قمة الرغبة في التوسع، والاستيلاء علي البلدان الإسلامية، التي تحتل مركز الثقل في العالم يقول لورانس براون (**Bronw**) "أن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلاموفي قدرته على التوسع ولإخضاع في حيويته إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الغربي"[3].

فإن الدول الغربية كان ولازال اهتمامها الرئيسي، بالعالم العربي ودراسته من كل جوانبه وذلك من أجل غايتين التبشير ونشر المسيحية، والثانية تحقيق الأهداف الاستعمارية "منذ فشل أسلوب القوة العسكرية أثناء الحروب الصليبية بني الاستعمار حركة الاستشراق واستعان بالمستشرقين واعتبرهم طلائع الذين يتعرفون علي الأفكار ويقومون بالدعايات وإثارة المنازعات وإشعال الخلافات كما قام المستشرقون بالتجسس على البلاد والتعرف على أحوالها وكتابة التقارير عنها"[4]،فنستشف من هذا الكلام أن أكثر

---

[1]- علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1983، (ط1). ص: 53.

[2]- كلية التربية، قسم الثقافة الإسلامية، إشراف سعد الدين الحميد، إعداد عبد الحكيم بن عبد الرحمنالقاسم، ص: 34-35.

[3]- مصطفي السباعي: الاستشراق والمستشرقون، ص: 18.

[4]- سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص: 91.

المستشرقين، لم يكونوا علماء بحق وإنما كانوا سياسيين ينفذون رغبات الاستعمار الغربي، وبالإجماع فالمستشرقون في عامتهم لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيسا أو استعماريا أو يهوديا، وقد يشد عن ذلك أفراد قلائل.

5- الهدف الاقتصادي والتجاري:كما نعلم أن أوروبا بدأت نهضتها العلمية والصناعية والحضارية، وكانت في حاجة إلى المواد الأولية الخام لتغذية، مصانعها وأسواقها لتصريف بضائعهم، فكان الشرق الإسلامي،الملجأ الوحيد فركز الغرب أولا على استغلال موارد البلد المستعمر،ثانيا العمل على تسويق وبيع المنتجات الأوروبية والسيطرة على خيرات البلاد العربية،وترويج أسواقهم ومنتجاتهم.

6- هدف ثقافي:سعى من خلاله المستشرقون إلى نشر الثقافة الغربية انطلاقا من النظرة الاستعلائية، ومن أبرز نشاطات هذا الهدف نشر اللغات الأوربية ومحاربة اللغة العربية، وصبغ البلاد العربية والإسلامية، بالطابع الغربي الثقافي، والهدف الأساسي وهو نشر العامية والدعوة إليها.

بعد أن مررنا على أهم أهداف هذه الفئة، واستطلعنا على مقاصدهم، وما باحت به ألسنتهم وما ظهر من أعمالهم وجب على المسلمين التصدي والدفاع.

تاسعا: مظاهر الاستشراق في الثقافة العربية

1- في الأدب العربي:

وجد الأوروبيون في حضارة العرب، ماياسب احتياجاتهم لسد الفراغ الموجود لديهم "وكان في الحضارة العربية من المرونة والواقعية ما يجعلها تناسب الشعوب الأوروبي على اختلاف بلادها وأبنائها وثقافتها"[1]، ومن هنا كان ميلاد الاستشراق حينما التقي الأوروبيون بالثقافة العربية الإسلامية، المتفوقة على حضارتهم وظلت حركة الاستشراق تنمو وتزدهر، حتى استطاعت تكوين صرحها العلمي.

وظف الاستشراق كل إمكانياته العلمية وطاقاته البشرية والبحثية "فأسس العديد من مراكز البحوث والأقسام العلمية، والمكتبات الضخمة وخصص لها دوريات والنشرات العلمية، وأقام المؤتمرات والندوات"[2].

استطاع الاستشراق أن يجند، كل طاقاته ووسائله بغية تحقيق أهدافه والوصول إلى مراده إضافة إلى حب الاطلاع على الحضارة العربية الإسلامية، أيما اهتمام فانكبوا على العلوم الإسلامية والأدبية المختلفة، قرآن كريم، سيرة نبوية فقه وحديث، لأن الإسلام هو مادة العرب ومحورهم الأساسي إضافة إلى تطرقهم إلى اللغة العربيةوآدابها شعرا ونثرا.

2- ترجمة التراث العربي الإسلامي:

أن الاستشراق عنى عناية كبري بكل ما هو شرقي، وإسلامي وعربي، كل على حدا فركز علىالإسلام فقام بدراسة خصائصه العامة، ظهوره، انتشاره وأصالته، وفعاليته ونظامه وسياسيته، وفلسفته ومفهومة الكوني، واتجاهه الإيديولوجي[3] لأنهم أدركوا أن الإسلام ليس تاريخا قوميا، إنما روحي، ودين لجميع الأمم، ومعتقد روحي سماوي ساهم في صناعة وتشكيل التاريخ العربي ما عنايتهم بالقرآن الكريم فقد درسوه من جميع نواحيه، فبحثوا في تاريخه، وترتيبه، ووحيه وجمعه،ونزوله وأصالته وأسلوب لغته،وفلسفته وفكره باعتباره مصدرا رئيسيا للشريعة ومعاملاتها ومقارنته، بالكتب السماوية الأخرى[4].

---

[1]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الإستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 70.

[2]- مازن صالح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر، 2011، (دط)،ص: 13.

[3]- ينظر: المصدر نفسه، ص: 154.

[4]- المصدر نفسه، ص: 155.

اهتم الاستشراق بالقرآن الكريم فسعى إلى ترجمته إلى عدة لغات، ومحاولة فهم معانيه فظهرت عدة ترجمات ومعاجم مثل المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

"وادعوا بأن القرآن الكريم من عند محمد صلي الله عليه وسلم وأنه نقله عن أحبار اليهود ورهبان النصارى"[1]، سعى المستشرقون للتشكيك في صحة القرآن والطعن فيه حتى ينصرف المسلون عن الاتقاء على هدف واحد يجمعهم ويكون مصدر قوتهم ولأنه المصدر الأساسي لهذا الدين.

وأما عنايتهم بالحديث النبوي فركزوا جهودهم على دراسة تاريخه، وجمعه وتدوينه وحقيقته وكذا عنايتهم بالفقه الإسلامي والسيرة النبوية[2]، فهي أول تطبيق عملي لدين الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقا وهي أكثر السير خلودا وأما اهتمامهم بالفقه الإسلامي فكان لمعرفة حياة المسلمين وطبائعهم ومعاملاتهم اليومية.

كتبوا حول التاريخ الإسلامي، في جميع عصوره لاسيما عصر الخلافة الراشدة، وقد طعنوافي الصحابة لأنهم الصورة النموذجية للمسلمين، فصبوا كل سهامهم ونقدهم للطعن والتشكيك في الدين الإسلامي.

كما قام المستشرقون بدراسات متعددة عن الإسلام والمجتمعات المسلمة ووظفوا خلفياتهم الثقافية لدراسة الحضارة الإسلامية والتعرف على خباياها لتحقيق أعراض الغرب الاستعمارية والتنصيرية، ومن هنا نستطيع الجزم بأن التيار الاستشراقي "تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه،ولغاته وثقافته "[3] بحيث درس المستشرقون الإسلام عقيدة وشريعة ومهما افتروا علىالإسلام، فلن ينالوا منه شيئا، إذن فالإستشراق هوحركة منظمة جاءت لدراسة العالم الإسلامي خاصة وثقافته بهدف معرفة عقلية المسلمين، وأفكارهم واتجاهاتهم وأسباب تفوقهم.

كما اهتموا بالحضارة العربية الإسلاميةانطلاقا من نشأتها وتطورها وازدهارها وتأثيرها وتأثرها وفضلها على الغرب، في ميادين العلم والفلسفة واختصوا، كذلك بعلوم العرب الإنسانية سعيا منهم للنفاذ إلى أعماق المجتمع العربي، الإسلامي والبحث في منابعه وقضاياه إضافة لدراستهم لنظام الأسرة

[1]– سعد الدين صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، ص: 95.

[2]– ينظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 165.

[3]– عبد الله محمد الامين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية، دار الفكر، دمشق، 2008، (د،ط)، ص: 21.

الإسلاميةوغير ذلك من المسائل التي تخص العرب وعلومهم الإنسانية[1]، وأن هذه العناية أسهمت في توجيه الحركة الثقافية في مختلف العلوم فقد درس المستشرقون التاريخ والثقافة والآداب العربية فكانت أعمالهم ثمينة واعتبرت مصادر لمعرفة التاريخ العربي، فالاستشراق درس الثقافة العربية في حدودها الطبيعية، وتاريخها ومسارها ومصادرها، بداية وذروة ونهاية وماضيها وحاضرها ومستقبلها.

اهتم المستشرقون بدراسة آدابها العربية ورأوا فيه أمرا حتميا لفهم حياتنا ونشاطنا وفنونا، ويمكن إرجاع هذا الاهتمام إلى أسباب عديدة "أولا صلة هذا الأدب العربي بالإسلام وأثره في الآداب المختلفة ومنزلته بين الآداب العالمية واستمرار تاريخه"[2].

ولأن هذا الأدب العربي ينفرد أولا من بين الآداب الأخرى باتصاله المباشر بالقرآن الكريم، الذي يحاول الباحثون، في كل عصر أن ينفذوا إلى أسرار جماله وجلاله ، إضافة لأنه أدب الشرق الهائل الذي يعبر عن مختلف ألوان الأدب ويتنوع بتنوع،عبقرياته في ميادين النشاط الإنساني المتعددة

فالأدب العربي يعد صورة لحياة العرب قديما وحديثا، إذ تتبلور فيه ما هو بحياتهم من خصب وجدب وغني وفقر، إذ يمكن القول بأنه يصور لنا بحق صورة صادقة،للشخصية العربية مما يزيد من أهمية ودراستها، فعنوا بالنشاط الأدبي عناية عظيمة فحملوا بكل ما كان لديهم من قوة أن يصلوا إلي خصائص، الأدب المميزة ويفهموا أنواع المختلفة ويضعوا المبادئ الأساسية للبحث فيه ويعالجوا المعضلات التي تنبثق منه على دراسة الأدب العربي شعره ونثره، والنثر القديم وبخاصة المقامات وقصص ألف ليلة وليلة، وفن الرسائل عند العرب وبالتالي انصبت، اهتماماتهم العلمية في دراسة التراث العربي بعيدا عن السياسة والإيديولوجيا الفكرية والدينية"[3].

لذا اهتم الباحثون الألمان بالدراسات العربية الإسلامية،منذ عهد مبكر وقد امتازت بالجدية والموضوعية بالبحث، كانوا يملكون مجموعات من المخطوطات يثريها باستمرار ما يتحصلون عليه من جديد إذ أنهم، توصلوا إلى تحقيق طبعات نقدية لاتزال تعتبر حجة[4]، فقد عكف المستشرقون على دراسة التراث

---

[1]- ينظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها على الفكر العربي المعاصر، ص: 157.

[2]- المرجع نفسه، ص: 491.

[3] محمود درابسة: الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، (ط1)، ص: 9.

[4]- شارل بلا: تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب ابن وناس صالح حزم، الطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، (ط1)، ص: 40.

العربي، فنبشوا كنوزه وكشفوا الغطاء عن مخطوطات، آدابنا وعلومها، فأغنوا تراثنا بعامة والأدبي منه خاصة فالتراث العربي هو ثمرة العقول العربية ولوح الدهر الحافل بذكريات العالم الإسلامي العربي، ذلك أنالعرب خلفواتراثا ضخما لا يضارعهم فيه أحد.

فالاستشراق لعب دورا عظيما، في ترجمة التراث العربي الإسلامي، إلى لغات مختلفة وما اكتشفه من مخطوطات وما نشر منها محققا، وما ألف حوله قصد تعريف مواطنيه بهذا التراث الخلاق مما أدى إلى ازديادمعرفتهمالإنسانية، وتعميق تجربتهم البشرية واتساع رؤيتهم الكونية فقد أفاد الاستشراق أدبنا المعاصر إذ قام بتعريف الغرب بهذا التراث الخالد والكشف عن علومه وآدابه[1]، ودراسته وإزالة الغبار عن كثير من آثاره المتعددة.

ونظرالأهميته البالغة في الدراسات العربية الإسلامية وآثاره الظاهرة والخفية فيالساحة العربية، فقد جند كثير من الباحثين والنقاد العرب أقلامهم اتجاه هذه الظاهرة لأنها تخصصت في مختلف الجوانب الحضارية، وأثرت على الفكر العربي الإسلامي إضافة إلى علاقتها،بالدوائر الاستعمارية، كل هذه العوامل أدت إلى تضارب الآراء والمواقف النقدية العربية، حول هذه الظاهرة،فانقسم المفكرون العرب على أنفسهم بين الرافضين لهذه الظاهرة شكلا ومضمونا وبين المادحين المؤيدين لبحوث ومناهج،وأعمال المستشرقين.

وهذا سنوضحه في الفصلين المواليين إذ ينطلق كل فريق من جملة من المبادئ والأفكار التي رصدوها من خلال تعاملهم مع الاستشراق.

[1]- ينظر: أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص: 70.

الفصل الثاني

الاستشراق في رأي

المؤيّدين والرافضين

توطئة:

إن في دراستنا لموقف الكتاب العرب ومفكريهم من اتجاهات حركة الإستشراق ومن المستشرقين أنفسهم، نستطيع ملاحظة فئتين كل واحدة منها متميزة عن الأخرى بمنهجها وأسلوبها وشق طريق لها وسط تأييد من النخبة العربية المثقفة فالفئة الأولى عارضت حركة الاستشراق، وكانت توجهاتهم مليئة بالتهم والتحامل على العرب والإسلام، وقد شكلن الأكثرية الساحقة من الأرقام العربية والرأي العام في المنطقة، أمثال شكيب أرسلان، أحمد فارس الشدياق، أنور الجندي، مالك بن نبي، فهؤلاء تصدو للإستشراق وحاولو النيل منه وتبيان مغالطات أصحابه.

أما الفئة الثانية فهي التي أبدت وجهات نظر المستشرقين وسلمت بأفكارهم ونظرياتهم فقد أعذقت على كتباتهم كيلا من المديح والإفراط به، ولم تر في أعمالهم أي نقص أو عيب أمثال محمد كرد علي، عبد الرحمن بدوي، نجيب العقيقي، وطه حسين عميد الأدب العربي وأمثالهم كثيرون من كتاب النهضة الحديثة[1].

فالهدف هنا من تحديد الفئات هو تبيان مواقف الأدباء العرب ومفكريهم من حركة الإستشراق وما قدمت من دراسات وما أظهر روادها من آراء ونظريات.

فالاستشراق هو قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي فوجدت هذه الحركة نفسها بين الرفض والقبول من طرف علماء وأدباء العرب والمسلمين ذلك "أن الاستشراق قضية تتناقض حولها الآراء في عالمنا الإسلاميفهناك من يؤيده ويتحمس له إلى أقصى حد وهناك من يرفضه جملة وتفصيلا ويلعن كل من يشتغل به، بوصفه عدوا لدودا للاسلام والمسلمين[2].

فالاستشراق ظاهرة فكرية لعبت دورا كبيرا في الفكر والأدب العربيين قديما وحديثا، ثم أن الاستشراق في حد ذاته يحاول بكل ماله من وسائل وقوة وأفكار أن يفرض مفاهيمه على العالم العربي الإسلامي بأسره وقد رأينا جميعا أن كثيرا من علمائنا ومفكرينا وأدبائنا قد تعلمو على أيدي كبار علماء الاستشراق فتتبعوا أفكارهم ونظرياتهم وفي الجهة المقابلة هناك من رفض وتعصب لأفكارهم ونظرياتهم ومناهجهم.

[1]– ينظر: منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، 1997، (ط1)، ص: 65.

[2]– محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت)، ص:12.

أولا:الرؤية العربية الرافضة للاستشراق

ولعل جل دراسات المستشرقين تقابل في العالم الإسلامي بالأعم بالرفض بوصفها مبادرة عن أعداء الإسلام لأن لهذه القضية أبعادا متعددة وجوانب متشعبة من أجل الوصول إلى إتخاذ المواقف الصحيحة وفي هذا الصدد يقول محمود زقزوق: أنها حركة فكرية هائلة وما ننتجه يخصنا ويخص عقيدتنا ولغتنا وتاريخنا، وديننا فإن الأمر الأخطرمن ذلك بكثير لأنه يتعلق بأعماقنا وعقيدتنا وفكرنا وحضارتنا وليس هناك أمنا سبل إلا المواجهة وقبول التحدي وإثبات الذات، وإلا فلسنا جديرين بالحياة[1]، فموقفه معاد للاستشراق، وكل مايصدر عنه ويأتي به حيث أن ممثلي هذا الموقف ينتسبون إلى المستشرقين مصالح وأهداف ونوايا خبيثة مشبوهة معادية للعرب.

وقف على هذه الشاكلة مجموعة من المفكرين المسلمين موقف الرد المطلق فلم يقبلوا أي إسهامفي الثقافة الإسلامية، ويدعون إنالاستشراق دراسات أكاديمية في الجامعات والمراكز العلمية يقوم بها غربيون كافرون وغالبا تكون من أهل الكتاب وتوجه ضد الإسلام، والهدف من كل هذا تشويه الإسلام والتشكيك والتضليل وفرض التبعية للغرب.

وينظر هذا الفريق الرافض "إلى الاستشراق على أنه علم أوربي و هو صورة لما توصلت إليه أوربا في معرفة الشرق، وهو يعكس موقف أوربا وعقلية أوربية إن هذا الاستشراق غير نتاج خارجي كتبه خارجيون لا يكاد معظمهم يحسن اللغة التي يتكلم لها فكيف عندما يناقشون ماضينا وحاضرنا ومستقبلنا وتاريخينا وثقافتنا وأدبها واقتصادنا[2].

فالهدف الحقيقي للاستشراق هو تقويض الهوية الثقافية العربية الإسلامية وتسوية الحضارة العربية وخدمة الاستعمار والصهيونية ومؤامراتها المستمرة على العالمين العربي والإسلامي.

وفي هذا يقول عبد الجليل عبده الشلبي "كنت منذ زمن بعيد مقتنعا كل الاقتناع بأن كتب المستشرقين عن الإسلاممما يجب الإغضاء عنه، وعدم الالتفات إليه وأنه من الأفضل بل من الواجب ألا ننقلها إلى العربية ولا نرد على كل شيء مما يسيء به إلى الإسلام"[3].

---

[1]- محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية للصراع الحضاري، ص: 129.

[2]- علي بن ابراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، إستقراء المواقف، سلسلة 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993، (دط)، ص: 20.

[3]- عبد الجليل عبده شلبي: صور إستشراقية، الكتاب الأول سلسلة البحوث الإسلامية، 1398-1978 ص: 17.

فالاستشراق فن استعماري قديم يرمي بالدرجة الأولى إلى تمهيد السبل للسيطرة على البلاد الإسلامية وإخضاعها للمستعمر من جهة، ونقل صورة عن واقع تاريخ الإسلام والمسلمين إلى العالم الغربي من جهة أخرى.

فإن هدف المستشرقين المقصود والأمل المرغوب فيه والذي تسعى للوصول إليه المؤسسات الاستشراقية والأجهزة الاستخبارية للتفسير و إخراج المسلمين من دينهم وتراهم بلا هوية ولا دين.

وعبد الجليل موقفه واضح هو الرفض "الغزو الاستشراقي ضايق الكثيرين وأنهم كانوا ينشدون من يدفع هذا الهجوم ويرد عن الإسلام هذه المفتريات"[1].

فكتابات المستشرقين عن الإسلام لم تكن علمية ولا بحوثا تتوخى حقائق التاريخ وإنما كانت سلاحا من أسلحة الدعاية الحربية[2].

لذلك حرص المستشرقون على ترويج الأكاذيب ومختلقات عن الإسلام وفي هذا يؤكد الكاتب "ومما لاريب فيه أن المستشرقين اليوم تغيروا تغيرا كبيرا عن موقفهم بالأمس، ولكن هذا التغيير يبدو في التخلي عن الأكاذيب والاختلافات، وليس ثمة تخل عن طعن الإسلام، ونلمس مواطن للهجوم عليه منها"[3].

ونجد المؤرخالجزائري أبو القاسم سعد الله يبين لنا أن اهتمام مفكرين الغرب ينصب حول التكلم عن الدين الإسلامي ومحاولة التشكيك فيه والتركيز على جوانب الضعف، أما مفكري العرب الذين يحضرون المؤتمرات الغربية قلما يتحدثون عن أمور تهم الحضارة الإسلامية لعلها تغير تفكير العرب وفي هذا يقول أبو القاسم سعد الله "أنه حضر مؤتمر عن تاريخ الحضارة وكانت موضوعات المؤتمر قد شملت كل مظاهر التطور الإنساني وقد اجتمع حول هذا الموضوع عدد من المستشرقين الذين يمضغون الكلام عن نظام الموالي في الإسلام وعلاقة العبد بالسيد وكانوا يظهرون جوانب الضعف في نظرهم في الحضارة

[1]- المرجع نفسه، ص: 21.

[2]- المرجع نفسه، ص: 26

[3]- المرجع نفسه، ص: 30.

الإسلامية التي تبيح تعدد الزوجات والغريب أن الباحثين في القاعات الأخرى من ذلك المؤتمر كانوا يتحدثون عن معاملة الرومان لما عادهم من الشعوب على أنها دليل الصفاء والقوة"[1].

وهذا ما يعاب على كثير من أدباء العرب فواجب عليهم تغيير نظرة العالم الغربي للعالم العربي الإسلامي فهناك رموز أدبية أساسية نادت بالغرب وارتباط بثقافته منهم طه حسين، حسين فوزي وغيرهم وكلهم دعوا إلى الأخذ بحضارة الغرب لأنها حضارة التطور والتقدم ولكن لابد من إشارة إلى أن هؤلاء مفكرين العرب كان دعمهم للحضارة الغربية ولأفكارها بواسطة إغراءات مادية ومعنوية ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا.

ونظرا لابتعاد المسلمين عن عقيدتهم ودينهم فأصبحوا بهذا صيدا يبلع الطعم دون معرفة صياده وهذا الصياد هو الغزو الفكري الإستشراقي الذي ينخر المسلمين ويجعلهم يتخبطون في بعضهم البعض وينشر العداوة بينهم وبهذا نستدل بقول رسولنا الكريم"، يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها، قالوا من قلة نحن يومئذ يارسول الله؟ بل أنتم يومئذ كثيرا، ولكنكم غثاء كغثاء السيل"[2].

فأروبا مزالت ولا زالت تحارب الدين "استمر الفكر الإستشراقي في تقديم شبهاته لعله يستطيع أن يحقق أهدافه، التي صرح بها كثير من كبرائه وهو جب هاملتون (**H. A. R. Gibb**) مهمته الاستشراق هي أبعاد سلطان الدين عن سلطان النفوس"[3].

إذن فهدف الاستشراق جوهره إبعاد سلطان الدين عن نفوس الناس أي نشر العلمانية "الاستشراق جوهره إبعاد سلطان الدين عن النفوس ولذلك تحاول الدراسات الاستشراقية الحديثة التركيز على أهمية القوانين الوضعية وتطبيقها على المسلمين بدلا من الشريعة القرآن"[4]، والواقع أن هذه المحاولة ترمي خلق خلاف بين المسلم ودينه والدين هو أساس المسلم العربي يقول عابد بن محمد السفياني "إن أعظم ما إهتم به المستشرقون في دراساتهم من الموضوعات، موضوع الشريعة الإسلاميةويرجع ذلك إلى أن شبهاتهم التي

---

[1]- أبو القاسم سعد الله: في الجدل الثقافي آراء ومناقشات لقضايا فكرية وثقافية وأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1993، ص: 241.

[2]- أخرجه أحمد أبو داود مسند صحيح.

[3]- عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيق، دار المنارة، 1996، (ط2)، ص: 01.

[4]- المرجع نفسه، ص: 07.

نشروها عن طريق التعليم تدور حول فصل الدين عن الحياة وإضعاف سلطانه عن النفوس"[1]، فموجة الفكر الاستشراقي ومحاولتهم لتجريد المسلمين من دينهم والبحث عن القوانين وصيغة توافق قلب وعقل المسلمين بدلا من الرجوع إلى الشريعة الإسلامية.

وقد أجاد الأستاذ أبو الحسن الندوي فيما اصطلح عليه بالإستراتيجية الاستشراقية الدقيقة حيث قال"ومن دأب كثير من المستشرقين أنهم يعينون لهم غاية ويقدرون في أنفسهم تحقيق تلك الغاية بكل طريق ثم يقومون بجمع المعلومات لها من كل رطب ويابس ليس لها أي علاقة بالموضوع سواء من كتب الديانة والتاريخ والأدب والشعر أو الرواية والقصص أو المجون والفكاهة، إن كانت هذه المواد تافهة لا قيمة لها يقدمونها بعد التمويه بكل جرأة ويبنون عليها نظرية لايكون لها وجود في نفوسهم وأذانهم[2].

ولذلك نجد الكثير من المستشرقين من خاضوا في موضوعات القرآن الكريم والفقه والسيرة وقد وقعوا بأخطاء في تقديراتهم أو بالغوا في تصوراتهم إلى حد خرجوا فيه من الحقيقة خروجا تاما لا يتوافق مع منهجهم العلمي الدقيق.

الاستشراق شغل حيزا كبيرا لدى أدبائنا العرب فقد تميز فارس الشدياق بنقده الهزلي والجدي لهذه الظاهرة ومن أمثلة النقد الجدي نقده لبعض المستشرقين من أساتذة أروبا مبينا خبطهم في تأليفهم وأوهامهم مما عربوه ونشروه وفسروه[3]، إذن ففارس الشدياق يقف موقفا عدائيا لكل ما يمت للاستشراق بصلة حيث قال لأحد من المستشرقين الفرنسيين "إن هؤلاء الأساتذة لم يأخذوا العلم عن شيوخه...وإنما تطفلوا عليه تطفلا...وكل منهم إذ درس في إحدى لغات الشرق أو ترجم شيئا منها تراه يخبط فيها خبط عشواء فما اشتبه عليه منها رقعه من عنده بما يشاء ومكان بين الشبهة واليقين حدس فيه"[4].

إذن فالموقف الرافض كان معاديا لحركة الاستشراق، فوقف منه موقف المشكك ورأى فيه تحاملا على الإسلام والمسلمين وتهجما على العربي وتراثهم وحضارتهم وهذا الفريق يمثل الأكثرية .

[1]- عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم، ص: 01.

[2]- عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار بن حزم، بيروت، لبنان، 2004، ص: 89-90.

[3]- ينظر: أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، (ط3) ص: 164.

[4]- أنور الجندي: الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية مطبعة الرسالة، بيروت، 1962، ص: 200-201.

كما قامت المملكة العربية السعودية بفتح جامعات ومراكز وأقسام لدراسة الاستشراق وأعدت لهذا الكثير من الأساتذة وهدفها الأساسي كشف كل مكنونات هذه الحركة والرد على افتراءاتها وهي أول دولة عربية إسلامية تفتح القسم العلمي الوحيد في العالم العربي الإسلامي الذي يهتم بالدراسات الإستشراقية والتنصرية "فمثل هذا التخصص يساهم في كشف زيف المنصرين والمبشرين"[1]، والقيام بمناظرات تهدف إلى تعرية ما يكتب عن عقيدة الإسلام وتشريعه .

اهتمت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بدراسة الاستشراق والتنصير والجوانب الحضارية للإسلام اهتماما كبيرا فقد أنشأت قسم خاص بدراسة الاستشراق قائم على وحدات علمية بحثية والهدف من هذا "تكوين قاعدة من العلماء المسلمين المتخصصين في دراسة الاستشراق ومقارنة آثاره في المجتمعات الإسلامية "[2].

فقد جندت هذه الجامعات الكثير من خريجيها وكلهم ساعيين لمقاومة التنصير والاستشراق في بلدانهم "وأهم ما صدر عن العدد الأول من الكتاب الدوري "دراسات استشراقيةوحضاري وهوباكورة إنتاج مركزا لدراسات الاستشراقية والحضارية في كلية الدعوة في المدينة المنورة وتواصلت الإصدارات فيما بعد ذلك"[3].

إذن فلابد من مواجهة هذا التيار لأنه يمس الأمة الإسلامية وتاريخها ودورها التاريخي مسا خطيرا فنجد الكاتب محمد رشاد خليل يتحمس لمواجهة هذا التيار فهو يدعو الباحثين المسلمين المتخصصين إلى الاجتماع والاجتهاد للقيام بعمل علمي جاد ومنظم يهدف إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي مبنيا على الحقائق و الأخبار و الوقائع الصحيحة التي تستنبط من المراجع والمصادر الإسلامية الموثوقة إذن فهو يتحدث عن قضية أساسية تهدد عالمنا وهي تتصل بتاريخ الإسلام السياسي والحضاري و التاريخي "لقد كشف أسلوبه بعرض هذه القضايا عن مدى التأثير الخطير الذي مارسه الفكر الغربي على عقول باحثينا وعلمائنا فيما يتعلق بالقضايا الحيوية التي تتصل بتاريخها كما بين إلى أي مدى أصبحت وجهة نظره الباحثين الغربين بتاريخنا أساسا في بناء تصورنا نحن لهذا التاريخ وسواء صدر الباحثون الغربيون في وجهة

[1]- ينظر: أحمد محمود هويدي وآخرون: دليل معلومات الإستشراق والتنصير والدرسات الحضارية، مملكة العربية السعودية، مركز الدراسات الإستشراقية الحضرية، قسم الاستشراق، 2001، ص: 05.

[2]- المرجع نفسه، ص: 07.

[3]- المرجع نفسه، ص: 07.

نظرهم هذه عن حقد ورغبة في تحقيق هدف سياسي أو صدر عن جهل وقصور في الفهم فإن النتيجة واحدة "[1].

ومما يخيف الكاتب هنا هو أن الكثير من الباحثين من العرب يتبعون أفكار هذا التيار المنحرف المعرض إلى حد ما يصل إلى تبني أفكارهم على أنها أساس ولا بديل لها.

لذا شمر الكثير من الأدباء عن أفكارهم وظهر في العصر الحاضر الكثير من الاتجاهات الفكرية لسيما فيما يتعلق بالغزو الفكري وقد نال الاستشراق مكانة بارزة ضمن هذا الحديث " تعود بداية الاهتمام بالاستشراق إلى المرحلة التي وقعت فيها معظم البلاد الغربية الإسلامية تحت وطأة الاحتلال الغربي، وكان للمستشرقين اهتمام كبير بثقافة الأمة الإسلامية وعقيدتها وتاريخها ومختلف المجالات المعرفية"[2]، فقد كانت لهم يد الطولى في تسيير العالم العربي الإسلامي نتيجة لهذا ظهرت الحركات التحررية لترد على افترءات المستشرقين والمسؤولين على سبيل المثال جمعية علماء المسلمين الجزائريين على رأسهم عبد الحميد بن باديس.

الجيل المعاصر يواجه تحديات فكرية كثيرة والمبادئ المعروضة في سوق الأفكار عديدة وحتى المذاهب الفكرية والسياسية متعددة ومن أهم هذه التحديات هي الكتب الصحف المجلات، الجمعيات وسائر أنواع الإعلام، فالثقافة الإسلامية هي الوعاء الذي يجب أن يحتوي المسلم العربي فيجب الحرص على مادة الثقافة وكيفية تقديمها للجيل المعاصر لأن الثقافة الإسلامية هي الصورة الإسلامية لإسلام والعرب.

فنحن في هذا الفصل ركزنا على الرافضين لهذا التيار ومن أقوى مبررات الرفض أن الاستشراق بدراسته لعلوم المسلمين لم ينطلق من قاعدة علمية مجردة، وموضوعية بل إن هناك دوافعا وأهدافا غير علمية،دفعت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأغراض استعمارية وتنصيريةودينية عامة وتجارية واقتصادية وسياسية وعليه فإن الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء النقاد "إن وجود الغرب المسيحي هنا في شرقنا الإسلامي لم يكن صدفة...بدأ بالوجود المادي العسكري...وتبعه الاستشراق والتبشير(الوجود المعنوي) وأعقبه مرة أخرى

[1] – محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ وتفسير سلسلة دفاع عن التاريخ الإسلامي، قسم الثقافة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، ص: 06.

[2] Mazen –mutabgani@hotmail.com-p01.

وجود العسكري (الاستعمار)...وأخيرا حلت جنوده...وأبقى له جنودا آخرين من جلدتنا يتحدثون بلساننا، وبهم أجرى الغرب التغيير الذي يريده في مجتمعاتنا"[1].

ومن مبررات الرفض التي تثبت أن هناك علاقة بين "الاستشراق والصهيونية وحتى بين الاستشراق والماسونية كذلك وهذا يضيف جديدا في الرد على موقف القبول المطلق وأظن أن الفريق الرافض لم يتعمق في قراءات وإنما اكتفى بالعموميات والنقل من الآخرين عندما شعروا أن هذه الظاهرة تهدد الإسلام والمسلمين فكان رفضهم حرفا عن الإسلام"[2]، فنستشف من هذا أن أقوى مبررات الرفض هو حقد وكراهية المسلمين الاستشراق لأن الدافع من ورائه أن بدايته نشأت ضد الإسلام أي من طرف الرهبان والقسس وكذلك أن أهم سبب لمواجهة الإستشراق "أن المستشرقين المحترفين باستثناء قلة شريفة منهم مزالو يصرون على تشويه الإسلام وتزييف حقائقه"[3].

فالرافضون لهذا التيار كثر وذلك لما بدا لهم أن حصونهم مهددة من الداخل فخصصوا جهدا كبير من نتاجهم للرد على المستشرقين وتلاميذهم، وألفوا في ذلك الكتب والمقالات لكن كانت ردودهم عن مهاجمة الإسلام والتشكيك في عقائده وتاريخه واهتموا بالتفاصيل وكانت انطلاقة ردهم من منطلقات إسلامية وقومية.

وفيها تطرق الكاتب محمد عبد القادر لحركة الاستشراق التي قادها صلاح الدين الأفغاني والتي كان الغرض منه ردع الغزو الفكري الغربي وسعى إلى الدفاع عن الإسلام والشخصية الإسلامية حيث يقول في هذا "صياغة الشخصية المسلمة والمجتمع المسلم وفق تعاليم الإسلام ومعالجة قضايا العصر من خلال التطبيق العملي لمبادئ الإسلام، الذي اقترن ذلك الجهد بتنفيد ما تبقي من أراجيف المستشرقين التي مازال يروج لها بعض التلاميذ"[4]، فنستنتج من هذا الكلام أن جمال الدين الأفغاني دافع عن الإسلام وهاجم الغزو الفكري التغريبي الذي "سيطر على العقول الصفوة من أبناء المسلمين الذين تولتهم بالرعاية

[1]- علي جريشة، محمدشريف زبيق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، ص: 15.

[2]- أحمد فؤاد محمود: أضواء على ثقافة الإسلامية، إشبيريا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلام، الرياض، (ط1)، ص: 132.

[3]- المرجع نفسه، ص: 131.

[4]- محمد الخير عبد القادر، الاسلام والغرب (دراسة في قضايا الفكر المعاصر)، دار الجيل، دار السودانية، بيروت، الخرطوم، 1991، (ط1)، ص: 11.

الصحية"[1]،كأمثال لويس عوض الذي حكم عليه مؤلف كتاب الإسلام والغرب محمد الخير عبد القادر بأنه أحد تلاميذ المستشرقين ومن مروجي الفكر الغربي باستناده في كتاباته إلى رأي الغربين بلغت استهانة الدكتور لويس عوض بالتاريخ الإسلامي مبلغا جعله يستند في دراسة ذلك التاريخ إلى الوثائق والمصادرالأساسية[2].

ونجد الكثير من الأدباء الغرب الذين سخروا أقلامهم وجهودهم لتشكيك في الإسلام ومبادئه والطعن في أهم شخصياته مثل شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم، والصحابة فهم يريدون الطعن في رموزنا وقدوتنا وهنا وجب على كل مسلم أن يرد ويطرأ هذه الشبهات والافتراءات مهما كلفهم ذلك الثمن وهنا نجد عبد القادر العماري يدافع عن أهم شخصية وهي شخصية صلاح الدين التي سعى مستشرقون لنقدها وتشويه صورتها، فقط أتهم بقتل العالم السهر وردي وإحراق مؤلفاته ولكنه يجب أن نعلم أن قتله لأسباب عقائدية وسياسية أباحت قتله.

ويجب أن ننتبه لكل ما يروجه المستشرقون وتلاميذتهم، مما يسمونه اضطهاد لحرية الفكر من قبل صلاح الدين أيوبي ذلك لأنه لم يدع ثغرة يدخل منها إلا بالقضاء على المرتكزات التي يرتكزون عليها[3]، إذن فعبد القادر يرفض كل ما قيل عن الشخصيات الإسلامية لأنه لاحظ أن المستشرقين والكتاب الغربين ركزوا على بعض الشخصيات للتاريخ الإسلامي لاسيما التي عرفت بانحرافها عن العقيدة الإسلامية كالحلاج والسهر الوردي وغيرهم "ومع الأسف فإن بعض المثقفين يتلقون تلك الأبحاث من المستشرقين فيترجمونها ويتبعونها كآراء صحيحة مسلمة"[4]،وهذا فيض من غيض فعبد القادر العامري تكلم كثيرا عن الأدباء الذين حاولوا تشويه الإسلام وتاريخه وهناك الكثير من القضايا التي لم نشر إليها.

مواجهة العرب للإستشراق تعد من أهم القضايا التي تهددنا لأن الغرب هجم على العرب وشخصيتهم ودينهم ولغتهم وفكرهم وثقافتهم وأدبهم "فإن رد الفعل الذي قام به العرب يعد بحق أروع دفاع عما هو عربي وإسلامي حتى لا يستطيع المرء أن يعتبر ما أنتجوه خلال موجتهم لهذا الهجوم أروع ما

[1]- محمد الخير عبد القادر، الاسلام والغرب (دراسة في قضايا الفكر المعاصر)، ص: 11.

[2]- المرجع نفسه، ص: 122.

[3]- عبد القادر العماري: من أجل الإسلام، دار الضياء للنشر والتوزيع، مطبعة النور، الأردن، ص: 14.

[4]- المرجع نفسه، ص: 14.

في أدبهم المعاصر من فكر وفلسفة وعمق وثقافة"[1]، فهو يشيد بالدور الذي قام به أدبائنا العرب واعترف بروعة أسلوبه وغزارة ما فيه من خصائص ومميزات ولكي يبرهن على كلامه ذكر عددا من الأدباء مثل رفاعة الطهطاوي، جمال الدين الأفغاني وقاسم أمين...وغيرهم"[2].

ومن أهم الشخصيات الأدبية التي دافعت عن الإستشراق نذكر منهم محمد عبدو فقد كان يرد على أقوال المستشرقين ورده على **هانوتو(Munie H)** الذي هاجم الإسلام والعرب "مفرقا بين الديانتين معتبرا المسحية ديننا ربانيا والإسلام ديننا بشريا"[3]، فكان رد محمد عبدو أن الدين الإسلامي هو الذي أيقظ أروبا من ظلمتها وأنه شعاع أنار كل العالم، وأن كل محاولات الغربية فشلت في القضاء على الإسلام وهذا دليل على عظمة هذا الدين فقد كان رد الإمام محمد عبدو على **هانوتو(Munie H)**ردا يجب الاحتذاء بهوقد أشار أحمد سمايلوفيتش إلى رد محمد حسين هيكل من خلال كتابة حياة محمد على ما قام به المستشرقون والمبشرون اتجاه الرسالة المحمدية ويقول أحمد سمايلوفيتش "إن دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم يعد أعظم مواجهة منهجية بين الفكر العربي الإسلامي المسالم والفكر الغربي الاستعماري المهاجم علاوة على ما كان لصحابه من مكانته الأدبية والعلمية"[4]، فمحمد دافع عن الإسلام وواجه الاستشراق وخلف ميزان روحي أنار به العالم.

إذن فالاستشراق ظاهرة فكرية لعبت دورا خطيرا في الفكر والأدب العربيين قديما وحديثا والموجات الاستشراقية كان هدفها الهجوم على العقل العربي واللغة العربية والعقيدة والتراث .

ونعلم أن كثيرا من علمائنا ومفكرينا وأدبائنا قد تعلموا على أيدي علماء الاستشراق وتأثروا بهم واستوردوا ونقلوا كل أرائهم ونظرياتهم.

ويعترف عبد الجليل بأن العالم العربي الإسلامي يعتمد في إنجازاته العلمية على كتب المستشرقين "مما يدل على ضعف العالم الإسلامي العربي وفقر وسائلها العلمية إن هذين العالمين كلاهما يعتمدان على

[1]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 34.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 685.

[3]- المرجع نفسه، ص: 686.

[4]- المرجع نفسه، ص: 677.

مؤلفات المستشرقين في المواضع الإسلامية الخالصة منذ زمن بعيد وهي مؤلفات تحتل مكانة الكتاب المقدس في موضوعها مثل كتاب كارل بروكلمان **(Carl Brockelmann)** في تاريخ الأدب العربية وغيرهم"[1].

لذا وجب على علماء الإسلام ورجال البحث الكتابة حول الموضوعات العلمية وتقديمها للعالم الإسلامي فهو يدعو العلماء والمفكرين العرب "باستعراض مؤلفات المستشرقين العلمية ومحاسبتها في ضوء الحقيقة والواقع حتى ينكشف الغطاء عن تلبساتهم وأخطائهم في فهم النصوص وبيان المعنى ويبدو في ضعف مصادرهم التي يعتمدون عليها"[2].

كما بين لنا أن الإستراتيجية الدقيقة للإستشراق دأب كثير من المستشرقين على جمع المعلومات من كل رطب ويابس ليس لها علاقة بالموضوع سواء من كتب الدين أو التاريخ أو الأدب ثم يبنون على أساس هذه المعلومات نظريات على أنها حقائق لابد من معرفتها[3]،اهتم الغرب بالشرق فكان اهتمامهم بعدة صفات الصفة الرسمية والسياسية وصفة النخبة العلمية والأدبية وجعلوا الشرق الإسلامي ميدانا لفعالياتهم وتسجيل انطباعاتهم على المجتمع الإسلامي ويؤكد الحسن الندوي "أن هؤلاء المستشرقين يدسون في كتباتهم مقدارا خاصا من السم ويحترسون في ذلك فلا يزيد النسبة المعينة لديهم حتى لا يستوحش القارئ، ولا يضعف ثقته بنزاهة المؤلف"[4].

فهذه المواجهات الاستشراقية كان هدفها الهجوم على العقل العربي وعلى القومية العربية واللغة العربية والعقيدة الإسلامية.

وفي هذا يقول محمد الدعمى "عن الفكر الاستشراقي يحيل الماضي العربي الإسلامي إلى كينونة ميتة يمكن للذهن العربي الارتجاع إليها عند الحاجة لاستخلاص الدروس والخبرات لصالح حضارتهم"[5]، فقد عبر الموقف الغربي على تاريخها أنه تاريخ لا مجد له وغير قادر على التوليد والتجديد وهو مجرد أثارا وشواهد لا غير .

---

[1]- أبو الحسني الندوي: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، (ط3)، ص: 19.

[2]- المرجع نفسه، ص: 20.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 16-17.

[4]- المرجع نفسه، ص: 17.

[5]- محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006، (ط1)، ص: 28.

إذن هي معركة فكرية بين الغرب والعرب ويجب أن تكون لهذه المعركة أدواتها التي يجب التسلح بها لرد الهجوم ولا بد من تغيير من موقفنا، وذاك لا يكون إلا بتغير أفكارنا فنحن لسنا متخلفين لقلة ما لدينا من إمكانيات مادية ولكن تخلفنا لقلة أفكارنا وتبدد لجهودنا طبقا لمبدأ النص القرآني قال تعالى ﴿**لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ**﴾[1].

فموقف الرفض من أعمال المستشرقين له مبراراته وأدلته وبراهينه وكل هذا حسب التعامل مع المعلومات الناتجة عن أولئك الذين لا ينتمون إلى الإسلام ومن أقوى مبررات الرفض أن الإستشراق لم ينطق من قاعدة علمية مجردة وموضوعية بل إن هناك دوافع وأهداف علمية ساقت المستشرقين إلى هذا المجال خدمة لأعراض استعمارية وتنصيرية ودينية وعليه فإن الثقة منزوعة من إسهامات هؤلاء يقول صلاح الدين المنجد "أثرت في دراساتهم مآرب السياسية، والتعصب للدين فوجهوا الحقائق وفسروها لما يوافق أعراضهم، ولعل هذا الضرب هو الذي جعل المستشرقين العرب يرتابوا من المستشرقين جميعا[2].

كما وقد ترجم مازن المطيقاني كتاب "صراع الغرب مع الإسلام" لآصف حسين فقد سعى مازن ليترجم الأعمال الغربية إلى اللغة العربية بالأخص التي تبين الوجه الحقيقي للاستشراق "وتكشف نشاط الاستشراق وأساليبه، ولتقدم للمسلمين، حقيقة العالم الأوربي، وشدة مكره بالإسلام والمسلمين، وحرصه الشديد على إذلالهم وسلب خيراتهم"[3].

إذن نجد أن آصف حسين بين لنا المحاولات الغربية منذ الإسلام والعالم العربي "فقد خصص فصلا للحديث عن الاستشراق والاستعمار وأن الاستشراق استخدم لتنفيذ الأعراض الاستعمارية"[4].

نجد في موضع آخر بعض الباحثين يعاتبون من مجدوا وأثنوا على أعمال المستشرقين، ويتعجبون من أمة مثل أمتنا تشكر وتمجد وتعظم أمور سارقي وثائقها لمجرد أنهم احتفظوا بها وقدموا إليها صورة إلا أن

---

[1]- سورة الرعد، الآية: 11.

[2]- علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين إستقراء المواقف، سلسلة (2)، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993، (دط)، ص: 22.

[3]- آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام إستعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، تر: مازن امطبقاني، دار الوعي للنشر والتوزيع، مركز الفكر المعاصر، السعودية، ص: 12.

[4]- المرجع نفسه، ص: 12.

الأمم والدول الحقيقية تفضل حرق وثائقها أفضل من أن تقع في يد أعدائها وحروق الوثائق التي تدين أهلها يختلف عن حرق المخطوطات التي يفترض فيها أن تخدم البشرية جمعاء، فموضوع الاستشراق من أهم المواضيع الخلافيةبين المتفقين العرب، والتي تبين علاقاتهم ونظرتهم للغرب على أساسها[1]، الاستشراق الكثير من النقد ولكنهم اعتمدوا في مبدأ الرد على الأفكار المطروحة كنتائج للبحث، وأهملوا الرد على المنهج أو معالجة مشكلاته.

فهناك ارتباط وثيق بين الاستشراق والاستعمار وهذا مابين لنا مازن المطيقاني على لسان آصف حسين وهو أن الاستشراق إنما ظهر وتطور لحاجة إليه "بدأ الاستشراق يحقق الاعتراف به كفرع معرفي مستقل ويجب أن يذكر أنه في البيئة التي ولد فيها الاستشراق كان ثمة حاجة له وقد ولدت هذه الحاجة لتوسع في الإحتلال والمصالح الاستعمارية"[2]، هنا الكاتب يسعى لإبراز الصورة الحقيقية للاستشراق، وأنه ولد لخدمة الاستعمار والسيطرة على البلدان الغربية.

نجد في موضع آخر "محمد عبد المنعم خفاجي" في كتابه خلود الإسلام يتحدث عن مناهج المستشرقين" وقد صارت مناهج المستشرقين في البحث والدراسة والثقافة هي الأساس التي توطد في بنيانها الفكري وهي التي تأثر بها مشاهير كتابها من أمثال طه حسين، أحمد أمين مثلا:يكتب ضحى الإسلام وظهره في حين، كان الإسلام لابد أن يصل إلى كفايته على يد أحمد أمين وكتبه، وقام كثير من علمائنا بترجمة كتب المستشرقين بما فيها من أباطيل وبهتان وتعصب على الإسلام ومن بينهما كتب جولد تسهير، وأصبح علماؤنا يقول عن المستشرق أستاذ العظيم، وفي ذلك مظهر للتبعية لا يعلو عليه مظهر[3].

وقد استبدل "محمد أركون" عن المستشرق "ألان روسيوس" قوله على لسان المنتقدين الرافضين للاستشراق بأن المستشرقين ليسوا مؤهلين للتحدث عن الإسلام فقد اتصفوا بسوء الفهم والتحامل على الشرق عموما وعلى الحضارة الإسلامية خصوصا، وذلك لأنهم بأي معيار لضمان النزاهة العلمية فانحرافهم التاريخي في الحروب الصليبية ضد الإسلام، والوشايات التي يتبعونها نية ورفضهم للطبيعة الإلهية للوحي الذي

[1]- علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات، ص: 35.

[2]- آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام إستعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، ص: 67.

[3]- محمد عبد المنعم خفاجي: خلود الإسلام، دار الشهاب، باتنة، 1986، ص: 44-45.

نلقاه[1]، وكل هذا بسبب عجزهم عن رؤية الطابع الإعجازي العلمي في القرآن الكريم وجهلهم باللغة العربية.

ومن الآراء حول الكتابات الاستشراقية ذلك الذي يرى أنها دليل وصايا فكرية، ويحذر من "أن الفكر الاستشراقي في معظمة حركة فكرية غربية مضادة للإسلام والمسلمين وقد ترك هذا الفكر آثارا سلبية كبيرة على الفكر الإسلامي وهي تظهر واضحة في المجتمعات الإسلامية في أنشطتها المختلفة"[2].

توالت محاولات المستشرقين للحط من مفهوم الإسلام و إعطاء صورة مشوهة عنه وفي هذا المقاميقول **مصطفى السباعي**"أنه عبث بتاريخنا أيد خبيثة،ودونته أخرى غير أمينة، ولا يراد من ذلك إلا تشويه حقيقة وتاريخ هذه الأمة،وتشكيكها في قدرتها على تأدية رسالتها...والذي يسهر على تنفيذ وتطبيق مخططاتهم أبناؤنا الذين رباهم المستشرقون ونفثوا السموم في عقولهم حتى أصبحوا أدوات طبيعية في أيادي أسيادهم"[3].

فالناقد يستنكر عمل وأساليب المستشرقين في تزييفهم لحقائق وتاريخ الحضارة الإسلامية إضافة إلى هذا لم يقتصر اهتمام المستشرقين والمستغربين على دراسة التاريخ الإسلامي وتسويته بل تعداه إلى الدراسات الإسلامية من تفسير وحديث،وفقه،وسنة، فحرفوا النصوص حينا وأساؤوا فهمها حين لم يجدوا المجال لتحريفها.

لهذا كله تصدى بعض العلماء المسلمين لمحاولات المستشرقين وفضحوها وكشفوها منهم **عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني** في كتابه المسمى "**أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**"(التبشر-الاستشراق-الاستعمار) أي أنه هناك تكامل بين الثالوث المدمر الاستعمار لاستشراق والتبشير ويؤكد "على أن المستشرقين كان هدفهم الأساسي هو دراسة الإسلام والشعوب الإسلامية لخدمة أغراض التبشير من جهة وخدمة أغراض الاستعمار الغربي لبلدان المسلمين من جهة أخرى"[4]، فأعدت الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام وتحطيم الأمة الإسلامية.

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثارها في الصراع الحضاري، ص: 105.

[2]- محمد الدعمي: الاستشراق، الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ص: 214.

[3]- مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، دار الوراق، مصر، 1998، (ط1)، ص: 03-04.

[4]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، سلسلة2، دار القلم، دمشق، 2000، (ط8)، ص: 53.

فهو يوضح الصورة الحقيقية للاستشراق بقوله "لا أزعم في هذا السفر أني أحصيت كل أنواع المكر التي مكرتها قوى الأجنحة الثلاثة وخوافيها،ولكنني وبالتأكيد قد نبهت على معظمها، ووجهت الأنظار للاحتراس منها"[1].

فالمستشرقون هم الذين يقومون بالدراسات الاستشراقية ويقدمون دراساتهم ونصائحهم ووصاياهم للمبشرين بغية تحقيق أهداف التبشير أوالدوائر الاستعمارية،فأجنحة المكر عنده ثلاثة، **جناحالتبشير والمبشرون،جناح الاستشراق، جناح الاستعمار والمستعمرون.**

توالت ردود أفعال الكثير من المفكرين العرب والمسلمين الذين يغارون على هذا الدين وأمة القرآن أمثال:أحمد عباس صالح،شكيب أرسلان، وعباس محمود العقاد وغيرهم في الرد على المستشرقين ومن قلدهم من المستغربين في العالم العربي الإسلامي[2].

وفي دراسة نقدية للمستشرقين نجد عبد اللطيف الطيباوي يخرج لنا بنتيجتين فيها دعوة ضمنية لتحديد موقفه الرافض من "دراسات المستشرقين المحترفين باستثناء قلة شريفة منهم ما زالوا يصرون على تشويه الإسلام وتزييف حقائقه،والنتيجة الثانية هي أن هناك دلائل تثير القلق،وتشير إلى تزايد العداء والكراهية ضد العرب ويتبع هذا بالتالي عداء ضد الإسلام،وهذا العداء جذوره من صنع المستشرقين"[3].

فهذه جملة من الأسباب تدعو إلى تفنيد ورفض التيار الاستشراقي، ومن هذا المنطلق يتبين لنا "أن أعمال المستشرقين إنما هو ضرر كله ولا خير فيه،وهو جناح من أجنحة المكر الثلاث ويستوي في ذلك مع الاستعمار والتنصير بل هو مغذي للاستعمار والتنصير على حد سواء"[4]، فما جاء به المستشرقون لا يعد كونه سموما زرعوها في العلوم الاجتماعية والفكر والثقافة.

فالاستشراق رسالة استعمار وهو يساهم مساهمة فعالة في تشويه الإسلام، وتقديمه إلى الأجيال،وهو نتاج خليط مشوه من اليهودية والمسيحية والوثنية،الشيء الذي يؤدي إلى زعزعة أصالة الفكر

[1]- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، ص: 759.

[2]- ينظر: فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي، القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، (ط1)، ص: 12.

[3]- علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، ص: 70.

[4]- المرجع نفسه، ص: 74-75.

الإسلامي وتعريضه إلى خطر الانقسام والانهزام أمام العلمانية، ونجاح عملية تغريب الشخصية الإسلامية عن دينها ولغتها وثقافتها[1].

والعجيب أننا لا نزال نجهل أو نتجاهل آثار هذا الفكر الاستشراقي على الإسلام،وأهله،وأن المخطط الموجه للإسلام، القصد منه إضعاف أهليته في الشرق لسيطرة الاقتصادية والسياسة والفكرية والتي تمكنوا منها في فترات زمنية متعددة[2]، ويستمر هذا الحال إلى اليوم،فلابد من طريقة للتصدي لهذه الفئات التي لا تريد أن يقوم للإسلام قائمة.

اتخذ أصحاب هذا الرأي موقف معارض من الحركة الاستشراقية، فهاجم روادها،وطروحها المختلفة،وما توصلت إليها من دراسات ومفاهيم، وأشاروا في أكثر من حديث "إلى أن المستشرقين يتناولون الموضوعات المختلفة من منظور شخصيومصلحي، ويتصرفون في فهم النصوص وترجمتها ونقلها إلى لغاتهم، حسب أمزجتهم وتصوراتهم الخاصة"[3].

ولعل ردود أفعال المثقفين العرب، لم تكن بحثة بل هي ناتجة عن تلك الإفرازات والآثار الذي حققها المستشرقون على مستوى الساحة الفكرية والثقافية وحتى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية،هذا ما أثار حفيظة علمائنا العرب والمسلمين.

وفي موضع آخر نجد أحمد معاذ علوان حقي يقوم بتنفيذ شبهات المستشرقين "وركز على أهم شيء وهو القرآن الكريم والدعاوي الكاذبة التي لفقها المشرقون اتجاهكتاب الله، وكل هذا ناتج عن العصبية والحقد"[4]، نستشف من هذا كله أن المستشرقين تدارسوا القرآن الكريم ويسعون للمساواة بينه وبين الكتب السماوية الأخرى مع التأكيد على أن القرآن أصابه شيء من التحريف والتبديل والتغيير وفيها هذا يقول شكيب أرسلان في معرض رده على فرية المستشرقين لذلك نجد أن المستشرقين حين يجدون أية رواية وإن

[1]- ينظر: محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار "تطور الصراع الغربي مع الإسلام"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993، ص: 108.

[2]- ينظر: عبد القهار داوود الله العاني: كتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، عمان، 2001، (ط1)، ص: 12.

[3]- منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت-دمشق، عمان، 1997، (ط1)، ص: 66.

[4]- أحمد معاذ علوان حقي: نقض دعوى المستشرقين بتحريف القرآن الكريم من خلال المقارنة مع كتب أهل الكتاب، ص: 54.

كانت ضعيفة أو كانت عند المخالفين، يأخذوها حجة على التحريف القرآن فليس عندهم ضوابط لقبول الخير"[1].

ونتيجة كل هذا البهتان والكذب عن الكتاب "القرآن الكريم"،خبر المؤلف على أنها شبهات واهية انطلقت من منطلقات البعد عن الحياء العلمي النزيه[2].

[1]- أحمد معاذ علوان حقي: نقض دعوى المستشرقين بتحريف القرآن الكريم من خلال المقارنة مع كتب أهل الكتاب، ص: 58.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 89.

ثانيا:أنور الجندي وموقفه من الاستشراق

كثير من المفكرين لم يقبلوا الانصهار في حضارة الغرب، وحطموا قيد التبعية وحفظوا هويتهم الإسلامية وكان لهم الفضل في كشف خفايا المؤامرة، على الإسلام وتصحيح المفاهيم والمسلمات الوافدة ومن بين هؤلاء الأستاذ **أنور الجندي** الذي تعد أعماله إسهاما مهما، في أسلمة الثقافة والفكر والتربية، علاوة على المساجلات الفكرية والأدبية مع دعاة التغريب، فقد واجه المتربصين بالإسلام من المستشرقين ودعاة التغريب.

كما قامبمحاربة دعاة التغريب، فعرى أقلامهم وكشف ألاعيبهم، كما انصب اهتمام أنور الجندي على تصحيح المفاهيم بعد الكشف عن المؤامرات ومخططات الاستشراق والتبشير والتغريب.

فعكف على التأليف في الغزور الفكري الاستعماري الاستشراقي، كاشفا عن خلفياته ومحللا أبعاده راصدا لتحركاته، في شتى المحاضن الثقافية، فجرد قلمه لمواجهة حملات التغريبفكانت كتاباته بمثابة خناجر تغرس في صدور المستشرقين وهذا من خلال كتبه التي نجد فيها الرد والمواجهة لكل افتراءاتهم، فقد سعى إلى عرض أفكار المستشرقين فيما يخص التاريخ الإسلاميوقضايا فكان من نتاجه كتاب "سموم الاستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية"، أورد فيه فصلا بعنوان أخطار المراجع الزائفة والمصادر المسمومة" إن من أخطر ما يواجهه المثقفون المسلمون هو أن يجدوا موسوعات ومؤلفات تقدم لهم الفكر الإسلامي من وجهة نظر غربية، نصرانية، والهدف واضح هو تغريب الفكر الإسلامي وتزيف مفاهيمه وإثارة الشبهات حول حقائق"[1].

فهو بين لنا أن المستشرقين استخدموا جميع الوسائل للقضاء على الشخصية العربية فهم ودعاة التغريب من تلاميذهم عملوا على نشر المصادر والكتب والمؤلفات المشكوك في صحته كلامها وحتى مؤلفها مثل كتاب ألف ليلة وليلة الأغاني للأصفهاني "الحق أن المستشرقين ودعاة التغريب هم الذين ألحوا على هذه الكتب وأولها الاهتمام وأعادوا طبعها وأذاعوا بها وحرضوا أولياءهم من التغريبيين أن يتحدثوا عنها...وذلك لأنها تفسد الحقائق وترسم صورة غير صحيحة ولا صادقة للمجتمعالإسلامي"[2].

[1]- أنور الجندي: سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، مكتبة التراث الإسلامية، القاهرة، ص: 16-17.

[2]- المرجع نفسه، ص: 11.

كما أشار أنور الجندي إلى الدور الذي لعبه دعاة التغريب أي أدباء العرب الذين تتلمذوا في أروبا وعلى يد أساتذتهم وهم كثر فقد تشكلت شخصيتهم ونفسيتهم حسب الظروف والواقع الذي عاشوا فيه "إن بعضهم قد تشكل نفسيا وفكريا تحت تأثير ظروف مختلفة تحط من قدر العرب والإسلام واللغة العربية جميعا مع إعلاء الآداب الغربية والبطولات الغربية، وذلك نتيجة لما لفتوا من مراجع الأجانب وتحت تأثير الأساتذة الأجانب"[1].

ويقول أنور الجندي في كتاب له "كان الاستشراق أخطر أدوات فرض المنهج العلمي الغربي الوافد، ذلك أن الاستشراق في أبسط مفاهيمه وإنما هو استخدام العلم في خدمة السياسية ولذلك فقد إتصل الاستشراق بالاستعمار واتخذ من روابطه الدينية أساسا لتدمير النفس العربية الإسلاميةوإخراجها من أصولها وحدودها"[2].

1- ارتباط الاستشراق بالتبشير من وجهة نظر أنور الجندي:

يؤمن أنور الجندي من خلال الترابط الزمني بين الاستشراق والتبشير، في ظروف النشأة بوحدة المضمون واختلاف المسمى، ويؤكد ذلك بأن هاتين القوتين نشأتا بعد الحروب الصليبية في حضانة الكنيسة، فيستدل من هنا على باعث الاستشراق في استهداف الدراسات المشبوهة، التي تعني بالإسلام عقيدة وفكرا وتاريخا وتطلعات التبشير في إطارها مما يؤكد نظرية المضمون الواحد مع اختلاف المسمى، وعلى ضوئه يمكن أن نصوغ فهمنا لحقيقة التبشير وطبيعة الاستشراق[3].

بهذا قد كشف عن الوجه الحقيقي للاستشراق والتبشير فهما مؤسسة واحدة، فقد اقترن الاستشراق بالتبشير فهما مدرسة واحدة، من حيث الأهداف والتطلعات والبواعث والشبهات والأفكار، مع تلازم هاتين القوتين مع التغريب الذي يمثل القاعدة العامة لهما، وكل من هذه القوى يمثل دعامة للاستعمار الغربي، ويثبت وجوده فكريا أو عسكريا، وقد تأكد لنا في سياق العرض لشبهات التغريب والاستشراق وذلك لدعم الدول الاستعمارية، لهذه الاتجاهات بما تحمل من غايات ومقاصد.

---

[1]- أنور الجندي: سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، ص: 10.

[2]- أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الموسوعة العربية، 1974، (ط1)، ص: 421.

[3]- أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي بقطر، 1978، (د.ت)، ص: 91.

وهنا يقول أنور الجندي في هذا الصدد "فالاستشراق في شطريه- عاملا مع الكنيسة أو عامل مع وزارات الاستعمار –لايستطيع أن يخلص إلى الحق إنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات، وتقديم الزاد الكافي لدراسات التبشير"[1]، وهكذا يشترك التبشير والاستشراق في العمل من خلال أهم الجوانب التوجيهية الهامة في التعليم بوسائلها المختلفة.

ومن هنا يرى أنور الجندي ضرورة التنبه والالتفات إلى الفوارق التي يجب أن تكون واضحة في ذهن الباحثين المسلمين لكتابات المستشرقين والمنصفين منهم مع قلتهم وبين المبشرين الذين لبسوا لباس الاستشراق.

يحاول المستشرقون عبر دراستهم، أن يزيلوا الهوة بين الإسلام والمسيحية ببيان أثر المسيحية على الإسلام، وإسقاط العلاقة بين دين محمد صلى الله عليه وسلم والسماء حتى يظهر الإسلام وكأنه دين بشري مستمد من الفلسفات والعقائد السابقة له تلك الخطة التي دأب كتاب المستشرقين عليها وداروا في فلكها فطن المفكر أنور الجندي، لهذا التطلع الصليبي، فأخذ يتتبع آثارهم في كتاباتهم عن الشرق بصفة خاصة، ويعرض نماذج من طريقهم في البحث، ويكشف عن تلاعبهم وتصحيفهم للحقائق.

لكن مع هذا فأنور الجندي لاينكر الايجابيات التي قدمها المستشرقون للفكر الإسلاميلاسيما فيمجال التبويب والفهرسة، لكتب الحديث والتراجم، إلا أنه يأخذ على إيجابياتهم أمرين الأمر الأول:سرقة التراث الإسلامي بأساليب متنوعة وانتقاله إلى دائرة المستشرقين، يعد من أخطر التحديات، ذلك أنه أصبح حجة على المسلمين لا لهم وأصبح يعرض على النحو الذي يختاره الاستشراق، بعيدا عن تصور المسلمين وإرادتهم مما يهدد وحدة الفكر الإسلامي، بمايضم من عقيدة وتاريخ ولغة، لذلك يرى أنور الجندي بأن نظرتهم لكثير من القضايا تعبر عنهم فقط وكذا نظرتهم للإسلام على أنه دين لاهوتي محض كالمسيحية، في حين أن الإسلام دين ودستور وحياة وقد تأثروا بوجهة نظر السياسية الاستعمارية وخضوعها لها، قصور أفهامهم عن إدراك حقيقة الفكر الإسلامي وطبيعته، التي تربط بين الثابث والمتغير والروحي المادي والدنيوي والأخروي، فكل هذه الاعتبارات تجعل أراء المستشرقين تختلف عن التصور الفكري الصحيح للإسلام[2].

[1]- أنور الجندي: شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي بقطر، ص: 91.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 87.

فقد أشار أنور الجندي إلى اتجاهات الاستشراق والتبشير والصهيونية والاستعمار مابينهم من علاقة، ويكمن خطر الأول (الاستشراق) أنه يدرس القضايا بوجهة نظر مسبقة وبأحكام مقررة وأهداف واضحة أساسها خدمة النفوذ الاستعماري والسياسي.

فأنور الجندي يحاول أن يصور لنا الخطر الأكبر الذي يواجه فكرهم وعقيدتهم ولكن هناك ردة فعل لأدباء العرب المسلمين "ومن كل هذا نجد أن المواجهة الإسلامية العربية للفكر الغربي كانت مواجهة خطر واضح، والهدف مدبر ولم تكن مواجهة فكر لفكر على نحو يستطيع أن يأخذ أو يترك، وأن يحدد موقفه سلف بتأكيد ذاتيته ومعرفة ما يتلقى فيه مع الفكر الغربي أو يختلف معه"[1].

فمهما قام الغرب بمحاولات ضد العالم الإسلامي إلا أنه يواجه دعائم وأسس لا يستطيع حتى زحزحتها وهي التي يقوم عليها الفكر الإسلامي "كاللغة العربية والقرآن ونبوة الرسول صل الله عليه وسلم ووحدة المسلمين وفي كل هذه القضايا لا تستطيع المناهج الوافدة أن تستوعب الأصول والحقائق حتى لو أرادت أن تحكم حكما نزيها صادقا ثم هي في نفس الوقت تعجز عن هذا الحكم لأمرين لخضوعها لأيدلوجيات لغاتها وفكرها ولمفهومها الموروث إزاء الشرق والغرب والأجناس من غير الجنس الأبيض"[2].

إن أكبر خطأ وقع فيه الشرق والمسلمون عامة، أنهم اعتمدوا على تلك الدراسات الاستشراقية والتي كان يغلب على أسلوبها الموضوعية الزائفة، في أهم ما يختص بمباحثه وتاريخه ودينه، ولم نر أدلة موضوعية تظهر في كتابات المستشرقين على أبناء جلدتهم، وعلى ذلك فلا يرى أنور الجندي أي ارتباط بين هذه الدراسات والموضوعية العلمية، ويوجه المسلمين، إلى أن يلتمسوا ثقافتهم وتاريخهم في محيط الموروث الفكري والعقائدي والحضاري، الذي حفلت به أمهات الكتب وآلاف الدراسات التي توجت بأقلام رجال الفكر والثقافة في الشرق، لانلبس أنفسنا لباسا لايتناسب والطبيعة الفكرية والثقافية لنا، ويشير إلى محاذير التعلق والاعتماد على دراسات المستشرقين، فيرى أنها أفقدت الكثير من ثقته بنفسه في البحث والنظر، فيفقد الهوية الثقافية المستقلة، ومن ثم يكون عبدا لكل مايصدر عن كتابات المستشرقين من الغث

[1]- أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، ص: 443.

[2]- المرجع نفسه، ص: 443.

والسمين، فلا يكاد يتبين الحق فيقع في حمل وتبني، تلك الأفكار التي في ظاهرها الموضوعية وفي حقيقتها مصادرة لمقومات الفكر الإسلامي الصحيح[1].

والواقع يؤكد ماذهب إليه المفكر أنور الجندي، فقد سارت أعمال المستشرقين في دائرة الانحراف في منهج العمل التاريخي، وقادهم ذلك إلى مغالطات علمية وتاريخية أثناء عرضهم لأحداث التارخية وغيرها، ومعلوم بأن (اختلاف شكل المرئي باختلاف زاوية الرؤية)، والباحث الأوربي ينطلق من مواقف متعددة، مما يجعل نتائج هذه الدراسات منصرفة، عن قاعدة المنهج العلمي الصحيح، وإن احتمل بعضنا حسن النية إلا أن الأمر يلزم مخاطر كبيرة على تاريخنا وفكرنا ولغتنا[2].

ومن الحق أن يقال بأن حركة الاستشراق تمثل العدو الأكبر للعرب والمسلمين، ذلك بما حملت من أهداف خطيرة، وما كانت دراساتهم وأبحاثهم إلا تعميقا لروح العداء الصليبي للاسلام وأهله، ومن هنا فإن موجه الإلحاد، التي يقودها حملة الفكر الاستشراقي، تستهدف غايتها بكل الوسائل التي لايظهر فيها وجه العداء الحقيقي،للمسلمين لذلك فقد كانت جهود المفكر أنور الجندي بمثابة ناقوس صحوة للأجيال المخدرة ببريق تلك الدراسات التي تستهوي العقل ببريق ألفاظها، ولعل الكثير من الدارسين حتى من حملة الشهادات العالية ينقصهم هذا الفهم التحليلي لتلك الابحاث والدراسات، لذلك كان من الضرورة أن نعتمد في دراساتنا التاريخية والدينية على المصادر العربية الأصلية ونخضع كل الدراساتالغربية لمنهج التحقيق العلمي، حتى تشمل دراسات المنصفين منهم، فإن هناك مزجا لايتم الفصل فيه إلا بالنظر والكشف بناء على المقاييس الإسلامية.

كما أشار أنور الجندي إلى دائرة المعارف الإسلامية في أنها لها اليد الطولى للمستشرقين فقد هيؤوها لمبعوثيهم وتلاميذهم بجميع اللغات وفيها هذا يقول العلامة تقي الدين الهلالي "أن في دائرة المعارف الإسلامية أخطاء ودسائس ناشئة عن التعصب الأوربي فقد بث المستشرقون سمومهم ويدعهم وأقاويلهم الكاذبة في هذه الموسوعة"[3].

[1]- ينظر: أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، شارع عبدين، القاهرة، ص: 215.

[2]- ينظر: أنور الجندي: كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، 1985، ص: 76-77.

[3]- أنور الجندي: سموم الاستشراق والمستشرقين، ص: 19.

فقد سما الاستشراق لغسل أذهان شبابنا المسلم، لذا وجب علينا التذكير بوجه الحق فيها حاول التغريب والفكر الاستعماري الغربي القضاء على الصورة الحقيقية للإسلام إلا أن هناك من يدعو "العلماء المسلمين إلى ضرورة التصدي لأراء المستشرقين وتفنيد ادعاءاتهم، وإنني أرى من الواجب على العلماء المسلمين اليوم أن يدخلوا مرحلة جديدة في مناقشة المستشرقين"[1]،فيجب مناقشتهم والدفاع عن الأحلام "قد أثبتت البحوث العلمية أن المستشرقين يخوضون في الإسلام أشد وأنكى ما خاضت فيه الفرق الضالة"[2]، لذا وجب التصدي لهم ويصرح الكاتب عابد بن محمد السفياني بأن أفكار ودراسات المستشرقين لا يجب أن تؤخذ على أنها مسلمات لأنها افتقرت للدقة والحقيقة العلمية.

ولأن ليس لهم دراية باللغة العربية ولا بالمنهج الإسلامي ولا يلزمون بأصول الفقه الإسلاميإلا أن هناك الكثير من الأفكار التي انتشرت وتستشرق تحت لباس البحث العلمي "وليس العجيب من هؤلاء المستشرقين وإنما العجب من تابعهم الذين يتكلمون بلغتنا وينتسبون إلى العالم الإسلامي"[3]، فهم يرددون ما قاله زعماؤهم وما تعلموه عنه "إن الإسلام ليس فيه نظام اقتصادي ولا نظام سياسي ذلك لأن الشريعة خارج نطاق الدين، فهي ليست منه ومن ثم لا تحكم الحياة الاقتصادية ولا السياسية"[4].

فهم يريدون فصل الدين عن الدولة ونسبة العالم الإسلامي على أنه علماني، ولهذا راحوا يشوهون عقيدة المسلمين بعقول شيطانية ونوايا إستشراقية معرضة، ومخططات استعمارية لا تخدم إلا دولهم وعقيدتهم الباطلة.

هذا الغزو الفكري الذي قام به الاستعمار والتبشير والاستشراق بكل وسائله وطموحاته وكيده لأمة الإسلاميةوإن استطاع أن ينال من المسلمين بأن يغريهم بالمطامع أو انفتاحهم وحرية المطلقة، إلا أن العقيدة في نفوس المسلمين لم تستطع أن ينال منها شيئا.

[1]- عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة، ص: 26.
[2]- المرجع نفسه، ص: 26.
[3]- المرجع نفسه، ص: 23.
[4]- المرجع نفسه، ص: 23.

ثالثا: مالك بن نبي الرافض والداعي إلى التحصين

شكل موضوع الاستشراق هاجسا لدى الباحثين والنقاد العرب إلى درجة أنهم أولوه عناية كبيرة وذلك الاستشراق من أهم المسائل التي تواجه عالمنا العرب الإسلامي ولعلاقته بالدوائر الاستعمارية وبالتبشير،وكذا بالتوجهات الحضارية ككل وهنا يتحدد لنا موقف **العلامة مالك بن نبي** فموقفه بني على الرفض المطلق لجهود المستشرقين.

والتقليل من الجوانب الحسنة التي أسموا بها، و"هذا الأمر لا يرضي الطرف الآخر الذي يثني على جهود المستشرقين وينسب إليهم الفضل في التعرف على التراث أولا ثم خدمته ثانيا"[1].

وموقف مالك بن نبي معاد للاستشراق وكل ما يصدر عنه ويأتي فهو ينسب إلى المستشرقين مصالحا وأهداف ونوايا خبيثة مشبوهة معادية للعرب والمسلمين، فأنتج لنا كتابه **"إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث"** موضحا فيه ماهية الاستشراق وأثر هذه الظاهرة على الفكر الإسلامي.

وعلى العموم يعتبر مالك بن نبي من أوائل المحدثين في معالجة مشكلات الحضارة، بمنهجية علمية دقيقة وهوعلى وجه الخصوص أول المفكرين المسلمين ممن غاصوا حديثا في أعماق الحضارتين الغربية والإسلامية، بحثا عن أسباب التخلف وشروط النهضة من جهة ومقارنة بين المفاهيم الغربية والإسلامية كالديمقراطية والإسلام، والأصالة والعصرنة، فهو مفكرإسلامي وفيلسوف اجتماعي اهتم بمشكلات الحضارة وأصولها وعوامل نشأتها وانحلالها وبالصراع الفكري الإيديولوجي في البلاد المستعمرة، وهناك في فرنسا وبنظره وتعايشه، وتأمله تأثر كثيرا بالثقافة الأوربية ومفكريهم إلى جانب ذلك تأثر كذلك بالمفكرون المسلمون كأمثال ابن خلدون ومحمد عبده والأفغاني فزاوج بين الثقافتين الأوربية والإسلاميةفي تكوينه الشخصي[2]، فمالك بن نبي مفكر إسلامي اجتماعي ورائد إصلاحي عايش الاستعمار الفرنسي كما أنه تعرف على الثقافة الغربية لعيشه فيها ولذا سنذكر رأيه في الثقافة الغربية "النخبة المسلمة تختار الأفكار المميتة في الثقافة الغربية، وأن الأفكار المميتة هذه لاتمثل الواقع الغربي وذلك لأن هناك خيار في الواقع، لأن العالم الثقافي الغربي ليس كله مميتا، إذ أنه مايزال يبعث الحياة في حضارة تنظم حتى الآن مصير العالم"[3].

---

[1]– علي بن إبراهيم النملة: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، إستقراء المواقف، ص: 36.

[2]– ينظر: نور الدين مسعودان، مالك بن نبي : حياة، وآثار، شهادات، ومواقف، دار النون، (دط)، (دت)، ص: 40-60.

[3]– نور الدين مسعودان: مالك بن نبي: حياة وآثار، شهادات ومواقف، دار النون، ص: 128.

نعود لكتابه إنتاج المستشرقين فنجده أولا قام، في إبداء رأيه بتحديد المصطلح "المستشرقين" الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية علينا أن نصف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين أولا من حيث الزمن طبقة القدماء مثل **جربر دورييك،والقديس توماس الأكويني** وطبقة المحدثين مثل:**كان درقو،وجولد تسهير**،ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتابتهم فهناك طبقة المادحين للحضارة وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها"[1].

هكذا قسم مالك بن نبي المستشرقين من حيث الزمن ومن حيث الاتجاه وقد استطاع أحمد سمايلوفتش أن يستقرأ لنا نتائج آراء العرب على ظاهرة الاستشراق بحيث "يستطيع الباحث بعد تفحص دقيق لهذه الآراء التي نسجها علماء العرب أن يستخلص النتائج الآتية سابقا:أن الاستشراق في المفهوم العلمي علم يفهم في رحابه الكتاب الغربيين الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وحضارته ولهم طبقات من حيث الزمن،(القدماء والمحدثون).ومن حيث الاتجاه العام نحو الإسلام (المؤيدون والمنتقدون) والدراسة الشاملة للموضوع لابد أن تقوم على هذا الأساس و الترتيب كما يرى مالك بن نبي"[2].

ومن هذا المنطلق تأتي دراسة و رؤية مالك بن نبي للاستشراق"فمن الواضح أن المستشرقين القدماء أثروا و لا يزالون يؤثرون على مجرى الأفكار في العالم الغربي دون أبحاث تأثر على أفكارنا"[3]، فهو يرى أن الاهتمام بدراسة الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه كان شرا على المجتمع الإسلامي لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة الحرمان سواء في صورة المديح،و الإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر،وأغمستما في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا أو في صورة التنفيذ والإقلال من شأننا بحيث صرنا حماة...عن مجتمع منه،مجتمع ما بعد الموحدين بينما كان من واجبنا أن نقف منه، عن بصيرة طبعا ولكن دون هوادة لا نراعي في ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ دون أن نسلم لغيرنا عن الأصداع. أو نحن نصرح بأننا نجد على كل وجه جانبا إيجابيا في هذا الاستشراق فإننا لا نجده في صورة المديح بل صورة التنفيذ فعندما يعلن الاستشراق أنه لا نصيب للعرب في تشييد صرح العلوم[4].

---

[1]– مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، 1969، (ط1)، ص: 5.

[2]– أحمد سيما يلوفيس: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 29.

[3]– مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص: 25.

[4]– مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد، بيروت، 1969، (ط1)، ص: 25.

مالك بن نبي ظاهرة فكرية ظهرت في العالم العربي المعاصر، درس الفكر العربي عن طريق الفكر العربي الاستشراقي وواجه الاستشراق من خلال كتابه **إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث** فقد تميزت كتباته بالنظر والبحث والنقد وفي كتابه هذا صنف المستشرقين إلى طبقات وبين لنا أن أفكار المستشرقين لها أثر بالغ على المجتمع العربي "إن الجيل المسلم الذي أنتسب إليه يدين إلى هؤلاء المستشرقين الغربيين بوسيلة التي كانت بين يديه لمواجهة مركب النقص الذي اعترى الضمير الإسلامي أمام ظاهرة الحضارة الغربية"[1].

كما واجه مالك بن نبي في كتابه في المنهج الديكارتي بالمنهج الرباني "القرآن الكريم"،فهو يرى أن المنهج القرآني "أول عمل للفكر الإسلامي بل أول عمل علمي للفكر البشري من نوعه"[2]،وهو يقول "إن القرآن الكريم لم يأت قطعا، وبصورة مباشرة ولا بالحساب العشري ولا بالجر، ولكنه أتى بالمناخ العقلي الجديد الذي يتيح للعالم أن يتطور"[3].

إذن فالقرآن الكريم أعظم معجزة خالدة لحد اليوم وأن القرآن الكريم منهج المجتمع به يتطور ويفكر ويتعلم ويعلم فالمنهج القرآني أساس قيام العلم والفكر في هذا العالم "واليوم أران تبرهنا هذه القيم الشامخة وتتيح في عالم الخيال لما تذكرها أقلام المستشرقين، وإن تذكرها يعترينامركب النقص، وفي كلتا الحالتين تصب هذه الدراسات في روحنا حرمانا مزدوجا "[4].

فنحن في معركة فكرية ويجب أن نحدد موقفنا إما أن نواجههم أو نتبعهم ومالك بن نبي يدعونا لعدم الاستسلام "وبكلمة علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستغلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي"[5].

لذا وجب لنا أن يوضح لنا هذهالنقطة وبين لنا كيف نتخلص من التبعية في قوله هذا "يجب أن نضيف له أن المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكنه على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية

[1]- المرجع نفسه، ص: 08.
[2]- المرجع نفسه،ص: 34.
[3]- المرجع نفسه، ص: 28.
[4]- المرجع نفسه، ص: 41.
[5]- المرجع نفسه، ص: 48.

لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية لتصنيعه ولن يمكن للمجتمع في عهد التشييد أن يشيد بأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج سواء كانت منتمية إلى الاستشراق أو الشيوعية[1].

موقف مالك واضح هو الرفض ومواجهة بكل السبل وهو بهذا الكتاب يريد أن يستنهض الشباب المسلم للقضاء على هذا الخطر الذي يداهمنا في وقرنا ويسعى إلى القضاء على الشخصية العربية الإسلامية.

محمود حمد شاكر قد واجه هذا التيار فأسماه حملة هموم الشمال المسيحي فنستشهد بما حدث بمصر أيام محمد على إذ كان لتلك البعثات العلمية إلى الخارج دور فعال في إفساد وترويج ثقافة الغرب إلى العالم العربي إسلامي[2].

[1]- مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص: 48.

[2]- محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتين جدة، دار المدني، 1407هـ، ص: 141.

رابعا:محمود محمد شاكر وموقفه في الاستشراق:

هو من أشد المواجهات الفكرية المعاصرة إذ يكشف في كتاباته لنا خطورة الغزو الفكري وماكان يستهدف الاستشراق والتبشير والاستعمار وما كان بينهم "فهو دافع عن الأمة العربية الإسلامية وقد دافع عن اللغة العربية وعن معضلة الدعوى إلى العامة وتاريخها فهو يبين لنا وإن كان منطق هؤلاء المستعمرين والمبشرين والمستشرقين في الاستنباط مخالفا للعقل تماما ومن أجل هذا كله يجب علينا مواجهتهم جميعا دون خفاء وبلا استثناء"[1]،نستشهد بمثال وهو ماحدث في الجزائر عندما حاول الاستعمار الفرنسي القضاء على اللغة العربية "أن الحملة الفرنسية على الجزائر قد وقعت بعد ثلاثين سنة من الحملة الفرنسية، على مصر وهي الحملة التي تركت بصماتها على الشرق، وجعلت الاستشراق الفرنسي ينشط في تحقيق ماعجز عليه الجيش...وخصوصا فيما يتعلق باللغة العربية"[2].

نستنتج من هذا القول بأن فرنسا خاضت تجربتها مع مصر، وتعلمت منها لذلك كانت الجزائر طعما سهلا للاستيطان والاستعمار وكذا معرفته للغة العربية فاللغة هي المفتاح الأول للقضاء على أي أمة، واللغة العربية هي الوسيلة الضرورية لمعرفة البلاد وأهلها "اللغة العربية في الجزائر كانت لغة الحديث منذ قرون، ودراستها بطريقة جادة يمكن أن تقدم للفرنسيين فوائد جمة"[3]،كمعرفة أفكارهم وحضارتهم ومواضع ضعفهم، فاللغة متصلة بالدين وحتى العادات والأعراف السائدة والجانب السياسي والاجتماعي.

ويضيف "مستشرق خبير في شؤون الاستعمار أن دراسة أدب الجزائرين، سيؤدي إلى معرفة عبقريتهم وأصالة فكرهم وشعرهم المؤثر، ومعرفة كتبهم في العلوم والتاريخ والفقه والدين، ومن ثمة معرفة أصول أفكارهم وأحكامهم وتقاليدهم"[4]،ورغم كل هذا فلقد ظلت اللغة العربية صامدة في ظل الاستعمار الفرنسي التي حاول قتلها في عقر دارها.

[1]- أحمد سمايلو فيس: فلسفة الاستشراق وأثرها على الأدب العربي المعاصر، ص: 701.

[2]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 22.

[3]- المصدر نفسه، ص: 24.

[4]- المصدر نفسه، ص: 25.

فقد غاب عن أذهانهم أن للأمة العربية فلسفة وهوية إيديولوجية معروفة صامدة أمام تيارات الغزو الثقافي لا يعتريها الوهم وهذه الفلسفة هي العقيدة الإسلامية[1].

لقد دافع عباس محمود العقاد عن الفكر الإسلاميدفاع المستميت وقلما نجد أحدا ينبع الفكر الاستشراقي خطوة خطوة بالتقدير والبحث فيه كالعقاد .

ومما يجدر الاشارة إليه هو قول عبده عبود في كتابه الأدب المقارن، وهو يتكلم عن الحملة العربية المناهضة للاستشراق، والتي أسهب الأدباء العرب في التحدث عنه فقد سخروا أقلامهم لهذا، ظهرت الكثير من الكتب والأبحاث والمقالات وكذا الندوات والمحاضرات "فإن نقاد الاستشراق من العرب متفقون، على أن الاستشراق نشاط علمي وفكري معاد للعرب والمسلمين، أي نشاط يرمي إلى الاساءة إلى ثقافتهم، ومجتمعاتهم، ولايتردد قسم كبير من هؤلاء النقاد في أن يعد الاستشراق حلقة من حلقات المؤامرة الغربية الصهيونية"[2]، فغالبية النقاد العرب نظروا للاستشراق نظرة العدو الحاقد لأنهم كانت لديهم خلفية ودوافع فكرية وعقائدية مختلفة كخوفهم القضاء على الهوية القومية العربية، والتشكيك في العقيدة الإسلامية وغيرها.

[1]- ينظر: مؤمن الهباء: لابد من دين الله...لدينا الناس، التنوير، لا لتضليل، سلسلة 3، الناشر، مكنة وهيبة، القاهرة، 1994، (ط1)، ص: 17.

[2]- عبد عبود: الأدب المقارن مشكلات وأفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص: 11.

خامسا:ادوارد سعيد و الظاهرة الاستشراقية :

إنموضوع الاستشراق لا يزال من المواضيع التي تستحق الدراسة تلو الاخرى لأنه يتعلق بالماضي والحاضر والمستقبل،فقد تغلغل مصطلح الاستشراق في ذهنية الثقافة العربية،وغزى قاموس الحياة العربية وكيانها وهذا ما دفع الكثير من المفكرين والباحثين العرب،للقيام بعدة دراساتحول هذه الظاهرة وتعريفها والبحث عن سبيل المواجهة والتخلص منها أهم هؤلاء الدارسين العرب "**المفكر العربي المسيحي الفلسفي إدوارد سعيد**"من خلال كتابه (السلطة المعرفة الانشاء)قد قام بدور هام وفعال في عملية الانشاء وذلك من أجل التعرف على الآخر في إطار لغوي ذو لمعة،وجاذبية ناهيك عن السياسة الخفية والسلطة وتضارب المصالح والغايات التي يصبو إليها الطامعون فهو علم عربي تشبع بالاستشراق الامبريالي وكتب فيهفي عدة مواضع وعالجه في العديد من الكتب، ومجمل كتبه تصب في الدفاع عن الثقافة الإسلامية بأبعاد سياسية وعلمية وأدبية وفكرية، وتعرض إدوارد سعيد لهجوم من الكتاب الغربين والعرب ومازال مثارنقاش لحد اليوم.

وفي هذا يقول إدوارد سعيد "ومع مرور الزمن اكتسبت كلمة الاستشراق، شهرة واسعة باعتبارها لفظة تجريح وتشهير، ومن المفارقات اللاذعة أنني شخصيا هوجمت، من قبل إذاعة ياسر عرفات الرسمية، أثناء زيارة قمت بها إلى فلسطين (1996م)،بتهمةأنني مستشرق"[1].

ومن المستشرقين الذين انتقدو إدوارد سعيد في أطروحته مثل، **مكسيم رودنسون** فيقول في هذا الشأن "إدوارد سعيد أعطى للكلمة مساحة إديولوجية كبيرة، انتقد الاستشراق وأعطى إديولوجية خاصة للدراسات الاستشراقية، بحيث استخدم كلمة استشراق،في سياق مرذول وغير مرغوب فيه...هذا النقد بالنسبة لإدوارد سعيد وأنور عبد الملك، لايتوفر له الوضوح والاتساق الكافيين، فهما ينتقدان الاستشراق من خلال مفكرين غربيين آخرين، ومنهم من بدأفي نقد الاستشراق لأسباب شخصية فأنور عبد الملك لأنه كان يطمح في مكانة أكبر،ولم يحصل عليها في الغرب شرع في توجيه الانتقادات"[2]،ولكن **مكسيم رودنسون** يؤكد أن من حقأي شخص أن يكتب في أي مجال وحتى عن ظاهرة الاستشراق "بالطبع إدوارد

[1]– إدوارد سعيد: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، 1997، ص: 09.

[2]– أحمد الشيخ: نقد الاستشراق، ص: 39-42.

سعيد له الحق في تحليل ظاهرة الاستشراق على هذا النحو أوذاك، لكن بالنسبة إلى أعتقد أنه ساهم في الخلط القائم في هذا الشأن"[1].

وفي مجلة المؤرخ العربي في مقال معنون **حول طبيعة الاستشراق لساجدة عمر فوري تقول** "صدر في لندن عن دار راثلج في الشهر الماضي، (كتاب الأستاذ ادوارد سعيد عن الاستشراق)، وقد أثار الكتاب حال صدوره ضجة علمية وصحفية سبقها في أن هذا الكتاب يمثل أول مبادرة عربية علمية تتصدى لمعاهد الغرب الفكرية والتي ادعتلنفسها مهمة احتكار تدريس وتفسير وتصحيح أفكار العرب والمسلمين، وعليه فقد شعر كتاب الغرب بالقلق، وبات لديهم أن هذا الكتاب هو بادرة أولية لمثقفي المشرق في محاولة الأخذ بزمام مصائرهم وإعادة النظر في تاريخهم وما كتب عنهم"[2].

ولكلمة الاستشراق مدلولات كثيرة كمصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعني بدراسة الحياة الحضارية للأمم الشرقية بصفة عامة ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة، أما الذين يحاولون "تحديد نشأة الاستشراق تحديدا علميا قائما على حدث علمي فيعيدون نشأة الاستشراق إلى سنة (712هـ 1322م)،حينما عقد مؤتمر **فيناالكنيسي** ونادى بأنشاء كراسي للغات العربية واليونانية السريالية،في الجامعات الأربع الرئيسية في أوربا وهي باريس، إكسفورد، بولونيا وسلمنكا،وقد رأى هذا الرأي كثير من الذين كتبوا عن الاستشراق ويبدو هذا أقرب إلى الصواب لأنه يعطي تاريخا بعينه وحادثة علمية بالزمان والمكان والنتائج[3].

وعلى حد قول **إدوارد سعيد** "أن مانسميه الاستشراق هو طريق الوصول إلى تلاؤم مع الشرق مبنية على منزلة الشرق الخاصة في التجربة الأوربية الغربية،فالشرق ليسلصيقا بأوربا، وحسب بل إنَه كذلك موضع أعظم مستعمراتها وأقدمها ومصدر حضارتها وتمدنها"[4].

فالاستشراق لدى إدوارد سعيد مرتبط بالشرق لأنه هو الأضعف والقوة تكمن للغرب قد استطاع استباحة الآخر للشرق بأرضه وثرواته،بل وقدرته على إكتشافه من الداخل ثقافة ووعيا وذاتا.

---

[1]- أحمد الشيخ: نقد الاستشراق، ص: 39.

[2]- ساجدة عمر فوزي: مجلة المؤرخ العربي "حول طبيعة الاستشراق" 1980، العدد 14، ص: 01.

[3]- ينظر: سعد بوفلاقة، الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات التراثية والأدبية واللغوية، ص: 122.

[4]- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 37.

وبناءا على ماقيل فالاستشراق هو أكثر المصطلحات تفصيلا كونه يتضمن الموقف التنفيذي،السلطوي للاستعمار الاوربي في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بيد أن الكتب لا تزال تكتب والمؤتمرات تعقد،ومحركها الرئسي هو الشرق فالاستشراق بمعناه الصحيح في رأي إدوارد "أسلوب من الفكر القائم على تميز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب"[1]، ظاهرة ينفرد بها الغرب في دراسته لأحوال الشرق ويتحدد المعرفة الاستشراقية،بما يقوله الغرب عن شؤون الشرق والشرق سابقا كان يضم الدول العربية والإسلامية وجنوب شرق آسيا والصين واليابان.

وبإيجاز فالاستشراق "كأسلوب غربي للسيطرة على الشرق واستبنائه وامتلاك السيادة عليه، فإن التكلم عن الاستشراق هو التحدث عن مشروع ثقافي بريطاني وفرنسي ينبثق من علاقة تقارب،خاصة قامت بين بريطانيا وفرنسا والشرق"[2]،فهو يشير إلى أن الاستشراق هو الوسيلة من وسائل سيطرة الغرب علينا،وثمرة من ثمرات التآمر الغربي علينا.

ويؤكد "أن الاستشراق يستطيع أيضا، أن يعبر عن قوة الغرب ،وضعف الشرق كما يراها الغرب وهذه القوة وهذا الضعف قائمان في صميم الاستشراق كما يقومان أيَّة نظرة تقسم العالم إلى أجزاء كبيرة وعامة، وإلى ذوات تتعايش في حالة من التوتر يولده مايعتقدأنه فرق جذري"[3]،ومن هنا فالاستشراق لايمكن حصره في تعريف بأنه ظاهرة تاريخية،ومنهج في الفكر،ومشكلة معاصرة،وواقع مادي، فقد تشعبت أهواؤه وميوله واتجاهاته في عالمنا الشرقي.

وفي هذا المقام نجد محمد الدعمي يدعم هذه الفكرة ويستشهد بكتاب إدوارد سعيد "إن الاستشراق يعكس طرائق التناول الغربي،للثقافة العربية الإسلامية ماضيا وحاضرا فقد تحول إلى شيء من الحمى بعد نشر وتعريب كتاب الاستشراق فهو مؤلف نقدي يعتمد علىالخط الجدلي والأدوات الأكاديمية المناسبة لمباشرة آليات التفكير الغربي بالشرق لذا استقبل موضوع الإستشراق من قبل العقل العربي والمسلم المثقف بالكثير من الاهتمام الذي طفت آثاره على سطح وسائل الإعلام بأنواعها زيادة على تبلورها في عدد من المؤلفات التي حاولت نقد الاستشراق بالطريقة التي اعتمدها إدوارد سعيد[4]، فقد قسم هذا البحث

[1]- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 38.

[2]- المرجع نفسه، ص: 39.

[3]- المرجع نفسه، ص: 37.

[4]- محمد الدعمي: الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، ص: 07.

الأكاديمي في مجالات ثقافية غربية وعربية لذا تم استحضار أهم المنطلقات الفكرية العربية الإسلامية المعاصرة على سبب البرهنة، وعلى أن الماضي إنما هو كينونة حيوية ومولد فاعل في صناعة التاريخ المعاصر واستشراق المستقبل لدى العرب والمسلمين.

وأن ما يهم في الاستشراق هو"المجموعة العامة من الأفكار التي تطغى على كتلة المادة ومن يستطيع أن ينكر أنها كانت أفكار مستبقة بمذاهب التفوق الأوربي"[1]، إذن هو حقيقة ثقافية وسياسية.

ربط إدوارد سعيد دراسات الاستشراق الغربية المتخصصة بدراسة ثقافة المستشرقين، إضافة إلى ربطها بالمجتمعات الامبريالية، مما جعل أعمال الاستشراق أعمال سياسية في لبها وأكد على التغير المستمر والماكر من دول مراكز أوربا اتجاه الشعوب العربيةالإسلامية.

فاستطاع أن يقدم "استعابا منهجيا محكما ومدعوما بمعرفته الواسعة بالتيارات النقدية لأدبيات ما بعد الحداثة واللغات الأجنبية وأيضا الانتاج المعرفي الأدبي والتاريخي الغربي، لكن لابد من الأخذ بعين الاعتبار أهمية تأثير الفيلسوف الفرنسي ميشل فوكو الماركسي أنطونيو غرامس"[2].

ولذا يرى مؤيدو إدوارد في كتابه الاستشراق كان حجر أساس في إنشاء حركة مابعد الاستعمار،ساعدت الباحثين الغير الغربيين على الاستفادة من المزاج السياسي في خلق حياة منهجية جديدة ودراسات مهنية ناجحة دون الاعتماد على نتائج الابحاث الغربية لهذا اعتبرإدوارد سعيدمؤسس نظرية ما بعد الاستعمارثمة ترابط حميمي دائري بين الاستشراق والاستعمار، فالاستشراق هوعقلنة وتبرير للسيطرة الاستعمارية، رأى سعيد في غزو ومصر شاهدا أكيدا على مايقول، حيث استشار نابليون العلماء، قبل بدء مشروعه ومن ثم وما إن تسنى له الانتصار حتى انطلق الاستشراق[3].

فالاستشراق له منحى سياسي يتخفى في ثوب ثقافي، فهو في ذهن سعيد مشاعر واجب التحرر منها لذا يجب مواجهة الغزو الفكري الذي خلقه الاهتمام الأوربي بالشرق على نحوسياسي أدى استعماره فهو كامن خفي يمثل الثقافة الغربية وهوظاهر ومؤثر من خلال الاستعمار.

---

[1]- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 47.

[2]- علي عبد اللطيف أحميدة: ما بعد الاستشراق "مراجعات نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي الحضاري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، (ط1)، ص: 11.

[3]- ينظر: إدوارد سعيد، الاستشراق، ص: 378.

وهكذا نجد محمد الفيوميوافق ادوارد سعيد رؤيته إلى الظاهرة الاستشراقية الغربية"إلا أنه لم يكن مبالغا حين كشف الاستشراق، ووضح نواياه وأعماله التي تعاملت مع الشرق"[1].

ومن ثم فإن فعل الاستشراق أيقظ حمية المفكرين والمثقفين الشرقيين وكان هذا كرد فعل دفاعي إرادي لهذه الظاهرة.

لقت أطروحة إدوارد سعيد إستحسانا مثلما تعرضت لهجوم عنيف من أكثر من موقع،ومنطلق ولأكثر من سبب أشدها كان من المستشرق برنارد لويس(**Bernald louis**)الذي أشار إلى وجود مغالطة منهجية لايمكن تبريرها في أطروحة إدوارد[2]، وواقع الاستشراق من حيث منظوره التاريخي "هو أسلوب غربي لسيطرة على الشرق وامتلاك السيادة عليه وبأن الاستشراق قد شكل الحضارة الشرقية في كوكبة من الأفكار الشرقية بالاضطهاد، والأمة الشرقيةوالصورة الشرقية وحواسه"[3]،فادوارد نقد ورفض الاستشراق من المنابع التي أمدت المستشرقين بأدواتهم الابستمولوجية.

وبناء على ماسبق يتضح لنا أن الاستشراق اختبأ وراء وجه جميل بريء لكن داخله لطالما أضمر الحقد والكراهية للاسلام والعرب محاولا إبراز الفوقية والسيطرة والقوة، والانا الامبراطورية على حساب الشرق الذي وصفه بالتخلف فقد حاول سعيدأن يظهر الاستشراق في حلته الخبيثة المتنكرة في ثوب المعرفة من أجل توسع الهيمنة الغربية على الشرق.

إن تجربة ادوارد من خلال كتابه الاستشراق،مكانة وأهمية كبيرة في نقد الاستشراق الذي تعرض له الكثير من الأدباء العرب،ولكن نقد سعيد هو النقد المتكامل الذي استطاع به أن يرد على الفكر العربي،كما يمكن القول إنه إنتقدهم بلغتهم أي بلغتهم الانجلزية،مما أزعج كثير منهم ازعاجا شديدا وجعل الكثير من المستشرقين يتفطنون ويتأهبون لوجود مثل هذا الناقد،فقد ركز ادوارد سعيد في نقده على جانب واحد وهو الارتباط بين الاستشراق وفكرة الهيمنة والسيطرة والتشويه لصورة الشرق ومن هذا المنطلق نجد الكاتبة ساجدة عمر فوزي تتحدث في مجلتها عن طبيعة الاستشراق عند ادوارد سعيد تقول "أولا الاستشراق ومن الهيمنة السياسية والحضارية للغرب، خاصة أن بدايات علمالاستشراقظهرت وتطورت أثناء

[1]- محمد إبراهيم الفيومي، الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، سلسلة 3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994، ص: 10.

[2]- ينظر: نديم الجندي: أثر الاستشراق في الفكر العربي العاصر، ص: 100.

[3]- محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، ص: 10.

الضعف السياسي والحضاري للشرق، وثانيا إن الاستشراق هو تقليد وليس علم أو بكلمة أحسن الاستشراق يقوم على مجموعة تقاليد رافقت فترات الاستكشافات العلمية والجغرافية،وقيام المستعمرات هذه التقاليد التي عززت الطابع العنصري والعداء الديني للأقوام المستعمرة"[1]، إذن فالاستشراق السياسي والتنصري، هما أنشط الاستشراقات وهما يحاولان استغلال الأزمات التي تمر بها المنطقة العربية والملاحظ أن الاستشراق السياسي هو المسيطر على الساحة الفكرية لسيما في وقتنا الحالي.

وهناك ارتباط كبير بين الشرق والإسلام "لقد اقترن الشرق وفكرة الشرق،بمفهوم الخطر الإسلامي الداهم ولذلك فإن الطابع الدفاعي لهذه الدراسات والحاجة إلى الاقتصاص والتأثر من العربوالمسلمين صيغت لتلك الدراسات القديمة،وأثرت في تكوين الفكر الاستشراقي الحالي"[2]، ومن خلال هذه النظرية فالمستشرقون متحاملون على الشرق محاولين اظهار مساوئ الشرق وإبراز حسنات الغرب.

ومن الملاحظ أن ردت الفعل العربي والإسلامي على فعاليات هؤلاء المستشرقين في أول الأمر لسيما النخبة العلمية والأدبية،فقد دهش البعض لهؤلاء الذين يفدون على العالم الإسلامي من ديار بعيدة فيقيمون علاقة صداقة مع أهله، ويحاولون التعرف على مافيه وتحسس البعض الآخر لاعتبارات دينية واجتماعية،ولكن قوة النفوذ الاستعماري، أجبرت الكثيرين من النخبة الى تقبل الواقع على اختلاف مشاربهم.

وفي هذا الصدد نجد الكاتب ناصر علي في مجلة الجدلية يقولومن الأعمال الغربية الأخرى مهمة في نقد الاستشراق وكشف صلته بالاستعمار،والتنصير (كتاب ادوارد سعيد) ومن فضائل الصحوة أيضا أنها نبهت المسلمين إلى الغزو الفكري الثقافي الغربي والذي يعتبر الاستشراق مسؤولا عنها، للصحوة الإسلامية أيضا دور في مقاومة هذا الغزو ورد المسلمين إلى أصولهم وهويتهم ووعيهم بدينهم وحضارتهم وبأفضلية الحضارة الإسلامية،على الحضارة الغربية[3].

فادوارد كشف عن الاستشراق وبين لنا وجه الحقيقي وأبرز أدواته وآلياته وطرقه القديمة والحديثة،وفضح جانبه التعسفي المهيمن وكشف عن ترابط القوة والمعرفة،في علاقة الشرق وتحكمها بالخيال

[1]- ساجدة عمر فوزي: مجلة المؤرخ العربي حول طبيعة الاستشراق سنة 1980، العدد 14، ص: 357.

[2]- المرجع نفسه، ص: 369.

[3]- ينظر: ناصر علي: مجلة الجدلية الاجتماعية، نقلا عن مقال الاستشراق في أزمة، لأنور عبد المالك، باريس 1971.

الذي أنتج هذا الشرق مكونا وجاهزا، للغرب أولا وللشرق ذاته فالاستشراق في نظره يعكس طريقة تناول الغرب للشرق أو العالم العربي الإسلامي ماضيا وحاضرا.

ويؤكد أنور الجندي بقوله "فالكتاب الغربيون على وجه العموم، تحكمهم عقدة التفوق التي تجعلهم ينظرونإلى البشرية، فيرون أن الجنس الأبيض، أكثر تقدما بحكم طبيعة أن الأوربيين متقدمون، على الشعوب ومهدون لها أيضا"[1]، ونستشهد هنا بقول "لأحد المستشرقين الفرنسين لقد كان على السادة الجدد يعني الفرنسين أن يستعملوا اللغة العربية في الإدارة، وفهم السكانولايمكن مطالبة المنهزمين يعني الجزائرين بتعلم لغة الغزاة فورا بالإضافة إلى نشر اللغة العربية يبن الضباط، والموظفين كان يعتبر وسيلة قوية للتقارب"[2].

إن الاستشراق كمشروع فكري كان مرتبطا بطرق مهمة متصلة بالاستعمار الأوربي، الاستشراق هو ممارسة السلطة الأوربية على العالم الإسلاميوتدعيمها، أي التسليم بواقع الهيمنة الغربية إذن فادوارد سعيد كأنه المرآة العاكسة للمفاهيم الغربية للشرق.

وفي الأخير نجد الكاتب ساجدة عمر فوزي يخلص إلى ثلاث نقاط أنه لا يزال التسلط الحضاري قائما بدلالة، الاتجاه الثقافي إلى الغرب عن طريق المبعوثين والوفود، ولقد بدأت الآن بوادر الانتقال المكاني للاستشراق إلى الولايات المتحدة بعد زيادة عدد طلبة دراسات اللغة الغربية والتاريخ الإسلامي، الموفدين إلى أمريكا، وإن الشرق لا مكان له في الغرب وأكثر ما يقوم به هناك هو دور المعرف والمخبر تاركا دور البحث والتحري إلى سيدة الغرب[3].

وبناء على ما سبق إذن فهذه الحملة العربية الموجه للاستشراق لها دوافع فكرية وعقائدية ومصالح فكرية مختلفة ومتنوعة وإن اختلفت دوافعهم فهم متفقون على أن الاستشراق نشاط فكري، مضاد للعرب والمسلمين "نشاط يرمي إلى الإساءة إلى ثقافتهم ومجتمعاتهم، ولايتردد قسم كبير من هؤلاء النقاد في أن يعد الاستشراق حلقة من حلقات المؤامرة الغربية الصهيونية"[4].

فادوارد سعيد يرى أن الاستشراق في نظره ينحو على بث الشقاق بين المسلمين على أساس تغيرات قومية ويرى أن التبشيروالاستشراق هما دعامة الاستعمار والفرق بينهما هو أن الاستشراق يتخذ

[1]- أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد، ص: 22.

[2]- أبو القاسم سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 24.

[3]- ينظر: ساجدة عمر فوزي: مجلة المؤرخ العربي، ص: 303.

[4]- طاهر أحمد مكي: في الأدب المقارن (دراسات نظرية وتطبيقية)، دار المعارف، القاهرة، 1988، (ط1)، ص: 217.

مظهرا وصورة البحث والطابع الاكاديمي، بينما بقية دعوة التبشير في حدود المظاهر العقلية العامة أو الشعبية ويجاريه في ذلك أنور الجندي حين يقول "لا شك أن بين الاستشراق والتبشير فوارق واضحة ذلك أن الاستشراق عمل ثقافي يحمل معنى دراسة الشرق وجغرافيته وتاريخه وتقسيمه أممه وتراثه[1]، أما التبشير فهو حركة ينتقل بها مجموعة من المرسلين إلى بلاد الشرق حيث ينشؤون المدارس والمستشفيات والمعاهد التي تجذب أبناء البلاد وفق منهج مرسوم لنشر المسيحية بينهم غير أن هناك بين الاستشراق والتبشير خيوطا دقيقا وصيلات أساسية تتجه كلها إلى الهدف الذي رسمه الاستعمار وهو التغريب والغزو الثقافي[2].

[1]-أنور الجندي: الفكر العربي في معركة التغريب والتبعية الثقافية، مطبعة الرسالة، بيروت، 1962، ص: 200-201.

[2]-المرجع نفسه، ص: 200-201.

سادسا:تلخيص كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد

فقد أثار كتاب **الاستشراق**، تحولا في نقدالاستشراق حتى قال فيه صاحبه **أيمن أشرف**،"لو لم يكتب إدوارد سعيد غير كتابه الاستشراق الصادر 1978م،لكفاه ذلك شرفا، فقد كان كتابا فارقا في منهجه، وأثره عن كل ماسبقه وكثير مما لحقه من معالجة لموضوع الاستشراق، وظل بعد ربع قرن، على صدوره محتفظا بأهمية،ومصدرا لمعرفة تأسيسية ظاهرة الاستشراق،في أسبابها وتحولاتها وتجليلتها ووظيفتها الثقلفية والسياسية في تحديد هوية الغرب، وتبرير موقفه من الشرق"[1].

جاء في الكتاب مقدمة وثلاثة فصول ضمنها ثلاثمئة وست وستون صفحة، ففي المقدمة يشير الكتاب إلى المدلول الجامعي، للاستشراق فيقول "أعني بالاستشراق عددا من الأشياء هي جميعا في رأيي متبادلة الاعتماد، إن الدلالة الأكثر تقبلا للاستشراق دلالة جامعية (أكاديمة) وبالفعل فإن الملصقة لاتزال مستخدمة في عدد من المؤسسات الجامعية"[2].

وهناك دلالة أخرى للاستشراق، بوصفه أسلوبا من الفكر القائم على تمييز وجودي ومعرفي بين الشرق والغرب ويقول سعيد "ويرتبط بهذا التراث الجامعي...معنى أكثرعمومية على تمييز وجودي معرفي بين الشرق والغرب، ويرتبط بهذا التراث الجامعي...معنى أكثر عمومية للاستشراق،فالاستشراق أسلوب من الفكر القائم، على تمييز وجودي انطولوجي ومعرفي، ابستمولوجي بين الشرق والغرب، في أغلب الأحيان الغرب"[3].

وقد لاحظ سعيد أن جمعا كثيرا من المهتمين الغربيين قبل بهذا التقسيم فيضيف قائلا "وقد تقبل هذا التمييز الأساسي بين الشرق والغرب،جمهورا كبيرا جدا من الكتاب الغربين، وبينهم شعراء وروائيون وفلاسفة، ومنظرون سياسيون واقتصاديون، واداريون واستعماريون"[4].

أما الدلالة الثالثة فقد حددها بقوله "الاستشراق أسلوب غربي للسيطرة على الشرق، وإعادة بنائه وتحقيق السيادة عليه"[5].

---

[1]- أيمن شرف: الاستشراق مع المعرفة ،حين تصبح سلطةhttp://www.islamotine.net

[2]- إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)،تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، 1995، ص: 38.

[3]- المصدر نفسه، ص: 38.

[4]- المصدر نفسه، ص: 38.

[5]- المصدر نفسه، ص: 39.

أما الفصل الأول فيتطرق إدوارد سعيد، إلى نشأة الاستشراق، ومراحل نموه ومن خلال وصفه للعلاقة بين الشرق والغرب، يرى أن الإسلام ظل بالنسبة لأوربا، مصدر قلق دائم وخطر مستمر، وأن الاجتياح الفائق الذي سجله الإسلام، لم يمكن أوربا من إظهار تفاعل إيجابي، سوى الخوف من هذا الكيان الثائر، على الأوضاع الفاسدة آنذاك والشعور بالرهبة منه، ولم يهتم المؤلفون المسحيون، الذين عاصروا الفتوحات الإسلامية بما أنتجه الإسلام من علم ونتيجة لذلك ظهر ميل ثابت لدى رجال الكنيسة خلال العصور الوسطى وأوائل عصر النهضة لخلق الهوة بين الأوربين والعقيدة الإسلامية النابعة من القرآن والتي كانت قادرة على إقناع المسحيين، وبعد هذا يقسم سعيد الفصل إلى أربعة مباحث كتالي:

التعرف على الشرق:وهنا يشير إلى العلاقة يبن المعرفة والقوة، حينما توضع حيز التطبيق سلطة قوية "وليس ثمة من قائمة نظرية شرد خصائص الشرقيين والا تطبق على سلوك الشرقيين، في العالم الفعلي"[1].

شرنقة الشرق: وهنا ويحاول أن يؤكد أن الشرق، في أدبيات المستشرقين، ليس دوما كما في الواقع بل كما صوره المستشرقون، أنفسهم ويستدل على ذلك بكلام **لدانييل** حيث يقول"أصبح الإسلام صورة لم تكن وظيفتها، أن تمثل الإسلام في ذاته بقدر ما كانت تمثيل الإسلام للمسيحي القروسيطي (العصور الوسطى)"[2].

مشاريع:ويدخل في سياق هذا المشاريع كل ماخطط له الاستعمار، ونفذه الشرق على هذا الأساس، لم يعد مفهوما جغرافيا "بل إن مفهوم الشرق، يصبح مفهوما إداريا أوتنفيذيا بعد وخاضعا للعوامل السكانية والاقتصادية والاجتماعية"[3].

أزمات:يرى إدوارد سعيد، أن الاستشراق وبداية من عشرينات القرن العشرين، وقع في أزمات ولم يحصر إدوارد سبب هذه الأزمة،في إثر الحركات الوطنية بل أسند الخيبة إلى ما لحق بالمناهج والتصورات[4].

أما الفصل الثاني:فقد خصصه للحديث عن البنى الاستشراقية، وإعادة خلق البنى وهنا يركز على المراحل الأولى،التي كونت الاستشراق الحديث، وعناصر انبعاثه بشكل جديد، وحدد هذه العناصر قائلا "تشكل

[1]- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 79.

[2]- المصدر نفسه، ص: 128.

[3]- المصدر نفسه، ص: 117.

[4]- المصدر نفسه، ص: 128.

العناصر الأربعة التي وصفتها التوسع، المجابهة التاريخية، التعاطف، التصنيف، التيارات الفكرية في القرن الثامن عشر، التي تعتمد عليها البنى الفكرية والمؤسساتية للاستشراق"[1].

ويشير في نهاية هذا الفصل إلى صراع المصالح في الشرق، بين البرطانيين والفرنسيين، فتحت ذريعة حماية الأقليات عمل كل طرف على التدخل في الشرق لحماية مصالحه فيه "ففي عام (1860م)،أثناء الصدامات بين الموارنة والدروزفي لبنان، دعمت فرنسا المسحيين، بينما دعمت انجلترا الدروز،ذلك أن ماكان يقف في المركز من السياسة الأوربية في المشرق، بأكمله هو مسألة الأقليات...وقد خطط لها وتؤمر عليها من قبل القوى الأوربية، التى كانت ترتحل، كما كانت تصوغ وتبني سياستها الشرقية"[2].

وفي الفصل الثالث: الذي جاء تحت **الاستشراق الآن** يتحدث ادوارد سعيد عن الاستشراق الكامن والظاهر، وعن دنيوية الاستشراق، ثم يتفحص الاستشراق الأنجلو فرنسي الحديث، في ذروة إزدهاره ليختم بالحديث عن الاستشراق الأمريكي، المعاصر فبعد ما وصف حقائق الاستشراق بأنها "مثل أية حقائق أخرى تنقلها اللغة وأي حقيقة هي حقيقة اللغة"[3].

وهذا يبين دور اللغة في تجسيد الحقائق أو اخفائها، ينهي إلى "الشرق من حيث وجد في وعي الغرب لفظة تنامي لها فيها بعد حقل واسع من المعاني والترابطات والتضمينات وأن هذه جميعا لم تكن تشير بالضرورة، إلى الشرق الحقيقي، بل إلى الحقل المحيط باللفظة"[4].

ويبدو لنا أن أهم مالفت سعيد النظر إليه في هذا البحث من الفصل الثالث هو الفرق بين مظهرين من الاستشراق، استشراق ظاهر وهوالذي يعبر فيه عن الأراء المتعلة بكل مكونات المجتمع، وتتميز أراءه بالمرونة والمداراة، أما المظهر الثاني فهو استشراق كامن، وهو الذي يتميز بالاجماعية والاستقرار والثبات، كما نبّه الكاتب على إثر ذلك في ما يكتب عن العرب والمسلمين، وضرب لذلك أمثلة كثيرة حول وصف المستشرقين للقرآن الكريم، والرسول صى الله عليه وسلم[5].

---

[1]- إدوارد سعيد: الاستشراق، ص: 143.

[2]- المصدر نفسه، ص: 204.

[3]- المصدر نفسه، ص: 214.

[4]- المصدر نفسه، ص: 215.

[5]- المصدر نفسه، ص: 252-325.

هكذا فإن الاستشراق حين ينظر إليه من زوايا مختلفة يبدو ظاهرة مثيرة، وموضوعا خطيرا واستراتجية محكمة، وهو معرفة واسعة وسلطة قوية، وإنشاء وتأليف وخلق لصورة الشرق، كما يريده وليس غريبا بعد هذا أن نجد من يسجل أنه "تقدر الأبحاث والكتب التي كتبها المستشرقون عن الإسلام في الفترة من مطلع القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين بنحو ستين ألف كتاب، والاستشراق يرمي من وراء ذلك إلى غايتين معرفة الشرق ودراسة أرضه ومياهه وطبيعته، وجباله وأنهاره وزروعه وثماره وأهله ورجاله وعلمه وعلمائه ودينه وعقائده وعاداته ولغاته...وكل ذلك لكي يعرف كيف يصل إليه[1].

كما لا ننسى العالم مصطفى صادق الرافعي الذي قدم في كتابه "تاريخ آداب العرب"مقدمة هامة حول منهجية في كتابه وخطته فيه "تعرض للمستشرقين ضاربا مناهجهم عرض الحائط، خاضعا لمنهجه الخاص، فأغلب المستشرقين لايعرفون كثيرا عن أسرار العربية وما فيها من إيحاءات، وإن كتبهم عنها مفهرسات عامة وهي لاتسمن ولا تغني من جوع لأنهم يترجمون في كثير من الأحيان عن بيئتهم وأحوالهم ولا يتعمقون هذا التعمق الذي يمتاز به الكتاب العرب أينما كانوا وأينما حلوا[2]،لقد دافع مصطفى صادق الرافعي عن الأدب، واللغة وواجه الاستشراق تعلمه وعلمه فهو أحد أعلام النهضة العربية الحديثة.

ويرى كثير من الباحثين قصور المستشرقين في الفهم الهام، بصرف النظر عن وجهة النظر الغربية المفروضة إلى اختلاف المزاج النفسي والثقافي،واختلاف البيئة وجذور الثقافة الإسلامية للتوحيد، والأصول الأوروبية للوثنية اليونانية والمسيحية العربية يضاف إلى هذا الغاية والهوى.

[1]– عبد العظيم ديب: الاستشراق في الميزان http://www.forumragheem.net

[2]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 267

سابعا:موقف القبول المطلق

يناصر هذا الموقف ويؤيد مجموعة من المفكرين والأدباء الذين تلقوا علومهم عن الغرب عن طريق البعثات العلمية وعددهم قليل لأنهم لا يرون في أعمال المستشرقين أي نقص أو غيب ويمثل هذه الطائفة تلاميذ المستشرقين وأغلبهم من مصر وسوريا الذين ظهروا ومع بداية النهضة الحديثة فقد رددوا آرائهم وحملوا لواء أفكارهم أمثال (زكي مبارك، منصور الفهمي، أحمد ضيف، طه حسين، إسماعيل مطهر وغيرهم) وكذا عبد الرحمن البدوي الذي يعترف بفضلهم ويطوي أسمائهم وهو يقف هذا الموقف في كتابه "دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي"، حيث يقول عن كتاب طه حسين الذي أثر جدلا واضحا"أن الدكتور طه حسين لم يكن أول باحث في العصر الحديث يبحث في صحة الشعر الجاهلي وأسباب الانتحال فيه بل على العكس من ذلك تماما"[1].

ويتسم هذا الموقف بالقبول التام والانقياد لأرائهم والتأثر المباشر والقوي بمعلوماتهم وأفكارهم لسيما التفسيرات حول الإسلامحتى أصبح الاشهاد بإنتاج المستشرقين بالقضية الإسلامية مقياسا لمدى إطلاع المؤلف وسعة أفقه وكسبه من الآخرين، وكان من أسباب هذا القبول المطلق هو الانبهار بإسهامات اللمستشرقين الذين يتحدثون عن دين لا يدينون به ويظهر عليهم الحديث الإيجابي عنه، ولكنهبتفسير جديد ويقدمون للإسلام والعروبة أجل الخدمات[2].

وعموما يمكن القول بأن للمستشرقين حسنات ساهمت في إثراء الأدب العربي واللغة العربية وما قد سخروا مجهودهم "في فتح المعاهد التدريس والبحث وما أخرجوه من كنوز العرب إلى الوجود، وما حفظوه للأدب العربي من أصول في خزائن الإنجليزية والفرنسية والألمانية ومنهجوا تدريس الأدب العربي في جامعات بلادهم[3].

ويورد الكاتب زكي مبارك قوله وليس ما يمنع من الاعتراف بأن أثر المستشرقين أبقى في ذهني وأوضح أن فضلهم علي أظهر وأرجع[4]، فزكي مبارك يرى أن لهم فضلا كبيرا في نشر الكثير عن التراث الإسلامي.

---

[1]- عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، بيروت، 1979، ص: 11-13.

[2]- ينظر: أحمد فؤاد محمود: كتاب أضواء على الثقافة الإسلامية، مطابع الحميضي، إستبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2000، (ط1)، ص: 129-130.

[3]- شفيق البقاعي: أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، (ط1)، ص: 152.

[4]- زكي مبارك: مجلة الهلال نفع المستشرقين أكثر من ضررهم، العدد 03، 1993، ص:321.

ومن أهم الأدباء العرب الذين يحملون راية الدفاع عن الاستشراق زكي مبارك فقد دافع عن المستشرقين ويرى أن نفعهم أكثر من ضررهم فيقول "إن خصوم الإسلام من المستشرقين خدموا الإسلام بخصومتهم فهل هناك خدمة من نشر الآثار الإسلامية في الأقطار الأوربية والأمريكية إن هذه الخدمات كانت تنظر من المسلمين أنفسهم فغفلوا عنها وتركوا الأجانب يتصرفون في تراثنا مما يشتهون"[1].

فزكي مبارك بين لنا أعمال المستشرقين هي أعمال تزخر بها المكتبة العالمية وهم مازالوا يسعون لاستيراده من البحث المتواصل في جوانب العالم الإسلامي وعلى جميع مستوياته الفكرية المتعددة فزكي مبارك برهن على المستشرقين خدموا الإسلام فقد عمدوا إلى القرآن الكريم والحديث فطبقوا كل ما يتصل بها من جيد المؤلفات وفهرسوها ورتبوها ترتيبا يعجز عنه حتى مشيخة الأزهر وعلمائنا العرب المسلمين.

ويرجع أحمد فؤاد محمود هذا الموقف القابل لتيار الاستشراقي في قوله "وأظن أن هذا الموقف مع الانبهار كان ناتجا أيضا عن تزعزع الثقة بالإسلام والمسلمين الأوائل في الوقت الذي لا يستطيع فيه المتأثر الانسلاخ الكامل عن الإسلام في بلد المسلمين فكان البحث عن تفسير جديد للإسلام يرضى عنه الغرب ويكون مقبولا عندهم"[2].

ومن الملاحظ أن الكاتب محمد الخير عبد القادر يتحدث عن الأدباء الذين جرفهم تيار الفكر الغربي "ولعل أخطر ما بلغته حملة التغريب أنها جعلت بعض ضحاياها في نهاية العقد الثامن من القرن الميلادي العشرين أبواقا تردد جهرة ماكان مستشرقو القرن التاسع عشر يبيتونه في بحوثهم، وأما اليوم فقد بلغت الجرأة بأحد الكتاب المعاصرين أن يعلن على رؤوس الأشهاد أن الإسلام دين العرب وحدهم خالصا لهم من دون سائر البشر، وأن القرآن الكريم جاء لمخاطبة العقل العربي...ذلك هو الدكتور محمد أحمد خلف الله وكأن صحيفة الأهرام أحست بما ينطوي عليه مقال هذا الكتاب من تدليس وسخف وتحريف لمقاصد القرآن الكريم فنشرت في ذيل المقال تعريفا بالكتاب"[3].

وقد نبه كثير من الباحثين من أنصار الفكر الغربي إلى ضرورة استعاب هذا التيار الاستشراقي والتفاعل معه لأن الحضارة الغربية هي حضارة العصر وفي هذا الصدد يقول الأديب المصري زكي نجيب

[1]– ميشال جحا: مجلة الاستشراق، موقف العرب من المستعمرين العدد الأول، 1987، ص: 35.

[2]– أحمد فؤاد محمود: أضواء على الثقافة الإسلامية، ص: 130.

[3]– محمد الخير عبد القادر: الإسلام والعرب، ص: 298.

محمود عن نفسه مر عليه زمان كان يرى فيه "أنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترا، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علما وحضارة...أن الحضارة وحدة لا تتجزأ، فإما أن نقبلها من أصحابها وأصحابها اليوم هم أبناء أوربا وأمريكا بلا نزاع"[1].

وهنا يشهد بتعليق جعفر شيخ إدريس حين يقول "إن هذا الأستاذ ليس شاذابين مثقفي العالم الإسلامي وأقواله هذه ليست عابرة ولكنا هي تعبير عن حال فريق كبير من مثقفي هذه الأمة وعوامها"[2].

وبالنسبة للكاتب محمد الدسوقي الذي خطى بقلمه في هذا المجال فقد تناول في كتاباته بما أسماهم المفرطون في الثناء على التيار الاستشراقي وذهب في هذا إلى الأخذ بآراء الأدباء العرب اتجاههذا التيار "يجمعونعلى أن فضل المستشرقين يشمل أمرين أولا فهرسة المخطوطات ونشرها ثانيا توجيه الفكر الإسلامي إلى الأخذ بالمنهج العلمي في البحث والدراسة وللتدليل على ذلك أخذ يسرد شهادات بعض الباحثين العرب أخص منها ما يلي: "رأي الأستاذ محمد كرد علي في مجهودات المستشرقين الذين أسدو إلينا خدمات بأياديهم البيضاء فهم عنده مهما كانت نياتهم فقد أفادوا العرب والعربية، مما يفرض علينا الإعتراف لهم بالفضل"[3].

كما جاء في كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين لصلاح الدين المنجد "أن المستشرقين طرقوا كل ناحية من نواحي ثقافتنا...متتبعين في دراساتهم وأبحاثهم طرق البحث المنهجي المنظم"[4]، فالمستشرقون منهم من عشق اللغة العربية وآدابها، وقوموالمخطوطات ونشرها نشرا علميا.

وفي موضع آخر يقول صلاح الدين المنجد "إن إطلاع الباحثين والمثقفين من العرب والمسلمين، على الدراسات الجيدة التي كتبها المتشرقون، بتجرد وإخلاص أصبح أمرا ضروريا، في سبيل وضع دراسات شاملة قريبة من الكمال تكشف جميع نواحي الحضارة العربية الإسلامية، ولاشئ يمد لهذا الإطلاع مثل معرفة سير حياة هؤلاء العلماء، والاحاطة بما قاموا به من أبحاث ودراسات، لذلك رأيت أن أنشر تباعا سير

[1]- زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، دار الشروق، 1980، ص: 13.

[2]- جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، صراع الحضارات بين العولمة الغربية وبعث الإسلامي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1431هـ، (ط1)، ص: 157.

[3]- محمد الدسوقي: مجلة الحضارة الإسلامية، تقويم الفكر الاستشراقي، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد 7، وهران، 2001، ص: 101.

[4]- المرجع نفسه، ص: 102.

هؤلاء المستشرقين الذين أدوا للإسلام والعرب خدمات جليلة صادقة بدراساتهم، وقد بدأت بسير طائفة من المستشرقين الألمان، وبعض النمساويين"[1].

وفي محاضرة ألقاها محمد كرد على "رئيس مجتمع العلمي بدمشق في القاهرة 8 ماي 1967 بمدرسة المعلمين العليا امتدح فيها المستشرقين بأنهم خدموا اللغة العربية بإخراج ذخائرها وتعريف المعاصرين من أهلها، مجد أسلافهم وذكر عشرات من المستشرقين كل مما له وأسما أمهات الكتب التي كان لها الفضل في طبعها"[2].

فقد كانت نظرة الأعمالالمستشرقين نظرة علمية جادة فأعجب بخدمتهم للأمة العربية والإسلام ورأى ما قصروا فيه فهو ناتج عن عدم معرفتهم الكاملة وإحاطتهم الشاملة باللغة العربية.

كما نجد أبو الحسن الندوي "اعتراف بكل وضوح وصراحة أن عددا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقتهم على دراسة العلوم الإسلامية وتبنوا موضوع الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير عوامل سياسية أو اقتصادية أو دينية بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم وبذلوا فيه جهودا ضخمة ويكون من المكابرة والتقصير أن لا ينطلق اللسان بمدحها وثناء عليها، وبفضل جهودهم برز كثر من نوادر العلم والمعارف التي لم ترى ضوء الشمس منذ قرون"[3].

أشاد الندوي بالدور البارز الذي قام به المستشرقون وهو يستند في هذا الكلام إلى المستشرق ونسنك **(Nensinck)** صاحب المعجم الفهرس العام التفصيلي الذي وضح للكشف عن الأحاديث النبوية الشريفة المدونة في كتب الأئمة العشر الشهيرة وكتب السيرة والمعارف المشهورة[4].

إذن الآن بصدد معرفة الموقف العربي المؤيد للاستشراق واستظهار هذه الروية الإيجابية المؤيدة والداعمة لحركة الاستشراق وأعمالها، ونراها واضحة لدى بعض كتابنا المحدثين الذين أخذوا على عاتقهم الدفاع عن أعراض المستشرقين، وتبيان فضلهم في حركة النهضة العربية الحديثة، وإحياء تراثها الحضاري،

---

[1]- صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 05.

[2]- ميشال جحا: مجلة الاستشراق، ص: 36.

[3]- أبو الحسن علي الندوي:الإسلاميات بين كتاباب المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، (ط1)، ص: 13.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 14.

وكان من أبرز مؤيدي هذه الفئة الكاتب **محمد كرد علي** الذي سمح لنفسهالرد على شبهات الموجهة على المستشرقين وتجلى ذلك "في إظهار مكانتهم العلمية والتاريخيةوفي تبيان كتبهم التي كانت حجر أساس في انبعاث العربية من رقدتها الطويلة"[1].

هذا يعني أن كتبهم كانت غنية بما احتوته من ذخائر علمية أدبية للبشرية جمعاء، ويذكر محمد كرد "أن أوروبا طبعت كتب بالحروف العربية قبل أن تدخل الطباعة إلى بلادنا بمائتي سنة، وأن من يتصفح موسوعة لإسلام **(Encylopédie de l Islam)** التي أصدرتها أوائل هذا القرن،مطبعة ليدن بلغات العالم الثلاثة الانجلزية الفرنسية الالمانية[2].

فهو يعترف على أمتنا لعلماء المشرقيات من الفرنسيين والبرطانيين والايطالين، بما تفضلوا علينا من بعث تراثنا وجمع مؤلفاتها وحفظ مخطوطاتها ونشر أسفارها، وما أغدقوا على علومها من نظرات ثاقبة وما أضافوا على أدبنا من بصمات أدت دورها الريادي في عالم المعرفة والفنون، وأكد أن ما نشره أحدهم من الكتب ورسائل ومقالات بالعربية والانجلزية،والالمانية لو نشره مجمع علمي في ثلاثين سنة لعد ذلك من مفاخر الدهر وعجائب الدنيا[3]، فمحمد كرد اعترف بفضل المستشرقين وإبراز الدور الريادي الذي لعبته هذه الحركة وقيمتها وأثرها الإيجابي على تاريخ البشرية قاطبة لكن محمد كرد علي، كغيره من كتاب العرب لم ينس أن يشير إلى ما اقترفته أيديهم من مساوئ وما أنتجته كتاباتهم من مغالطات وما أفرزته مداخلاتهم من سموم في بعض الأحيان.

وتحمس للمستشرقين **يوسف أسعد داغر** وأعجب بدورهم وبما خلفته حركتهم الاستشراقية من أعمال "وارتاحت سرائره لمنهج البحث الذي اتبعوه والطريقة العلمية التي سلكوها،وادعى أنها نموذجية في القياس والآداء والوسيلة،لأن المستشرق أخذ في بحثه بأوجه العلم ومنطقه وجعل موضوعه أشبه بموسوعة كافة وإنه التزم في تتبع الحدث الضمني وتحمل المشقة والصبر الطويل"[4]، فقد بين أن المستشرقين قد بذلواجهودا جبارة في سبيل تحقيق التراث العلمي والأدبي معتمدين على المعرفة العلمية والحقيقة التاريخية، في بسط نتائجهم فقد اعتمدوا على منهجية دقيقة صارمة توصلهم إلى الهدف المنشود.

---

[1]- منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 90.

[2]- المرجع نفسه، ص: 90.

[3]- ينظر: محمد كرد علي: المستعربون من علماء المشرقيات، مجلة المجمع العلمي العربي، ص: 349.

[4]- منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 93.

أثارت الظاهرة الاستشراقية ومازالت تثير جدلا بين مؤيديها ومعارضيها إلا أن هناك صدى قوي للفئة المنصفة، أوالمؤيدة على الساحة الأدبية والعلمية فقد اعتدلت في أقوالها وتجردت عن أحكامها وأصدرت آراءها عن تعقل ودراية كما فعلت،بنت الشاطئ **عائشة عبد الرحمن** "التي اعترفت بجليل عملهم،ونبل صنيعهم في مادة التراث التي انكب رجال الاستشراق ثرواتها الثقافية، وجهدوا في صونها من الضياع وجملها في مصنفات وأبواب متخصصة وعملوا على فهرسة موضوعاتها فهرسة علمية دقيقة، اعتمدت علي منهج بحتي متقدم وفرت أمانة التحقيق، وأصول الكتابة الموثقة في وقت كانت بلادنا في غفلة عن النهضة العلمية"[1]، أظهرت بنت الشاطئ أن نهضتها العلمية الحديثة قامت على أكتاف المستشرقين، ولولاهم لما وصلنا لما نحن عليه، فقد أثنت على أعمالها ومجدت أفعالهم.

ويدعم هذا الرأي **ساسي سالم الحاج** "فالمستشرقون قاموا بجمع المخطوطات العربية والإسلامية والشرقية وفهرستها، وحققوا العديد منها بأعلى المقاييس العلمية المتعارف عليها ونشروها نشرا علميا خالصا، وترجموا الآلاف من التراث إلى اللغات العالمية، وعرفوا الآخرين بحضارتنا وتراثنا،ومآثرنا وما كنا فيه من مجد وسؤدد ومن الدراسة الاستشراقية تستحق منا الاطلاع عليها ودراستها[2]، فالدراسات الاستشراقية وإن كانت قد تعددت أغراضها وتباينت مراميها وأهدافها إلا أنه لا مناص لها بالاعتراف بفائدتها العلمية علي جميع المستويات فلولا هذه الدراسات الاستشراقية لما خرجنا من قوقعة الجهل الظلام، ومن هنا وجب علينا تناولهذه الدراسات بالبحث والتقصي للتنبيه إلى هذه الأخطاء الصادرة عن حسن نية وتصحيح تلك المفاهيم العلمية التي استقرت، على أنها حقيقة لامجال للجدل فيها.

أما **عبد الرحمن بدوي** فقد وقف إلى جانب الاستشراق، وأيد أعمال أصحابه ودعم توجهاتهم واعترف بريادتهم وأثنى على أبحاثهم، وأطرى مسوغاتهم العلمية ومبادراتهم الموسوعية وأكد اسهام نتاجهم الفكري في تطور الدراسات العربية الإسلامية حيث قال في مناسبة وفاة **لويس ماسينيون**(**LouisMassignon**)،الذي يعد من أبرز مراجع التصوف الإسلامي "فقد تخصص في التصوف تخصصا علا به صيته، واشتهر بالانصاف فقد عرف التصوف وبين مصادرهوجماعاته وأصل

[1]– منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 82.

[2]– ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2001، (ط1)، ص: 11.

مصدر هذه الكلمة"[1]، فقد أفرد عبد الرحمن بدوي فصلا بالمستشرق لويس ماسينيون وهو يرى في هذا الصدد أن خسارة الدراسات الإسلامية بوفاة المستشرق ماسينيون كبيرة، لاتعادلها خسارة لدرايته بالفقه الإسلامي والنصوص الدينية ولفضله العظيم في تفسير نشأت التصوف الإسلامي، تفسيرا مستمدا من الأصول الإسلامية[2]، فقد مجد وأثنى على الكثير من المستشرقين فأنتج كتابه **موسوعة المستشرقين** الكتاب موسوعة حقيقية فجمع وأحصى مشاهير المستشرقين الذين كان لهم الدور البارز في مجال الدراسات الاستشراقية.

كذلك اعتبر عبد الرحمن بدوي أن المستشرقين ولاسيما الألمان منهم،كانوا السابقين في موضوعه الشك في الشعر الجاهلي لأن أبحاثهم امتازت بالأسانيد التاريخية الموثوقة،وبالمقارنة في تاريخ آليات الآداب، وبالتالي فإن المستشرقين الألمان اعتمدوا النظرة العلمية في دراستهم وارتكزوا على منطلقات أكاديمية[3]، حاول عبد الرحمن بدوي أن يثبت أن الدراسات الاستشراقية الالمانية تميزت بالموضوعية والجدية والعمق، وقد اتبعوا المنهج العلمي بأقصى المعارف العلمية وأكد أنهم لم يكن لهم عداء مبيت ضد العالم العربي الإسلامي.

لعله من الجائز أنيكون هذا الفريق من المستشرقين قد أقبلوا على دراسة بلاد المشرق، بدافع حب الاطلاع على حضارات الأمم وديانتها، لأنهم كانوا أقل خطأ من غيرهم في كلامهم على العرب، ولأنهم لايتعمدون الدس والتحريف كون أبحاثهم أقرب إلى الحق والمنطق السديد، الذي ربما اضطر بعضهم إلى الاهتداء إلى الإسلام والايمان برسالته المحمدية.

جعل علماء العرب المحدثين لواء البحث الأدبي الحديث بإخلاص معتمدين على علماء الاستشراق، وأحايين على أنفسهم من بينهم جرجي زيدان، الذي تأثر "بمحاولات المستشرقين قبله فعلا، ولما كان زيدان كثير التناول للمصادر الاجنبية التي كتبها أهل الاستشراق فقد أفاد منهم العقلية التنظيمية في التأليف،وتسلسل الموضوعات مع الترتيب الدقيق وجمع الأشبه والنظائر للوصول إلى نتيجةعامة

[1]- لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرزاق: التصوف، تر: إبراهيم خور رشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، 1984، (ط1)، ص: 42-43.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003، (د،ط)، ص: 529.

[3]- منذر المعاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 100.

مسلمة"[1]،فهو لم يعارض المستشرقين في أي أمرمن أمور اللغة أويحاول الرد على ما افتراه هولاء أحيانا وكل هذا يتضح جليا في كتابيه، تاريخ التمدن الإسلامي، وتاريخ آداب اللغة العربية.

وعلاوة على كل ما تقدم فيجب أن نبين أهم النتائج التي أشار إليها أحمد سمايلوفيتش في كتابه فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر فيما يتعلق الاستشراق"فقد حاول علماء الاستشراق بكل ماكان في وسعهم النفاذ إلى معرفة اللغة العربية وآدابها، مستهدفين بذلك التعرف على الشخصية العربية الإسلامية وتجربتها المختلفة في ميادينها المختلفة"[2]، حيث عنوا بالتراث الأدبي عناية عظيمة بكل ما كان لديهم من قوة سعيا لفهمه ونشر نفائسه، وإحياء مؤلفاته والاستفادة منه، علميا وثقافيا إلا أنه في هذا كله خدمة للأدب العربي والأمة الإسلامية معا.

وبالرغم من عدم دقة معرفتهم للغة العربية وعدم تمكنهم من الوصول إلى لب علومها، وآدابها وفنونها "فإننا نعترف بفضلهم، وأناتهم وصبرهم فيما جاءوا به، إذ يمكننا ذلك أن نتعلم، على تجربتهم، ومنهجهم وخبرتهم أشياء مفيدة للغاية، ونتجنب أخطائهم أيضا فقد بحثوا في كل ما يتعلق بالأدب العربي،وأتوا بأشياء جديدة وعالجوا مشكلات شتى وقد تأثر كثيرون منهم بعلمائها القدامى"[3]،فاتضح لنا أن الاستشراق قد أدى إلى نهضة أدبنا الحديثة دورا كبيرا، فجدير الاعتراف بهم ودراسة والاهتمام بأعمالهم في مختلف ميادينهم، إذ استفاد علماؤها المحدثين من علماء الاستشراق، فازدادوا في البحث الأدبي اتساعا وعمقا، وذهبوا بالأدب العربي إلى آفاق أكثر تنوعا واشد بعدا، وأعظم أثرا في النفس البشرية، ومعاناتها المختلفة وقد أثر الاستشراق في الفكر العربي، بدرجات متفاوتة على عقول علمائنا وأدبنا فاختلفت اتجاهاتهم واستقل كل واحد منهم بالبحث والدراسة والمنهج والفلسفة، ما أدى إلى أن يستحدث كل منهم على حدى مذهبا خاصا يميزه ويسير عليه ويتعمق فيه.

أشار **أحمد سمايلوفيتش** إلى خدمة المستشرقين للأدب العربي من بينهم كارل بروكلمان**(Karl-Broklmann)** "درسبروكلمان الأدب العربي على النمط التاريخي وحاول أن يسجل تراثه الفخم، واهتم بالقضايا، وعنى بالمذاهب الفكرية والسياسية والدينية وتناول نالليو **(Nallino)** كلمة

[1]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 366.

[2]- المرجع نفسه، ص: 412.

[3]- المرجع نفسه، ص: 413.

الأدب العربي نفسها وبحث في الشعر الجاهلي وتتبع تطور الأدب العربي بدرجة تستحق الإعجاب والتقدير معا واعتراف بأهمية الإسلام وما أحدثه في ميادين العلوم والآداب والفنون وحاول نيكلسون **(Nikilson)** أن يحيط بالفكر العربي الإسلامي إحاطة شاملة، واهتم بلاشير **(Balchere)** بالأحوال الاجتماعية والسياسية والفكرية والتاريخية[1]، فقد أشاد بفضل وصنيع المستشرقين وتتبعهم للادب العربي، على النمط التاريخي حتى العصر الحديث فكانت دراستهم تطبيقية بنيت على أساس نماذج حقيقية، فكانت نتائجهم بذلك حقيقية.

نستخلص من دراستهم للأدب العربي أنها كانت دراسة تاريخية بنيت على أساس تحقيق التقلبات السياسية والتاريخية والاجتماعية في العالم العربي الإسلامي، وكانوا يرغبون الحصول على المنهج الذي يمكنهم من فهم الشخصية العربية وظواهرها وتجاربها المختلفة قديما وحديثا.

ويعترف بأن الأعمال الاستشراقية سدت فراغاهائلا في ميدان البحث الاستشراقي بالأدب العربي، ودفعت به إلى الامام بخطوات عظيمة، فأخذت دراسته تتشعب جذوروها وتتعمق ألوانها، فقلما يوجد مستشرق لم يجرب حظه في البحث في الأدب الجاهلي ولم يتناول المعلقات التي تعبر قمة من روائع الأدب العربي ويكفينا دليلا ذكر أسماء بعض المستشرقين اللامعين الذين تناولوا الأدب الجاهلي أمثال نولدكه **(Eneldike)** كارل بروكلمان**(Karl–Brokalmann)**، وبلاشير **(BlacherRegis)**الذين عنو عناية بالغة بالبحث في هذا المجال[2]، فقد عرضنا أهم ماقدمه المستشرقون من بحوث وتحقيقات فيما يتعلق بالأدب العربي القديم.

[1]–أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 416.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 499–500.

ثامنا: محمد خليفة حسن ونظرته للاستشراق

أما **محمد خليفة حسن** وقف وقفة موضوعية فوضح الآثار السلبية والايجابية في كتابه أثارالفكر الاستشراقي "أن الاستشراق قد سد هذا الفراغ العلمي بتغطية علمية شاملة ودراسة مستفيضة لتاريخ،وجغرافية الشرق الأقصى، وللغات هذه المناطق وحضارتها ودياناتها ولأوضاعها السياسية والاجتماعية والاقتصادية"[1]، هذه أهم إيجابيات الفكر الاستشراقي بحيث له دور كبير في إخراج الفكر الغربي من بوتقته المتحجرة، فقد أدت الأعمالالإسلامية العلمية، التي ترجمها المستشرقون قبل عصر النهضة الأوربية إلى تطوير العالم الغربي وإدخال الغرب، في مرحلة النهضة العلمية والتقدم الصناعي والتكنولوجي والعلمي نتيجة لقيام المستشرقين بترجمة، الأعمالالإسلامية المختلفة،والبحث فيها ونشرها في بيئتهم الأمر الذي ساعد على التعريف بالإسلام وحضارته من ناحية، وإثراء الفكر الغربي"فقد أثر الإسلام في المستشرقين، ووقع العديد من المستشرقين تحت تأثير الفكر الإسلامي، ويعد هذا من الإيجابيات الهامة للإستشراق، وشهادة استشراقية على سلامة الفكر الإسلامي وصحته، وقدرته على التغلغل في نفوس المستشرقين إلى الحد الذي هجروا فيه معتقدهم والأمثلة على هذا كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر المستشرق الفرنسي إيتين دينيه **(Ettin dainihe)**وغيره[2]، فهو يقر بجهود المستشرقين في تحقيق التراث الإسلامي والكشف عن المخطوطات وعمل الفهارس لها إضافة إلى تصنيف المعاجم اللغوية في لغات الشعوب الإسلامية وهي جميعا أعمال ذات قيمة علمية كبيرة ساعدت في إحداث النهضة العلمية الحديثة، فالاستشراق دور في تحديد مكانة التراث الإسلامي من بين تراث الشعوب الأخرى.

أخذ الاستشراق اهتماما بالغا في عصرنا، والذي قبله فتنوعت أساليبه وأهدافه وتوسعت دائرته الأولى في توظيف بعض الجوانب التجارية والصناعية والتكنولوجية، والأهم من هذا وذلك هو الاستفادة من المستشرقين من أفكارهم وعلوم فكيفوها وفق حاجاتهم.

فقد أقر كثيرون من علمائنا بجهود المستشرقين في تحقيق التراث الإسلامي والكشف عن المخطوطات، وعمل الفهارس لها وحفظها إضافة إلى ترجمة وتصنيف المعاجم اللغوية في لغات الشعوب

[1]- محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدراسات الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، (ط1)، ص: 133.

[2]- المرجع نفسه، ص: 136.

الإسلامية، وهي جميعا أعمال ذات قيمة علمية كبيرة ساعدت في إحداث النهضة العلمية الحديثة في العالم الإسلامي، وقد طوروا منهج نقدي للبحث في الثراث الإسلامي، فنتج عنه إيقاظ الوعي المنهجي لدى المسلمين الذي دفعهم هذا إلى النظر في الأصول المنهجية والمبادئ البحثية في الكتابات الإسلامية الأول من أجل تأصيل منهج إسلامي ينافس المنهج الاستشراقي[1].

فللإستشراق دور في تحديد مكانة التراث الإسلامي من بين تراث الشعوب الأخرى وذلك لاهتمامهم بالمنهج المقارن بين الإسلام والأديان الأخرى وبخاصة اليهودية والنصرانية فمن خلال هذا كله استطاعوا تحديد مكانة الفكر الإسلامي في العالم كفكر عالمي، منافس للحضارات والثقافات وبينوا فضل الحضارة الإسلامية على الحضارات دون استثناء، ساعد الاستشراق في تعريف الغرب بالإسلام، وحضارته والتراث العلمي للمسلمين من خلال ترجمة مئات الأعمالالإسلامية المهمة إلى اللغات الأوروبية.

إذ اهتم الاستشراق بدراسة واقع العالم الإسلامي مما شجع المسلمين على دراسة أوضاعهم بأنفسهم ومحاولة بلورة،فكر إسلامي أصيل معاصر للرد على آراء المستشرقين ولعلاج مشاكل مجتمعاتهم المعاصرة[2]، فالاستشراق ظاهرة فكرية، وقوة هائلة باقية ومستمرة، طالما أن الصراع بين الغرب والشرق باق، على مستوياته.

قدم المستشرقون أعمالا جليلة لتراثنا وتاريخنا، وهي جهود لا تزال موثقة ومكتوبة وشاهدة على ثقافتهم وأخلاقهم، بالرغم من اختلاف مدارسهم وتوجهاتهم، وهذا مايؤكده أصحاب المواقف المؤيدة للاستشراق، فقد قدم الاستشراق خدمة كبيرة للتاريخ وللحضارة الإسلامية بحفظهم لأشتات الكتب والمخطوطات، فقد اعترف **الندوي** بكل صراحة ووضوح "أن عددا من المستشرقين كرسوا حياتهم وطاقاتهم على دراسة العلوم الإسلامية،وتبينوا موضوعات الشرقيات والإسلاميات بدون تأثير، عوامل سياسية واقتصادية أو دينية، بل لمجرد ذوقهم وشغفهم بالعلم"[3]، فقد أفنى المستشرقين حياتهم في دراسة العالم العربي الإسلامي.

[1]– محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، ص: 138.

[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 108.

[3]– أبو الحسن علي الندوي: الإسلاميات بين كتاباب المستشرقين والباحثين المسلمين، ص: 96.

وذلك بعد أن قاموا بجمع المخطوطات الشرقية العربية، فحافظوا عليها من التلف بوضعها في مكتبات ففهرسوا موضوعاتها المتنوعة، وأضافوا،إليها الحواشي الضرورية فجلدوها ونشروها بأحلى حلل الاتقان العصري فقدم، إليهم الشكر والامتنان من طرف المترجمين في دائرة المعارف الإسلامية، وذلك لأنهم خدموا التراث الإسلامي خدمة صادقة بتلك المقالات القيمة، فإذا تبين للقارئ هوى أوخطأ في بعض تلك المقالات فما أولئك المستشرقون إلا أناس مثلنا لهم طبيعة الانسان، التي تخطأ وتصيب أحيانا فلا يمكن أن نحملهم أوزار أخطائهم التي كانت سهوا أوحتى عمدا[1].

كما أشار**محمد أركون في كتابه الفكر الغربي**"دورالمستشرقين في تشكيل الفكرالعربي ومعالجته معالجة انتقادية نتيجة لسعة استطلاعهم على الحضارة العربية وأهم حوادثها داخل إطارها التاريخي[2]، لذا يجب أن نحترم عطاءات المستشرقين المنصفين الذين انكبوا على الدراسات الشرقية،بتجرد وموضوعية ونقدر مواقفهم الواضحة ونثمن دورهم في إثبات الوقائع الحيقية، وتأكيد منطلقات العدل والمساواة المبدئية،التي لا يشوبها الضعف وبعبارة أدق أنه بالرغم من النقد الموجه للمستشرقين، بشكل عام فإننا لا نستطيع أن نتغافل عن أمانة بعضهم في الكتابة الموضوعية[3]، ويجب أن لاننكر صنيعهم الإيجابي في ما قدموه أبحاث أدبية ومفاهيم اجتماعية، ودراسات إسلامية أتاحت لناإحياء العربية وبعث تراثها، وكانت معلما مميزا في يقظة الأمة ونهضة علومه"كثيرا ما يتردد على ألسنة الخطباء وفي الصحف والمجلات، وفي الكتب كلمة استشراق وبخاصة عندما يكون الحديث عن الغزو الفكري، أو الثقافي وآثاره السيئة، وقد بالغ البعض في ذم الاستشراق وكل مايمت كل بصلة، بينما يرى أن الإستشراق إنما هو جهد علمي لدراسة الشرق وبخاصة الذين تتلمذوا على أيدي بعض المستشرقين حيث يرون فيهم المثل في المنهجية والإخلاص والدقة"[4].

تاسعا: دعوة طه حسين لاتباع آراء المستشرقين ومساندة أفكارهم

[1]- ينظر: عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، (دط)، ص: 106.

[2]- ينظر: محمد أركون: الفكر العربي، تر: عادل العوا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، (ط2)، ص: 46.

[3]- منذر المعاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 128.

[4]- صلاح الدين المنجد، الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 5.

أثر الاستشراق في كثير من أدباء العرب والباحثين والدارسين، من خلال دراستهم على أيدي أساتذة غربيين، ومن خلال البعثات العلمية والدراسية بغية التماس مناهج جديدة في النقد، وحتى في ميادين أخرى، حيث وجه الدارسون العرب والمسلمينفي معاهد الغرب إلى إتخاذ مناهج الأدب الغربي أساسا للبحث والتماس أسلوب النقد من نظريات الأدب الغربي، وأسلوب التاريخ والبحث جميعا، وهذا ما ظهرت نتائجه بوضوح، على ما قام بتطبيقه كل من أحمد ضيف وعميد الأدب طه حسين، وعبد الرحمن شكري، إضافة إلى إتصالهم بالمستشرقين خارج المعاهد مثل أمين خولي أو من نقلوا هذه المذاهب من غيرهم، كالمازني والعقاد[1]، فقد أثر المستشرقون ونظرياتهم على أدبائنا لاسيما "طه حسين"الذي يعد عميلا بارزا من عملاء الغرب فقد أعلن تبعيته الواضحة، لأراء المستشرقين ومناهجهم فطه حسين مزيج حضارتين حديثتين (الغرب، الشرق).

عرف طه حسين طلائع المستشرقين في الجامعة المصرية القديمة عندما تلقى تدريسه على أيدي أساتذة أجانب، وقد أعجب طه حسين بذلك، كما وقد اتصل بهم، يقول في كتابه الايام "هذا الأستاذ **كارلو نالينو** المستشرق الإيطالي يدرس باللغة بالعربية تاريخ الأدب والشعر الأموي...وهذا الأستاذ **سنتلانا** يدرس بالعربية تاريخ الفلسفة الإسلامية وتاريخ الترجمة بخاصة...وإذا الفتى يخرج من حياته الأولى خروجا يوشك أن يكون تاما لكن عقله قد نأى عن بيئته هذه نأيا تاما واتصل بأساتذته أولئك اتصالا متينا"[2]، وعن طريق هذا الاحتكاك بالمستشرقين انفتحت شهية طه حسين للتعرف على الغرب ومناهجه وثقافته، وقد دعاه لطفي السيد وعبد العزيز جاويش، للإنفتاح على الحضارة الغربية وقال له هذا الأخير "لابد من أن نصنع شيئا لإرسالك إلى فرنسا، عامين أو ثلاثة أعوام"[3]، وبهذه الخطوات انتقل طه حسين إلى فرنسا وألقى بنفسه في أحضانهمفسافر إلى فرنسا للدراسة بها في الفترة،(1914-1919)وتتلمذ على يد أساتذتها "دخل غرفة الدرس الأول مرة في جامعة مونبليه، فسمع أستاذه يقول لصاحبه أيكون زميلك مكفوفا"[4]، فقد درس في جامعتي مونبليه والسربون، اختاروه لحمل شعارهم في معهد الدراسات الشرقية وقد

[1]- ينظر: أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، 1975، (ط1)، ص: 255.

[2]- طه حسين: الأيام، ج3، مطبعة المعارف، مصر، 1942، ص: 36-37.

[3]- المرجع نفسه،ج3، ص: 24.

[4]- طه حسين: الأيام، ج3، ص: 34.

أعجب طه حسين بطريقة المستشرقين، وتأثر بها وخضع لها بل ودافع عنها بعد ذلك دفاعا واسعا في كل كتاباته فتلقى مفاهيم الفكر الإسلامي من خلال منهج المستشرقين، وخاصة فيما يتعلق بالقرآن ودراساته والشريعة والتاريخ، قد إعترض عن ذلك في الأزهر، ثم انتقل إلى حلقة الشعر والأدب، وأعلن التقدير لتاريخ الرومان وأدب اليونان على نحو أقنعه بأن هذا التراث هو مصدر الفكر البشري كله.

وإن الفكر الإسلامي تأثر به وتشكل منه، فهو يردد ما قاله أشد كتاب الغرب على الإسلام رينان **(Rinan)** فطه حسين لا يتوقف لحظة، ولايستحي مرة أن يعلن تبعيته الواضحة لأراء المستشرقين، وتتبع مذاهبهم المختلفة "فهو خاضع تارة للمذهب الاجتماعي الذي يؤمن بجبرية الانسان إضافة لخضوعه الكامل للبيئة والعمر، فقد تبع مذهب بلاشير **(Blachir)** في دراسته للمتنبي وخضوعه لدوركايم **(D.Kayme)**في دراسته عن ابن خلدون"[1].

ويكاد يكون خاضعا للاستشراق متأثرا به،تابعا له معليا من قدره متحدثا عن فضله على الأدب العربي والفكر الإسلامي.

وقد قيل عن طه حسين"أنه مستشرق من أصل عربي وهوليس كذلك، وإن تلبس بلباس الاستشراق في أفكاره وتأثراته وأطلق بعض التعبيرات التي توحي بقدر واضح من التأثر...ومن باب أولى لايعد العلماء المسلمون من المستشرقين وإن تبنوا نظريات المستشرقين ومناهجهم في القضايا الإسلامية والعربية، في الشريعة والعقيدة، والأدب من أمثال طه حسين ومنصور فهمي، وعلي عبد الرزاق ممن استمالتهم أوربا فانتموا إليها"[2].

ويعد المستشرق مرجليوت **(Margolioute)** اليهودي الأصل أول من أثار الشك في الشعر الجاهلي وقال "إنه منحول وليس بشعر جاهلي، إنما نظم في العصور الإسلامية وقد سار على خطاه، طه حسين، وسلك سبيله في الاستنباط والاستنتاج وتعميم الحكم الفردي الخاص واعتباره قاعدة عامة، وبعد فأفكار طه حسين أكثرها، بل جلها شك غائر في الشعر الجاهلي ونثره، بما يحتوي عليه من خطب وحكم وأمثال ووصايا وكل هذه الآراء نراها عند أكثر المستشرقين"[3].

[1]– ينظر: أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، (دط)، (دت)، ص: 33.

[2]– ينظر: علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف، بيروت، 2016، (ط1)، ص: 40.

[3]– أنور الجندي: خصائص الأدب العربي، ص: 265.

أثارت أفكار طه حسين جدلا كبيرا ومعارك فكرية بين علماء عصره وحتى المستشرقون أنفسهم، فقد نقل إلينا أفكار الغرب وفق أسلوب الاستشراق في إثارة الشكوك وهو في نفس الوقت يكشف، لنا عن أعماقه التي آمنت بالفكر الغربي في أشد أحواله عنفا وشكا واختلاطا وإضطرابا طه حسين يتكلم عن الحضارة الاغريقية "أنا مفتنون بأثينا وفلسفتها، وفلاسفتها وحريتها وزعمائها"[1].

تابع طه حسين المستشرقين في آرائهم "إنكار الشعر الجاهلي، ووحده اللغة العربية قبل الإسلام، فذهب المستشرقون إلى أنه كان للعرب شعر ديني على مثال قصائد الهند والفرس والأساطير اليونانية، وثبتوا على إنكار الشعر العربي المنسوب إلى الجاهلية لأنه خالي من التعبير عن العبادات والشعائر وماإليها"[2]، سارطه حسين على مذهب مرجليوث **(Margolioute)** في التشكيك في الأدب الجاهلي، لاسيما في شعره وفي هذا نجد قول **فاروق عمر فوزي** "طه حسين أصدر كتابه في الشعر الجاهلي، وجاء فيه بأراء **شكك** فيها بنصوص دينية وكذلك بروايات من الشعر الجاهلي، متأثرا بنظرية ديكارت وهذا قليل من كثير، وغيض من فيض في،بعض مؤلفات وأبحاث طه حسين"[3].

وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن بدوي:"إن طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي أوفي رديفه الأدب الجاهلي، الذي أثار ضجة وجدلا كبيرا، لم يكن أول باحث في العصر الحديث يتحدث عن صحة الشعر القديم وقضية الانتحال"[4]، فتشكيل طه حسين للشعر الجاهلي واللغة العربية غير صحيح لأنه لايقوم على أسس علمية.

سعى المستشرقون إلى إلحاق طه حسين بكل مؤتمراتهم، لأخذ خطبهم فينتقدها ويقدم التقارير فيما يرضيهم، ويمكن القول أنهلم يترك فرصة تمر دون أن يشيد بالمستشرقين ولا يحلوا له أن يعرض الموضوع أيا كان، دون أن يشير إلى الاستشراق بالتمجيد والمتابعة دون تحرج[5]، بحيث كان للمستشرقين أثر كبير في

---

[1]- الاسلام والغرب، ص: 139. نقلا عن كتاب من بعيد لطه حسين، ص: 175.

[2]- أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام، ص: 35.

[3]- فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي في القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، (ط1)، ص: 01.

[4]- منذر المعاليقي: الاستشراق في الميزان، ص: 96.

[5]- ينظر: أنور الجندي: طه حسين حياته وفكره في ضوء الإسلام، ص: 38.

حياته، وقد أثر بذلك في كتاباته بأنه معجب ومتأثر بالاستشراق، تأثر يعجز عن وصفه اللسان والمكانة وجد ضالته في هؤلاء المستشرقين.

فمنهج طه حسين الشكي أراد أن يثبت حقيقة لا مناص منها، وهو أن الشعر الجاهلي منحول بعد ظهور الإسلام، نحله الرواة والنحاة والقصصة والمفسرون، والمحدثون والمتكلمون[1]، ففي نظريته أن الشعر الجاهلي يمثل حياة المسلمين وأهوائهم أكثرها يمثل الجاهليين[2].

دأب طه حسين على إثارة الشكوك والشبهات، التي اختارها له الاستشراق ولاسيما في أخطر القضايا التي تمس جوهر الإسلام، لتقويضه وتهوينه، انسجاما مع تطلعات أعداء الإسلام، وقد كانت قضية نظام الحكم في الإسلام في السلم، أولويات طه حسين فاتجه إلى إثارة الشبهات جول نظام الحكم في الإسلامومن أهم الشبهات التي أثارها طه حسين وكشف عنها أنور الجندي:اتهام نظام الحكم في الإسلام بالاخفاق، ووصفه بأنه كان تجربة أومغامرة، لم تنته إلى الغاية المطلوبة، نقل أنور الجندي النص، الذي يعبر عن خبث طوية طه حسين في قوله "حاولت الخلافة الإسلامية لعهد أبي بكر وعمر وعثمان أن تنشئ هذا النظام القديم، فمات أبو بكر –رحمة الله– ولم يكد يبدي التجربة وقتل عمر –رحمة الله– وقد خطى بالتجربة ولكنه لم يرض عنها، ونقل في غير موضع عنه رغبته في إثبات بشرية نظام الحكم في الإسلام ومن ذلك إن الناس كانوا يعارضون حكم عمر،ولكنهم يخشون سلطانه ويخافون منه والثورة على عثمان دليل على فشل التجربة الإسلامية، وأن الوقت لم يعد في مصلحة الحكم والخلافة الإسلامية[3].

ومن هنا يتجلى لن تبعية طه حسين، لأفكار المستشرقين، فقدولدت هذه الحركة الاستشراقية رعيلا من المفكرين الشرقيين نهجوا منهج أساتذتهم المستشرقين فحذوا حذوهم في الدراسة والتحليل.

كانت حياة طه حسين الفكرية وفلسفته، في فكره على غاية أساسية وهوأن يخلق من مصر امتدادا لأوربا ولثقافته الغربية وفرنسا بالذات فهو يرى "أن مصر دائما جزء من أوربا، في كل ما يتصل بالحياة

[1]– ينظر: يحي الشامي: من أعلام الفكر العربي، طه حسين أديب وناقد، دار الفكر العربي، بيروت، (ط1)، (دت)، ص: 56.

[2]– ينظر: طه حسين: خصام ونقد، دار الملايين، بيروت، 1985، (ط2)، ص: 122.

[3]– ينظر: طه حسين: الفتنة الكبرى، دار المعارف، مصر، ص: 8.

العقلية والثقافية على اختلاف فروعها وألوانها"[1]، فهو متشبع بالفكر الغربي لأيأحد أن يجزم بأن العقل المصري ينتمي إلى الأسرة الأوروبية.

ولم يتورع طه حسين في إخضاع القرآن الكريم، لمنهج البحث العلمي فشكك في القرآن الكريم،وتعدى على قدر النبي صلى الله عليه وسلم،واجترأ على أمر لم يسبقه إليه أحد.

وتعرض إلى القراءات السبع، وزعم أنها قراءات إنما قرأتها العرب، حسبما استطاعت لا كما أوحي الله إلى نبيه[2]،لقد استخدم طه حسين منهج الشك الفلسفي فقد دعا إلى إقتحام القرآن بكل جرأة، وإخضاعه للنقد وفق منهج الشك، ولم يتورع عن وصف القرآن بأنه كتاب أدبي فيه المعقول المقبول وفيه المردود، إنما حاول طه حسين هنا أن يبطل العقائد، لأنها لاتثبت على منهجه، وكان من أخطر الشبهات التي آثارها طه حسين على القرآن، وأنه فرق بين القرآن والكتاب، فقال "القرآن غير الكتاب" محاولا بذلك إثبات أن القرآن أخذ من التوراة والانجيل،فالقرآن صورة عربية منه أي (الكتاب) عدا مواسم به القرآن بأنه مجرد من العقلانية والنظر، إذ يعتبر أن القسم المكي فيه هروب المناقشة وخلو من المنطق، والقسم الثاني وهو المدني، فيرى أن فيه مناقشة وحججا عقلية، ويلزم من ذلك إنكار التنزيل لهذا القرآن، وطمس وصف النبوة عن النبي صلى الله عليه وسلم، واتهامه بوضع هذا القرآن منعند نفسه وعليه فقد جعل أنور الجندي طه حسين في مصاف المستشرقين الذين أنكروا نبوة النبي صلى الله عليه وسلم، بما لزم من مذهبه، والواقع أن هذا الحكم في غاية الصدق والموضوعية ولانتجنى إذا قلنا أنه فاق المستشرقين في عدائهم للاسلام فقد اعترف الغربيون في أبحاثهم بأن القرآن من عند الله هو سقف اللغة العربية وقد ورد ذلك على لسان جاك بيرك فكيف بك ياطه حسين وأنت أزهري من أصل عربي أن تضع القرآن هذا الموضع ويبدو أنه لم يقرأ القرآنأوأعمى الله بصره وبصيرته[3].

فمنهج بحث المستشرقين في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم نجده مليئا بالدسائس فلقد إدعى المستشرقونأن النبي صلى الله عليه وسلم منذ ساعاته الأولى قبل نزول الوحي، كان نافرا من الوثنية التي نشأ فيها محبا للمعاني الروحية التي يتحدث عنها النصارى واليهود، في أنحاء شبه جزيرة العرب، لذا كان يتعبد

[1]- خالد أحمد أبوجندي: الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها، للطباعة والنشر عمار قرفي، الجزائر، (دط)، (دت)، ص: 30.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 16.

[3]- ينظر: طه حسين: حياته وفكره في ميزان الاسلام، دار الاعتصام، القاهرة، ص: 141-142.

وحيدا في غار حراء، فالملاحظ أن تفسير واستنتاج المستشرقين للسيرة الرسول تستند إلى عصبيتهم ومذهبهم، بعيدا عن المصداقية في تقرير الحقائق التاريخية وهنا يعلق أنور الجندي "فهم في هذه القضية يستنتجون بأن مصادر القرآن كانت من الكتب التي استفاد منها النبي صلى الله عليه وسلم عبر رحلاته وسياحاته، يوم أن كان يطلب الكمال الروحي فلم يجده إلا عند اليهود والنصارى"[1]،تابع المستشرقون طه حسين بالرعاية والتأييدوالحديث عنه وتقديره ودعوته إلى كل مؤتمراتهم، وحتى الساعات الأخيرة لوفاته كانوا يهدونه جائزةوهكذا كانت طرق التدريس،عند المستشرقين قوية ومؤثرة جذبت إليها، عقول هؤلاء الشباب المتعطشين إلى العلم والمعرفة مثل طه حسين وأمثاله كثر.

ومن هنا نستنتج أن مؤامرة التغريب للعالم الإسلامي، كانت ضمن مخططات وآليات الاستعمار الغربي فجيل كامل من الأدباء احتضنتهم المعاهد الغربية في أوربا وأهلت نخبة من الشباب لقيادة المشروع التغربي وكان طه حسين في طلائع هذه البعثة، وفرنسا تسعى لتنفذ بفكرها وثقافتها أثناء حملتها على مصر ويضيف الأستاذ أنور الجندي بأن طه حسين كان من أبرز الطلاب الذين احتضنتهم البعثات الغربية في تلك المرحلة الأخيرة فلما عاد طه حسين من أوربا وهويحمل ثقافة الغرب ومفاهيمه، وكما وقد اهتم بالأدب العربي والفكر والثقافة، والحياة الاجتماعية فهو قائد لواء التغريب، ويقول في هذا السياق أنور الجندي "لانستطيع أن ندرس واقعنا المعاصر اليوم، في مجال الفكر والسياسة والاجتماع، والتربية دون أن نتعرف إلى أبعاد الدور الذي قام به طه حسين من خلال كتاباته وآثاره ومؤلفاته"[2].

[1]– أنور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، شارع عبدين، القاهرة، ص: 198.

[2]– ينظر: أنور الجندي، محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، القاهرة، ص: 7-8.

عاشرا:حقيقة الاستشراق عند نجيب العقيقي

كثرت الدراسات الاستشراقية، في القرن الماضي فظهر الكثير من المفكرين العرب والمسلمين دراسات وكتابات، متعددة ولكن أكثرها دراسات فردية، بحثة لم يجمع الرأي فيها في مؤتمر علمي منظم، لنعرف صائب الأراء وأثر الاستشراق نفعه وضرره.

وظل مفهوم الاستشراق غير واضح المعالم لديهم فمهم من ينظر، إليه نظرة إعجاب تصل أحيانا إلى الانبهار "ويرى أصحاب هذا الاتجاه،أن الاستشراق قد قدم خدمة، كبيرة للتاريخوالحضارة الإسلامية بحفظه، لأشتات الكتب والمخطوطات، وأعمال الترجمة والتصنيف لقرون طويلة وذلك مانجده في مقدمة المترجمين لدائرة المعارف الإسلامية الذين تقدموا بالشكر إلى المستشرقين الذين خدموا التراثالإسلامي خدمة صادقة بمقالاتهم القيمة، فإذا تبين للقارئ هوى وأخطاء في بعض تلك المقالات فما أولئك المستشرقون إلا أناس مثلنا لهم طبيعة الانسان التي تخطأ وتصيب أحيانا"[1]، وخير مايمثل هذا الاتجاه هو الأديب الكاتب **نجيب العقيقي** فقد كان له رأي وموقف محدد بشأن هذ التيار فهو قد قبل إسهامات المستشرقين، فأنتج كتاب **المستشرقون** في عدة أجزاء، موسوعة في التراث العرب مع تراجم المستشرقون ودراستهم، منذ ألف عام حتى اليوم وأورد أهم المدارس الاستشراقية والكراسي والمجلات والمطابع ....الخ وأبرز أهم المستشرقين في كل فترة أوحقبة معينة وقد كان للنهضة الأوربية الحديثة، التي كانت في القرن التاسع عشر ميلادي دور أوروبا في جعل عقول العلماء الغربيين للاهتمام بتراث العرب، فنفضوه وكشفوا عن مختلف علومه إذ تعددت ميولهم واتجاهات المستشرقين، بالاهتمام بالتراث العربي الإسلاميعامة،والأدبي خاصة منه خاصة سواءسلبا أو إيجابا، فأغنى التراث وفتح فيه باب الاجتهاد والحوار ولانستطيع نكران فضل المستشرقين، على اللغة العربية وآدابها ولا على التاريخ الإسلامي، فكشفوا عن كنوز هذه اللغة وعن هذا التراث الفخم من أدب العرب وعلومهم وحتى في مجال الثقافة والفكر.سواء شعرا أونثرا إضافة إلى ترجمة القرآن الذي كان له الحظ الأوفر في هذه الدراسات الاستشراقية باعتاره أساس الإسلام ومصدر تشريع المسلمين.

والخلاصة أن نجيب العقيقي كرس حياته لفهم هذه الظاهرة والتنقيب عليها فقد ارتبط بها ارتباطا وثيقا، وفي هذا تقول فاطمة هدى نجا أنه يفتخر بنفسه بإنسابه لهذه الحركة "فقد صنف نفسه في كتابه

[1]- عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، ص: 106.

المستشرقون تحت عنوان المدرسة المارونية، بوصفه واحدا من أتباع هذه المدرسة، التيبجهودهاالجبارة في مجال الاستشراق"[1].

وعلى ضوء هذا الكلام فإن نجيب العقيقي يعد من أول المفكرين العرب الذين كتبوا عن الاستشراق، فكتابه له صيت واسع جاب كل أنحاء العالم "يعتبر كتابه **المستشرقون** بحق موسوعة في تراث العرب، مع تراجم المستشرقين ودراساتهم منذ ألف عام،حتى اليوم وموسوعته هذه ذات قيمة كبرى،تعد من أعظم ما ظهر في هذا مجال الأدب العربي المعاصر على الاطلاق، وذلك لأسباب عديدة"[2].

ومن أهم الأسباب التي جعلت الكتاب ينال هذه الحظوة أولا أن نجيب العقيقي تتبع هذه الظاهرة ووضعها في موضعها المناسب، رغبة في النظرة العادلة للظاهرة الاستشراقية فقد بدراستها، من أول عهدنا إلى عصرنا هذا، ثانيا أنه تدارس كل المراجع والكتب، بكل اللغات التي تخص الاستشراق، فقد استعان بأراء المهتمين والمفكرين من عرب وأجانب ومسلمين لإنتاج هذا الكتاب، ثالثا هذا الكتاب أثبت أثر الاستشراق في النهضتين، النهضة الأوربية الحديثة، النهضة العربية الحديثة، إذن فعالج نجيب العقيقي ظاهرةالاستشراق عن جهد وأناة وإخلاص[3].

وفي هذا يقول **نجيب العقيقي** وظهر على طرفي النهضتين، المستشرقون فتناولوا تراثنا بالكشف والجمع والصون، والتقويم والفهرسة، ولم يقفوا منه عندها،فيموت بين جدران المكتبات والمتاحف والجمعيات، وإنما عمدوا إلى دراسة وتحقيقه ونشره وترجمته والتصنيف فيه، في منشأة وتأثره وتطوره وأثره وموازنته بغيره، واقفين عليه مواهبهم ومناجهم وميزاتهم مصطنعين لنشره المعاهد،والمطابع، والمجلات ودوائر المعارف والمؤتمرات حتى بلغوا فيه منذ مئات السنين وفي شتى البلدان وسائر اللغات مبلغا عظيما من العمق والشمول والطرافة،وأصبح جزءا لاينفصل عن تراثنا ولا تؤرخ الحضارة الإنسانية الأبهة[4]،فهو يعترف بأعمال المستشرقين الذين اهتموا بالتراث العربي الإسلامي.

فهو أنتج موسوعة ضخمة تناول فيها الاستشراق وتتبعه في كل البلدان الأوربية وأشاد بكل الكراسي المتعلقة باللغات الشرقية، المكتبات والمتاحف والمخطوطات والمؤتمرات.

---

[1]- فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان، ص: 54.

[2]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص: 689.

[3]- المرجع نفسه، ص: 689.

[4]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة، (دط)، (دت)، ص: 7.

إذن فهو أنجز إنجازا باهرا وأشاد بدور المستشرقون وفي هذا يقول محمد الدسوقي "لقد قام المستشرقون بنشر التراث من نفائس التراث الإسلامي، نشرا علميا يبين لنا الانتفاع لهذا التراث وهذا فضل الاستشراق لايمكن عض الطرف عنه، مهما تكن بواعث المستشرقين في ذلك"[1].

أثبت نجيب العقيقي أن القرون الوسطى لها دين مزدوج للعرب والمستشرقين لأن الأولين نقلوا التراث الانساني، وحافظوا عليه أضافوا لأن الآخرين أخذوا هذا التراث منهم ونقلوه إلى أوروبا أضاءوا بذلك دياجير ظلامها، فكل منهم على فضل عظيم[2].

وهذا يعني أن الاستشراق قد أسهم إسهاما جيدا في خدمة التراث، مهما حاول بعض الباحثين والمفكرين التقليل من هذه الاسهامات،لا سيما بما يتعلق بحفظ المخطوطات وتصنيفيها وتحقيقهاونشرها، قد أثنى كثيرا نجيب العقيقي على المستشرقين وجهودهم وفضلهم على العرب إذ يقول "ولو وازنا بين عناية المستشرقين بتراثنا واكتشافه، وتحقيقه ما قمنا نحن به في سبيله لرأينا، تكاد تكون متساوية، ولو وازنا بين ترجمة أحد المستشرقين وآثاره وبين ترجمة أحد علمائها وآثاره، لوجدناه يضاهيه خلقا علميا، وعدد كتب وإن لأغنى لنا عن معظمها في علومها وآدابها وفنونها، ولاسبيل إلى جحد فضلها في فتح عيون المستشرقين والغربيين على ما في تراثنا من ثراء[3].

فنجيب العقيقي يرى أن الاستشراق قد قدم خدمة كبيرة في دراسة التراث العلمي والأدبي والفكر الإسلامي، وحفظه من الضياع والتلف، وهذا بفهرسة المخطوطات العربية وتحقيقها ونشرها، والتعريف بما نبه الرأي العام والعالم الغربي، على أن الشرق هو أمة ذات حضارة عريقة تستحق الاعجاب والتقدير.

ونجده في موضع آخر يعترف، بفضل المستشرقين فإن نحن طوينا ذاك الجهد تنكرنا للأمانة العلمية في البحث عن الحقيقة الموضوعية، مع أن نشره لايتضمن الموافقة عليه والرضا عنه وإن طي نشاطهم يبحث على الريبة وسوء الظن والقطيعة في أن الحضارة الانسانية لا تقوم لها قائمة إلاعلى التعاون في نشر ذخائر كل أمة في العلوم والفنون والأدباء.

---

[1]– محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي، تاريخه وتقويمه، المنصورة، دار الوفاء، 1995، ص: 140.

[2]– ينظر: أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص: 689.

[3]– المرجع نفسه، ص: 605.

بناء على ما سبق فلا يمكن نكران فضل المستشرقين على اللغة العربية وآدابها، وعلى التاريخ الإسلامي واهتمامه بالكشف عن كنوز هذه اللغة وهذا التراث الضخم من أدب العرب وعلومهم وقد ساعدهم على العمل تفرغهم للبحث واهتمام أممهم بهم، بما منحته لهم من المال والوقت وهيئت لهم منابر العلم،فقد تميزوا بالدقة والموضوعية وبعقلانيتهم، بالكتابة العلمية الجادة وأن العدل في الحكم على الأشياء والأشخاص مطلب شرعي تنص عليه الاية قال تعالى:﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**﴾[1].

وهذا يعني بالضرورة الاقرار،بإسهامات المستشرقين وخدمة التراث العربي الإسلامي لاسيما فيما يتعلق، بحفظ المخطوطات وتصنيفها وتحقيقها ونشرها، مهما حاول بعض الباحثين والمفكرين التقليل من هذه الإسهامات وما يدعم هذه الأفكار هو رأي **عبد الجليل مرتاض**"فضول المستشرقين على العربية أكثر من أن تحصى لم ننس إطلاقا الأعمال الجليلة التي قدمها **يوهان فوك** للعربية وعلومها ومدوناتها وغيره من مئات المستشرقين، ولاننسى الراهب الالماني **ألبير** الكبيرالذي ثقف العربية وألف كتابه الضخم **مآثر العرب** الذي يعد مفتاحا لاطلاع الغربيين على معرفة العرب"[2].

ويرددعبد الجليل القول بما أحوجنا إلى قراءة الدراسات الاستشراقية والاهتمام بأعمالهم، فنحن بحاجة إلى اقتباس طرائقهم في البحث العلمي والنقد التاريخي، ولا يمكننا إدراك نقاط الضعف فينا، وتكوين فكرة صحيحة عن أنفسنا إلا إذا عرفنا ما يقوله الآخرون عنا، فمنذ ظهور طلائع المستشرقين الرهبان، علموها وأرشودنا إلى كثير، ما كنا نحسه طوال عهود خلت حسنا فينا وهو سيئ، ودفعونا دفعا قويا إلى مراجعة كثير من قراءاتنا،التي لا تخلو من أحكام قيمة سطحية[3].

استشهد برأي نجيب العقيقي العالم الضليع، بأسرار الاستشراق وبيبلوغرافيا المستشرقين فرغم تحدثه عن طلائع المستشرقين فلا يخفى أن يقول "أنا لنفرض جدلا أن جمهرة المتصدين لتراثنا من شرقيين ومستشرقين لاتخلوا أنفسهم من هوى، ولا تبرأ من اعتلال إلا أنك تراه أي مستشرق يقطع الأمصار وينفق

[1]–سورة المائدة، الآية: 08.

[2]– عبد الجليل مرتاض: في الرحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، (ط2)، ص: 196.

[3]– ينظر: عبد الجليل مرتاض: في الرحاب اللغة العربية، ص: 201.

الثروات، ويفني العمر بين المخطوطات والآثار والمصنفات مطلعا، مستنطقا مقارنا، فلايتقدم بقضية إلابيده دليلها ولا ينهض بدعوى إلا ويسوق لها الأسانيد والحجج التي تحسم كل خلاف، وتنفي كل ريب"[1]،فكانت دراستهم مبنية على أسس علمية.

فقد أبرز نجيب العقيقي الدور الفعال الذي قام به المستشرقون فكان كتابه ذا أهمية وذلك للأنه أرسل كل طبعاته من الكتب الملحقين الثقافيين والأصدقاء، من أعلام المستشرقين لتحقيق في الأعمال وقد له الشكر والعرفان لصنيعهم "شاكرا لهم كريم تعاونهم، وتقديرا لجهدهم واعترافا بفضلهم"[2]، فهي جهود لا يمكن التغاضي عنها أو تجاهلها.

قد يتفق الكثير من الباحثين على أن المستشرقين[3]، لم يكونوا يتصرفون بموضوعية عند التطرق إلى دراسة العلوم الإسلامية، وخاصة (القرآن،السنة، الفقه، السيرة النبوية...)، إلا أنه عند الحديث عن التراث الثقافي، العلمي فإن الكثير منهم يشيد بجهود،المستشرقين في الحفاظ على هذا التراث فهرسة وتحقيقا ونشرا.

يقول نجيب العقيقي "مادحا ومثنيا على عمل المستشرقين وعنايتهم بالتراث"ولو وازن بين عناية المستشرقين بتراثنا واكتشافه، وتحقيقه وما قمنا نحن به في سبيله لرأيناها تكون متساوية...وأن لهم الفضل على فتح عيون المستشرقين الغربيين، على ما في تراثنا من ثراءثم على نهضتنا الحديثة التي كانوا من دعائمها"[4].

يبدو نجيب العقيقي مبهور بعمل المستشرقين وخاصة في مجال التراث ويصفهم بأنهم أصحاب أفضال على الأمة العربية الإسلامية، ويستحقون الجزاء وكأن المسلمين لم يفعلوا شيئا لتراثهم، ولكن المفكر نجيب العقيقي تلقى ردا عنيفا ونقدا سلبيا من طرف الكثير من الأدباء ومنهم فاطمة هدى نجاة "يعتمد العقيقي بغباء متعمدا أن الدافع العلمي، كان وراء كل الجهود الاستشراقيةويدافع عنهم باعتبار منهم"[5].

---

[1]- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج3، ص: 602.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص: 9.

[3]- عادل الالوسي: التراث العربي والمستشرقون، ص: 78-79.

[4]– نجيب العقيقي: المستشرقون، ج3، ص: 605.

[5]- فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، ص: 53.

وتقول في موضع آخر "ولست أدري كيف أدرج نجيب العقيقي نفسه في عداد المستشرقين مع أنه يتحدث عنهم بصفة الآخرين"[1].

أما بنسبه لرد نجيب فهو لم ينس توجهات هؤلاء المفكرين العرب فقد درس "أراء أحمد فارس الشدياق والأمير شكيب أرسلان، وغيرهما مشيرا أن بعض علمائنا قد إلتمس إحصاء أغلاط المستشرقين ...وضعوا الحد بين ما يمكن للمستشرقين القيام به وما يعجزون عنه غيرهم، فقد كشفوا عن أغراضهم"[2].

إلا أن العقيقي رد على كل اتهامات المفكرين العرب الذين وصفوا الاستشراق بأنه استعمار وتبشير ونشر للمسيحية وكان تركيزهم الأهم على الرهبان والقسس نظرا لحقدهم الدفين للإسلام فرد قائلا "لو استهدف الرهبان الجدل والتبشير فحسب لإكتفوا بتعليم العربية، وأهملوا ما عداها من اللغات التي قل، أو إنقرض المتكلمون بها كاليونانية القديمة، العبرية والسريانية والكلدانية، وكلفوا أنفسهم إنشاء بواكير مكاتب الترجمة، والمكتبات المعاهد والمطابع والمجلات، لحفظ تراثنا ونشر ذخائره والتصنيف فيه وترجمته إلى لغات العالم بأسره"[3].

على ضوء هذا القول نستشف أن رد العقيقي على كل الإفتراءات الموجه للاستشراق كان ردا قاسيا، ناتج لحبه للمستشرقين وفكرهم وكتاباتهم وجهودهم في تحقيق التراث الإسلامي والعربي، ويرى أن عملهم هذا لايمكن التعاضي عنه، أوتجاهله أوحتى تجاوزه، فهو جهد جبار كللته عقول وألسن وأيدي لمدة سنين بل حتى قرون، فكيف يمكن أن تغاضى هذا لأن كثيرا منهم من أفنى عمره وهو باحث مفكر في عالم العرب والمسلمين.

إذن فالكتاب المشهورللعقيقي،هو عبارة عن معجم تراجم للمستشرقين بعامة، مع مقدمات حول مدارس الاستشراق الجغرافية، بالإضافة إلى المدرسة المارونية فهو كتاب مهم وأي باحث لمادة الاستشراق لايستطيع الاستغناء هنه فهو في كتابه هذا يميل إلى الاشادة بالاستشراق وتأكيد أهميته لكن ما يجب الاشارة إليه هوأن الحقيقة وراء اهتمامهم بهذا التراث الكبير، ليس حفاظا على العلم والمعرفة، فقط بل جزء من دراسة هذا الشرق والاستحواذ عليه، فقد صاحب الاحتلال الاوروبي البلاد الإسلامية، تصديرا لتراث

[1]- المرجع نفسه، ص: 54.

[2]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق، ص: 690.

[3]- المرجع نفسه: ص: 690.

المسلمين من كتب ومخطوطات تشغل حيزا كبيرا في المكتبات الغربية والمتاحف، وكان هذا التصدير بالسرقة والاستيلاء بالقوة أو بالشراء والأخذ ثم إن تعامل المستشرقين مع التراث كان يفتقر إلى الموضوعية والدقة والصدق وحسن الاقتباس من منطلق أنهم كانوا يعتمدون على الكتب الغير الموثقة والكثيرة الخطأ والروايات الضعيفة، وإن حدث وإنأعتمدوا على كتب موثوقة فإنهم يتركون الصحيح منها ويلجؤون إلى الشاذ الضعيف خدمة لمصالحهم الخاصة[1].

وخلاصة القول أن الدراسة الاستشراقية لم تشمل هذه المجالات فحسب بل تعددها إلى ميادين أخرى كالتاريخ، الجغرافيا، التراجم والسير والعلوم وغيرها.

[1]- عقيلة حسن: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، دار ابن حزم، لبنان، 2004، ص: 103.

الفصل الثالث :دراسة تطبيقية لموقف علي بن ابراهيم النملةمن الاستشراق في كتابيه

" كنه الاستشراق " "ومسارات الاستشراق من الإلتفات إلى الإلتفاف "

توطئة:

من المتعارف عليه في الأوساط العربية الفكرية أن من يدرسون الاستشراق والمستشرقين، وينبرون في الكتابة عنه، نجد أغلبهم يقدمون مفهوم الاستشراق من حيث، نشأته ودوافعه وأهدافه مع العلم أن غالبية الكتاب يكاد يتفقون على أهداف رئيسة كما ذكرناه سابقا فهي مجملة للاستشراق.

فنتج عن هذا الدراسات العربية الإسلامية للاستشراق، إنتاج فكري غزير مثمر منه الكثير العميق، ومنه السطحي، كما نعلم لكل كاتب مبادئ في وجه نظره وهذه الكتابات أضحت مصادر يعتمد عليها كثير من الباحثين العرب وحتى الغرب.

وارتأينا سابقا واستفضنا في قضية القبول والرفض من طرف أدبائنا العرب المسلمين، واستنتجنا أن كثير منهم من فند ورفض هذه الحركة من بدايتها مبررين موقفهم بأن هذه الحركة منطلقها الأول من الكنيسة، على يد الرهبان والقسس ولأن الدافع الأساسي هو القضاء عل الدين الإسلامي فهذه الوجه الفكرية مبعثها الاندفاع العاطفي فلقد كان له الأثر الأكبر في تحديد موقف كثير من الأدباء، وعلى رأيهم على الاستشراق "الاندفاع العاطفي، الذي كان صدى لبعض الكتابات في عموميات الاستشراق، وخطره على الثقافة الإسلامية، على اعتبار أنه تيار من التيارات الهدامة عند البعض"[1]، ويقول آخرون أن الاستشراق في مجمله كان مجردا من الخلفيات، وأنه صار على منهج علمي قويم، بحيث يدرس ظواهر علمية وفكرية وحتى أدبية خلفها سلف الأمة الإسلامية، ومن هذا المنطلق نظر كثير من الباحثين والمفكرين العرب،على أنه دستور لابد من الاحتذاء به ومنهم من تبنى أفكار المستشرقين.

ولكن الأمر الجميل، والشئ المفرح أن المبهرين قلة وعددهم معدود، وهم يتقلصون مع ارتفاع نسبة الوعي الفكري بين الأوساط العربية والإسلامية، وقد أدرك كثير من المفكرين أن الابتعاد الدين الإسلامي ما هوإلا ذل وهوان واستصغارللأمة العربية، فالاستشراق ظاهرة شملت شتى فروع المعرفة الإسلامية فجاءت شاملة.

ونستشف من هذة المقدمة البسيطة أن الاستشراق تنازعته مواقف الكتاب العرب بين محب قابل لكل ما يصدر، وبين كاره ورافض لكل ما يبث فرتأيت في هذة الدراسة أن ألقي الضوء على كتابات

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنة الاستشراق، المفهوم، الأهداف، الارتباطات، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 2011، (ط3)، ص: 11.

المفكر العربي والأديب المعروف بكتاباته حول الاستشراق وهو علي بن إبراهيم النملة، الذي أفاض في هذا الجانب فله عدة كتب في هذا الميدان من أهمها: (الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، الاستشراق بين منحيين النقد الجذري أو الادانة، كنه الاستشراق، نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، الشرق والغرب منطلقات ومحدداتها ...الخ).

وهنا يفرد علي إبراهيم النملة في كتابة (كنه الاستشراق) تمهيدا يبن فيه أسباب خوضه لهذا المضمار ودراسة الاستشراق فيقول قد تعرفت على الاستشراق في بدايات الاطلاع الجاد والتكوين الثقافي، وكان المدخل العلمي عن الطريق دراسة الأدب الجاهلي عن طريق الثقافةالإسلامية،بكليات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وثم استمر الاطلاع الجادبغرض الثقافة والعلم الجاد ومن ثم عمل سنة (1986م) بمعهد تاريخ العلوم الإسلامية والعربية، بفرانكفورت بألمانيا،الذي يديره الأستاذ الدكتور محمد فوائد سنركين وإلتقى فيه ببعض المستشرقين المنكبين على البحث،والاستنتاج في العالم الإسلامي العربي، ويقر بالدافع الأول لدراسته للاستشراق وهو اهتمام الدكتور فوائدسنركين به وفتح مكتباتة أمامه وتشجيعه للاطلاع والمعرفة، تعلم اللغة الألمانية ففتحت شهيته للحوار والنقاش والتعمق في الدراسة "فكان له أثر يذكر ولاينكر"[1].

كما وقد اتصل بكثير من المستشرقين في الولايات المتحدة الأمركية، في هذه الأثناء برزت عنده فكرة رصد ما كتب عن الاستشراق والمستشرقين باللغة العربية فانكب بالقراءة والجمع والتصنيف لكل ما كتب عن الاستشراق، فركز على الأهداف ثم النشأة والدوافع، ثم سار في طريق آخر فحلل وعلق واستنتج مبديا رأيه في هذا المجال[2].

وعلى أي حال فظاهرة الاستشراق تحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث لسبر أغوارها ومعرفة مكنوناتها وفي هذا يقول علي براهيم النملة "تظل ظاهرة الاستشراق موضع جدل وبحث وإني أكاد أخرج بمشروع يؤدي إلى نتيجة عامة وهي أن الاستشراق لم ينل حظه من البحث العلمي المجرد، ولقد تدخلت عوامل أخرى عند الحديث عنه في الغالب، واهتم بمن أنصف المستشرقين ومن تجنى عليهم هو أيضا

[1]– علي بن ابراهيم النملة: كنة الاستشراق، المفهوم، الأهداف، الارتباطات، ص: 07.
[2]– ينظر: المرجع نفسه، ص: 5-6-7.

متهم"[1]، فموضوع الاستشراق عمل شائك وفي نفس الوقت شائق والحكم له أو عليه شاق لجملة من الأسباب أولها طول مدته، فقد زاول نشاطه منذ عدة قرون،ومع هذا تعددت موضوعاته فنجده قد اخترق جميع التخصصات والمجالات فلم يسلم منه أي موضوع (السياسة، الاقتصاد وحتى المجال الديني، القرآن الكريم، السنة النبوية، وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم...).

إضافة إلى هذا تعددت لغاته ومدراسه (فرنسية، وألمانية، وانجلزية...)واختلاف ديانات ومذاهب المستشرقين من مسيحي، يهودي، والبوذي وغيرهم، واختلاف أغراضهم السياسية، والاستعمارية، والتنصيرية وخلافها وكثرة إنتاجهم الفكري من كتب ومجلات ودوريات فيها تصنيف وتمحيص ودراسة، كثرة اتجاهاتهم فنلاحظ أن مجال دراسة الاستشراق واسع ولابد من تضيق دائرة لبحث والدراسة حول المستشرقين وتحديده إما بمكان وزمان،أوبشخص ونحو ذلك.

من خلال استقرائي لمجموعة كتب المفكر علي بن ابراهيم النملة، رصدت في كتاباته أنه بدأ أولا بتحديد العلاقة بين الشرق والغرب، ولأن الشرق هو المدروس والغرب هو الدارس، (أي الفاعل والمفعول) "ذلك أن الشرق لم يكن منفصلا، في يوم من الأيام عن التاريخ الإنساني العام،أسهم في الحضارة العالمية وصفحاته،لازالت في هذا المجال تتلى في كل حين...صفحات تثبت أن الشرق خضع لمنطق التطور ويتعرض مثل سواه تارة لهبوط وتوقف، وطورا يتدفق كتيار جارف يشمل فروع الاهتمامات البشرية كلها"[2]، إذن فالشرق هو منطقة حضارية وتاريخية بامتياز، والتاريخ يعترف بأن الشرق هو المحرك الأساسي للحضارة العالمية وساهم في رفع العالم للتطور الانساني، وإلى جانب هذا سحب الشعوب الأخرىإلى هذا العالم.

فالكتاب الذي نحن بصدد دراسته، جمع الكثير من المحددات التي بنيت عليه العلاقة بين العالمين الشرقي والغربي، فنجد إبراهيم علي النملة يتحدث عن العلاقة بين الشرق والغرب في كتابه المعنون **الشرق والغرب منطلقاتها ومحدداتها** وفي هذا الكتاب رصد العوامل التي ساهمت في بناء العلاقة بين الشرق والغرب، ماضيا وحاضرا وحتى مستقبلا.

ونجمل هذه العلاقات والمحددات وحتى نستطيع القول عنها مؤثرات في تحديد العلاقة بين الشرق والغرب: المحددات وهي الاهتمام بالعالم الإسلامي،الحقائق، المسلمات، الجغرافيا، ومن المحددات، الجهوية،

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنة الاستشراق، ص: 9.

[2]- سالم المعوش: الأدب العربي الحديث، نماذج ونصوص، دار النهضة، بيروت، (ط2)، ص: 57.

الحقوق، الحروب، الإرهاب، العرقية، اليهودية، الاحتلال، الاستشراق، الاستغراب، التغريب، الاغتراب، البعثات، العلمنة، العولمة، الحوار.....غيرهم.

فتكلم بداية عن العلاقة الثقافية بين الشرق والغرب، فيذكر علي بن ابراهيم النملة أول هذه المنطلقات، هو الاهتمام بالإسلام والمسلمين، لاسيما في الأوساط الغربية، ويشير أن الاهتمام يعود لسببين أولهما:العودة الصادقة التي يسميها بعض المتابعين، بالصحوة أو الاحيائية الثانية إلى الإسلام، في المجتمعات المسلمة والجاليات المسلمة المغتربة، في المجتمعات غير المسلمة"[1]، ويمكن أن نستشهد بكتاب أثار الإمام عبد الحميد بن باديس "أن الإسلام دين له عقائد وأخلاق وأحكام، وأن على المسلم أن يعرف من ذلك مالا يكون المسلم مسلماإلا به وأن عليه أن يقوم بذلك وبنيه وبناته، ومن في رعايته وكفالته"[2]، فالإسلام سلطان القلوب قفد كان هاديا للنفوس موجها للأعمالالصالحة، قاد الأمة الإسلاميةإلى واقع الاستقرار والتحضر والمدنية، وروح التسامح والألفة والمحبة والإسلام هو الخضوع والإنقيادلأوامر الله.

أما المقصود بالصحوة أو الحركة الاحيائية فهي حركة قامت في العالم الإسلامي على أسس ومبادئ فجمعت كل العناصر اللازمة للحركة الناجحة، من تخطيط وتنظيم وتجميع، وعبقرية البناء والتصميم المقنن، فلم تكن اعتباطية ولاعفوية، ولاعاطفية، ولقد أدت هذه الصحوة في العالم الإسلامي كله إلى تصحيح مفاهيم طالما شاعت بين المسلمين وشوهت جمال الإسلام، كما وقد أعادت للناس الثقة بدينهم الإسلامي الحنيف، وإضافة إلى هذا فقد قدمت للمكتبة الإسلامية ثروة طائلة، في العقيدة والتشريع ، والأخلاق وفي كل جانب من جوانب الفكر الإسلامي والثقافة الإسلامية[3]، فالإسلام هو الموجه والقائد للمجتمع في كل الميادين المادية والمعنوية.

فلقد أدت نظرة بعض عناصر الصحوة إلى الغرب بخاصة وإلى الحياة الراهنة بعامة بعلماء الأمة ومفكريها إلى السعي إلى ترشيدها وتوجيهها ولذا فقد حفلت المكتبة العربية بالإنتاج العلمي، عن الصحوة وغلب على هذا الإنتاج التقويم العلمي، الشرعي المتأني،سيطرة العاطفة والحماس.

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، (ط3)، ص: 15.
[2]- مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، 1985، (ط1)، ص: 65.
[3]- ينظر: يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مكتبة رحاب الجزائر، 1988، (ط13)، ص: 257-258.

كما يمكن أن نقول أن الاستشراق قد تأثر بالصحوة الإسلامية وذلك من خلال مراجعة خططها وتعديلها وفي هذا تقول وفاء مرزوق أن الاستشراق قد وسع أهدافه "خصوصا مع بداية الصحوة الإسلامية التي شهدتها سنوات السبعينات، ومشروعها النقدي للاستشراق، هو ما أصبح يشكل نَدا وخصما للحركة الاستشراقية التي سعت لخدمة حكوماتها وفق أجندات وأهداف مرسومة"[1].

ويؤكد المفكر والباحث في الحركة الاستشراقية مازن المطبقاني على "أن أزمة الاستشراق المعاصر تعود إلى سبب إسلامي، يضاف إلى الأسباب الأخرى التي نتجت بفعل الأسباب الخارجية التي تخص الاستشراق بصفتها حركة فكرية غربية، فقد أدت الصحوة الإسلامية إلى تطور وعي ديني قوي، أدى إلى عودة إسلامية إلى مصادر الدين، وإلى حركة علمية إسلامية ضخمة تناولت جميع جوانب الفكر الإسلامي، كما أدت إلى معرفة إسلامية جيدة بالغرب وحضارته وثقافاته"[2]، فلهذه الصحوة الإسلامية تأثير كبير مشهود له في العالم العربي الإسلامي.

أما السبب الثاني الأساسي لزيادة اهتمام بالإسلام "أنه مع عودة المسلمين إلى الإسلام بدأ انحسار العقائد الأخرى لدى الآخر (الشيوعية، الاشتراكية، العلمانية) فهذه التوجهات فرضت على الناس لكن بعد انحسارها تحرر الناس ووجدوا في العودة إلى الإسلام بديلا"[3].

ولكن مايؤسف علي بن ابراهيم النملة "أن الإسلام يقدم في الغرب على أنه علم بحث جاف كما تتكفل بنشره المراكز الاستشراقية، فهي تصورالإسلام بالصورة التي تحب وتريد، ورغم ما تقوم به المراكز الإسلامية الدعوية، من محاولة لنقل الصورة الصحيحة عن الإسلام، إلا أنها مقيدة بضوابط وقوانين الدول الغربية، ذلك فهي تظل عاجزة، عن توصيل الصورة الصحيحة للإسلام"[4]، إذن فمن هذا المنطلق نستنتج أن العلاقة بين الشرق والغرب، هي إهتمام الغرب بالإسلام لأنهم يدركون تمام الإدراك أنَالإسلام هو ركيزة المجتمع الإسلامي العربي لذا وجب علينا أن نسعى جاهدين لنقل الصورة الصحيحة للإسلام ونبدد الإشاعات المفترية في حقه.

[1]- ينظر: وفاء مرزوق: الاستشراق الجديد، صراع مصالح أم حوار حضارات، ثقافيات إلكترونية، 2014، ص: 14.
[2]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف، بيروت، 2016، (ط1)، ص: 87.
[3]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات، ومحدداتها، ص: 17.
[4]- المرجع نفسه، ص: 28.

المنطلق الثاني هو مجموعة من الحقائق التي ساهمت في تحديد العلاقة بين العالم الشرقي والغربي، فقد وزع هذه الحقائق إلى أربعة دوائر وهي أن ذاكرة المسلمين تحتفظ بصوة سلبية عن الغرب، لدوافع معنوية أومادية تم أن جل أقطار العالم الإسلامي قد تعرضت للاحتلال العسكري، فترتب عنه آثار وبصمات سلبية، ثالثا التمييز العنصري القائم ضد المسلمين، وهوناتج عن سوء الفهم الذي سببه علماء غربيون مستشرقون، أما الحقيقة الرابعة أن هناك خلطا بين المسلمين وبعض الحكومات، التي لاتمثل بالضرورة المسلمين فيها[1].

فهذه الحقائق الأربعة غيرت معالم الإسلام، وطبعت في أذهان العالم صورة مخيفة عن الدين الإسلامي بأنه دين قتل وإرهاب وعنف...وهو عكس ذلك.

وهناك بعض المسلمات أشار إليها النملة ونحصرها في هذه النقاط،أن الغرب ينظر إلى الإسلام على أنه القوة الكامنة أو العدو القادم على أن علاقة الشرق بالغرب تقوم على فكرة استشراقية قديمة تتجدد ومحاولة الغرب تطويع الإسلام له لا تطويعه للإسلام بالثقافة المستعلية أوما يسمى بالنزعة الفوقية[2]، فهي المسلمات المتفق عليها ساهمت في تبيان هذه العلاقة بين الغرب والشرق.

وبالنسبة لبقية المنطلقات والمحددات فسنمر بهاعلى عجالة لنركز، على محور البحث هو الاستشراق في نظر الدكتور علي بن ابراهيم النملة، ونطل بذلك على ظاهرة الاستغراب والتي تعد موازية لظاهرة الاستشراق كما أننا في مجال علاقة العالم الغربي بالعالم الشرقي فلابد من الحديث عنه.

أما المحدد الآخر الذي ساهم في العلاقة الناشئة بين الغرب والشرق، هو المصطلح المشؤوم المعروف بالإرهاب وقد كون هذا المصطلح عقدة لدى الناس لما له من آثار سلبية على مخيلة الناس "هذا المصطلح الذي تعارف عليه الناس لا سيما وأن إشاعة هذا المصطلح العربي، قامت على أكتاف الاعلام الذي روج لهذا المصطلح من دون النظر إلى الدقة في النقل عن المقابل الأجنبي[3]، ومن هنا نستنتج مما سبق أن كلمة الإرهاب ربطت في أذهان الناس، بالقتل والسفك ولكن نحن كمسلمين لابد من تصحيح هذا المفهوم، لأن المفهوم الإسلامي لهذا المصطلح يختلف تماما في المؤدى،عن المفهوم الشائع.

[1]– ينظر: هادي المدرسي: لئلا يكون صدام حضارات، الطريق الثالث بين الإسلام والغرب، دار الجديد، 1996، ص: 174.

[2]– ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 28.

[3]– علي بن ابراهيم النملة: المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، الرياض، 2001، ص: 2.

ولقد ذكرت هذه الكلمة في القرآن الكريم لقول الله تعالى:﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[1]ذلك أن المسلمين مطالبين بتجهيز أنفسهم من قوة وعتاد ليقاتلوا بها أعداء الله وهذا معروف بالجهاد في سبيل الله ويكون وفق مبادئ إسلامية.

وللإشارة فإن هذا المصطلح لم يجمع عليه في اتفاق دولي "لكن اقترن الإرهاب، لدى الغرب بالمسلمين لاسيما في الوقت الراهن وأضحت، أيً عملية تخريبية مقرونة بالعرب المسلمين بغض النظر عن الوجهة الجغرافية التي حدث بها التخريب فنجد أن كل الجرائم المرتكبة في أوساط العالم الغربي منسوبة للارهاب أي للعالم الإسلامي[2]، ومن هذا المنطلق يسعى اليهود إلى الوصول إلى هذه الأهداف مستخدمين وسائل من ضمنها الاستشراق بالمفهوم العام والخاص، وقد حاول المستشرقون اليهود في البدايات الأولى للاستشراق التكتم على انتمائهم اليهودي ونظروا إلى أنفسهم، وأراد آخرون أن ينظروا على أنهم مستشرقون، وقلة منهم من صرح بيهوديته.

نستشف مما ذكر سابقا أن الإرهاب لايعقل أن يلصق بالعالم العربي وخصوصا الإسلامي لأن ظاهرة القتل والعنف منشرة في كل بقاع العالم وأصبحت داء منشرا ليس له حدود.

ويجدر هنا الإشارة إلى من روج لهذه الظاهرة وطبعا وسائل الاعلام السمعي والبصري وغيرها،فالإعلام أضحى في وقتنا الحالي المسيطر الأول لعقول الناس فهو يبث أخباره ويروجها سواء كانت صادقة أو كاذبة وقد أشار علي بن ابراهيم النملة إلى ذلك على أساس أن الاعلام من محددات العلاقة بين الشرق والغرب "ذلك الإنتاج الفني المتمثل في التقارير والأفلام السينمائية، التي دأبت على تصوير العرب والمسلمين صورا لاتليق بالانسان والحضارة،سواء من النواحي غير الأخلاقية، أم من تصوير العرب من خلال مواقفهم السياسية وتعاملهم معها بالعنف والتخريب والهدم والإرهاب"[3]، فالإعلام الغربي شوه صورة الشخص العربي المسلم وبذلك أعطى الانعكاس على المجتمع العربي الإسلامي.

[1]- سورة الأنفال، الآية: 60.

[2]- ينظر: زين الدين العابدين الركابي: الأدمغة المفخخة في مناقشة هذا المفهوم، غيناء للنشر، الرياض، 2003، ص: 246.

[3]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 253.

إضافة إلى هذا فقد ظهرت فئة من التلاميذ الغربين المتشرقين، من صناع الكراهية بين الثقافات اتسمت باستخدام تقنية الاتصال، كالانترنت والفضائيات ووسائط الاتصال الاجتماعي، وهم الملقبون بالمستشرقين المعاصرين.

فلم يعد الاستشراق المعاصر "حكما على المستشرقين والسياسيين الأكاديميين، المتخصصين في موضوعي الشرق والإسلام،بل صار حتى العامة من أفراد الشعب الغربي يخوضون بجدية في مسائل استشراقية ويطلقون أحكاما فيها عدائية نابية ضد الإسلام والمسلمين"[1].

وهناك محددات أخرى كالعلمنة، والعولمة والتغريب وهذا الأخير "ممن اصطلحنا على تسميتهم بالتغربين تلك الفئة التي أسهمت في التأثير على العلاقة بين الشرق والغرب، بتبنيها الأفكار الغربية ودعوتها إليها هولاء الذين أضحوا مجال استغراب من الغربين أنفسهم، إذ لم يتوقعوا منهم أن يكونوا لهذه الحدة والقوة والاندفاعية في الدعوة إلى تبني الأفكار الغربية"[2]، وهناك محدد آخر وهو الاغتراب ويخص الجاليات المعربة في العالم الآخر وكذا البعثات العلمية في أثرت وبشكل كبير على العلاقة بين العالميين الشرقي والغربي.

ولو نظرنا إلى بقية المحددات فنجد اليهودية، والحروب التي دارت ردحا من الزمن قرون وقرون، ولازالت إلى يومنا هذا ثم تكلم عن العرقية وفي هذا يقول علي بن ابراهيم النملة "إن الزعم بالنظرية العرقية الفوقية، حالت دون تقبل الأوربين (الغرب)للإسلام وحالت دون قبوله دينا شاملا، رغم تزايد أعداد المسلمين في المجتمعات الغربية"[3]، وكما نشاهد أن العلاقات بين الغرب والشرق غير متكافئة وبتالي هذا الاختلال عانى الشرق بسببه من الدونية أما الغرب فقد علا وشعر بالفوقية والاستعلاء.

وهكذا نلاحظ أن مررنا بجملة من المحددات طغت وأثرت على العلاقة بين الشرق والغرب والعامل الأكبر والقوي الذي بنى العلاقة هو الاستشراق وهو الجدير بالبحث.

تعد ظاهرة الاستشراق محددا من مححدات العلاقات بين الشرق الغرب، أماالمفكر العربي علي بن ابراهيم النملة، فقد تروى في الحكم على هذه الظاهرة من حيث قبوله أو رفضه فهو يقر أن نظرته أصبحت موضوعية بسبب التمعن والاحاطة بظاهرة الاستشراق، "كلما تمعن الباحث في دراسة الاستشراق والإحاطة

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعية الكراهية، ص: 168.
[2]– المرجع نفسه، ص: 210.
[3]– المرجع نفسه، ص: 79.

به من وجه أو ممن أوجه دون الادعاء بالإحاطة التامة، زادت نظرته الموضوعية له،وزاد وضوح هذه الظاهرة له ومن ثم زاد حكمة في الحكم عليه"[1].

إن موضوع الاستشراق أمر حيوي ومستمر ولم يبق محصورا، في دائرة الانتفاع بعلم العرب ومدنية الشرق،ومعرفة أغوار الدين الإسلامي، "وإنما خرج عنها إلى أغراض تجارية واستعمارية، أودينية فأقبلت الأمم الأوربية بحكم هذه الدوافع تتنافس في تعريف الشرق وارتياد أقطاره،وإبراز فنه"[2]،فصارالاستشراق فنا قائما بذاته، له فصوله وضوابطه.

فالدكتور علي بن ابراهيم النملة يوضح لنا أن الاستشراق اشتهر وامتدصيته في الأوساط العربية بنفس الدرجة الذي انطلق منها من الغرب فلقي رواجا أثناء النهضة الفكرية العربية فأنشأت المراكز والمجامع العلمية للبحث العلمي، وانتشرت الطباعة والكتابة والدوريات، والمجلات والصحائف،وكل هذا لإعجاب المفكرين العرب "وكان بهم انبهار فاق الحد والعقل، وكانوا محل عناية وترحيب، وافتتن بهم مفكرون عرب، لأنهم مستشرقون وليس لأنهم أي شئ،سوى كونهم مستشرقين"[3]، فهناك الكثير من قادة الفكر من تتلمذوا على أيدي المستشرقين عن طريق إيفادهم، إلى الخارج أو استقدام المستشرقين إلى البلاد الإسلامية،وبهذا الصلة وثيقة بين العالم الغربي والفكر العربي الإسلامي.

ويرى الباحث علال سيناصر أن للمستشرقين أثرا واضحا في تأليف القلوب فالدور الذي يقوم به المستشرقون في مجال البحث العلمي المتخصص، ينبغي الوقوف عنده وكشفه لأنه هو الذي يهتم حرفيا بالعالم العربي ويمتلك المستشرقون معرفة جيدة بدقائق الثقافة العربية، فلقد استطاعت الثقافة العربية أن تدخل من باب واسع للحضارة الغربية،وتترك أثرا بارزا ساعد على رفع المكانة الثقافية والعلمية والحضارية للغرب، ويجب أن لاننسى أننا إذا أردنا أن نستفيد من الدول الأوربية فلن نجد غير المستشرقين، لأنهم بما يملكون يمكن أن نقوم معهم بعمل يكون من شأنه التأليف بين القلوب[4].

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 12.
[2]- أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، دت)، (ط2)، ص: 24.
[3]- علي بن ابراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 152.
[4]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 168.

وعلى ضوء هذا يمكن أن نستنتج العلاقات الثقافية، والفكرية الحاصلة بين الأمم لا تكاد تخلو من ذكر الاستشراق بصفته المؤثر القوي والفعال من بين مؤثرات العلاقة بين العلاقة المسلمين في الشرق والغرب.

فالمستشرقون هم همزة وصل، بين علوم أوربية وعلوم العرب، وقد درس كثير من أساتذتنا وطلابنا في معاهدهم، وأثرت فئة من المستشرقين في شبابنا الذين تخصصوا في بعض الآداب أوبعض الاتجاهات في تعليمهم وفي تعلمهم،وحتى منحهم الشهادات العالية[1]، لذلك فالاستشراق تيار حضاري وهو أحد الروافد التي عرف بها الغرب الإسلام، لذا فالسياسيون والاقتصاديون، وعلماء الاجتماع والمفكرون وحتى الاعلاميون،الذي يبحثون عن مصالحهم وفي المناطق الإسلامية، إنما يعتمدون على المعلومات التي دونها المستشرقون بحيث يمكن للمتابع أن يعد الاستشراق مصدر المعلومات الأولى.

ولكن يجب أن نقف هنا على نقطة أساسية وهو أن الاستشراق في مهمته هذه اتكأ على معلومات شعبية غريبة قديمة ذات بعد ديني مسيحي، ماكان الأثر الكبير في تلقي الغرب للإسلام بل الأثر الكبير لهذه الفجوة بين الغرب والإسلام[2]، فإن هناك من المستشرقين من كتب عن العرب والمسلمين بروح تبشيرية وعنصرية وفي نفس الوقت هناك من انصف العرب لذا وجب على كل دارس أن يحكمعلى المستشرق دون تعصب أو تعميم، لأن هناك من المفكرين العرب المسلمين أشد عقوقا وشعوبية للعالم الإسلامي العربي فهم يكونون أكثر من المستشرقين.

[1]- ينظر: محمد التونجي: الأدب المقارنة، دار الجيل، بيروت، 1995، (ط1)، ص: 212-213.

[2]- ينظر: توماس ماستناك: السلام الصليبي، تر: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003، ص: 143.

أولا:نظرة علي بن ابراهيم النملة لمصطلح الاستشراق

1- منهجيته في دراسة الاستشراق:

أنشأ علي بن ابراهيم النملة كتاب معنون الالتفات عن الاستشراق فقد تحدث عن قضية التنصل أومحاولة التخلص من مصطلح الاستشراق لما له من أثار نفسية سلبية على نفوس العرب والمسلمين فنجد كثيرا من المستشرقين من أرادوا تغيير هذه الصفة التي ألصقت بهم لما لها من صدى سلبي في آذان الناس وحتى المستشرقين ونذكر منهم على سبيل المثال، مكسيم رودنسون يرى أن كلمة الاستشراق لايهتم لمعناها ولم تعد تعني له أي شيئا فيقول "إنني لا أستطيع أن أتحدث، وأستفيض في ما ليس موجودا، كذلك أقول بأنه لا يوجد شرق، وإنما شعوب مجتمعات ثقافات، وبتالي لا يوجد استشراق أيضا، وإنما توجد أنظمة علمية لها موضوعاتها وإشكالياتها النوعية، مثل علم الاجتماع، والاقتصاد السياسي والألسنية والأناسة، والفروع المختلفة للتاريخ"[1]،وفي موضع آخر أثناء حواره مع أحمد الشيخ يقول الاستشراق كلمة لامعنى لها، فلماذا أستفيض فيما ليس موجودا؟ وبأنه لايوجد شرق وإنما توجد مجتمعات، ثقافات وبتالي لايوجد استشراق أيضا، وإنما توجد أنظمة علمية لها موضوعاتها وإشكالياتها[2].

وهذه المستشرقة الرومانية **ناديا أنجيليسكو(Angeleca Nadia)** تتهرب من المصطلح وهي تقول: "خلال زيارتي إلى البلدان العربية قدمتني الصحف أكثر من مرة بالمستشرقة الرومانية **ناديا أنجيليسكو**، واحتجت أكثر من مرة، على هذه التسمية طبعا كان من أهم الأسباب لاحتجاجي أن شخصية المستشرقة مشؤومة إلى حد ما في الوطن العربي"[3].

ومن هذا المنطلق فغالبية المستشرقين ينكرون وينفرون من هذا المصطلح، ويرونه مصطلح قديما زال واندثر وحبذوا تسميتهم بعلماء الإسلام أو الأدب العربي وغيرها من التسميات، ولكن الاستشراق مؤسسة غربية بالغة القوة، قائمة على دراسة الشرق بشتى جوانبه، ومع التركيز على الجزء الإسلامي منه برؤية غربية قائمة على التفوق العرقي الثقافي.

---

[1]- ينظر: أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، القاهرة، المركز العربي للدراسات الغربية، 1999 (ط1)، ص: 37.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 37.

[3]- ينظر: ناديا أنجيليسكو، الاستشراق والحوار الثقافي، الشارقة، دار الثقافة والاعلام، 1999، ص: 27-34.

ومنه فعلي بن ابراهيم النملة تحدث عن نفور المستشرقين من هذه التسمية، فقد شكل هذا المصطلح في حد ذاته عقدة للمستشرقين، ومن ساهم في هذه العقدة نظرة المفكرين العرب والمسلمين للاستشراق وتصديهم له بالنقد والمواجهة والرفض لما أنتجته هذه الدراسات من تشوهات، للحياة الفكرية العربية الإسلامية.

وفي ضوء هذا الكلام فقد رفض الاسشتراق من قبل أصحابة يقول أندري ميكيل**(Andere Mqale)**في حواره مع أحمد الشيخ "أعتبر أن نقد الاستشراق لايثيرني كما أنني لست مستهدفا،أنا أحاول القيام بعملي بصورة موضوعية لنقد الاستشراق لسبب بسيط وهو أنني لست مستشرقا.

فأندري ميكيل لايرغب في أن يطلق عليه أحد اسم المستشرق، أو أن يدرج في حركة الاستشراق، فهو يؤكد في عدة أقوال رددها أني لست مستشرقا، اهتمامي يدور حول اللغة والأدب العربين وبصفة خاصة الكلاسيكي أي حتى القرن التاسع عشر، فأنا مختص في اللغة والأدب العربيين، فأنا أفضل أن يطلقوا علي لفظ مستعرب أكثر من مستشرق.

ويعترف أندري ميكيل أنه عندما ذهب إلى الشرق تكونت لديه صورة سيئة عنه والتي أدركها من خلال بعض المستشرقين ولكنه تعمق ودرس اللغة العربية وعايش واقع الشرق والعرب،فقال "منذ هذه اللحظات تغير موقفي لأنني أصبحت مباشرة، أمام واقع حضارة وليس صورة عنها، فلا توجد أية علاقة بين الصورة التي أدركتها بنفسي، من خلال هذه النصوص وواقع هذه الحضارة"[1]، ومن المعروف أن أندري ميكيل لايرغب فيأن يطلق عليه أحد اسم مستشرق أو حتى أن ينطوي تحت راية حركة الاستشراق، رغم أنه أحد الوجوه البارزة في حركة الاستشراق الغربية.

ومن أمثلة الالتفات على الاستشراق في الدراسات الغربية للشرق الإسلامي"هذا التحول لدى عدد من المستشرقين من الإستشراق إلى الانثروبولوجيا من خلال العناية بالممارسات اليومية للمسلمين لاسيما

[1]– أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، ص: 86-88.

مافيها ربط بالأحكام الشرعية يؤيد ذلك انشغال رهط من المستشرقين بعلم الاجتماع والانثروبولوجيا حيث يذكر عدد من المستشرقين المنصفين على أنهم علماء في الاجتماع أو الانثروبولوجيا"[1].

ويقول فضل شلق "يظن بعضهم أن الاسشراق انتهى، ربما كان ذلك صحيحا، إذا كان المقصود الاستشراق المؤسس على الدراسات اللغوية، وقد كان طبيعيا أن تكون اللغة هي المدخل، لكن دراسة حضارات الشرق وثقافته تطورت وتشبعت وتناولت شتى نواحي الحياة،فيه ولم تفلح محاولات الهروب من تاريخانية الاستشراق"[2].

يقول النملة في قضية نهاية الاستشراق لأن هذا الأمر مجرد حديث فالمسألة ليس بهذه البساطة "فالحركة الاستشراقية لاتزال متماسكة وقوية ومنظمة، ولاتزال جمعيات المستشرقين ومؤتمراتهم المختلفة تمارس نشاطها ومعاهد الاستشراق منتشرة اليوم في أغلب الجامعات الأوربية والأمريكية"[3]، ومازالت هذه الحركة تمارس جميع نشاطاتها وتسير مصالحها في الشرق كله لذا فلا يستطيع الغرب التخلي عن هذه الحركة التي هي سبب نهضة التطور الأوربي.

وهنا نقف على قول المفكر العربي محمود حمدي زقزوق في كتابه الاستشراق والخلفية الثقافية للصراع الحضاري في تأييد فكرة مواصلة هذه الحركة الاسشتراقية لأعمالها فيقول "تغلغل المصالح الغربية في بلدان العالم الإسلامي، وخصوصا في بلاد الشرق الأوسط، الأمر الذي يجعل هذه المصالح تساند الحركة الاستشراقية التي تقدم بدورها للجهات المعنية في الغرب، مختلف الدراسات عن بلدان العالم الإسلامي وبالاضافة إلى ذلك كله فإن مجالات التخصص قد تعددت وهذا يعني إثراء الدراسات الاستشراقية التي لا قضاء عليها[4].

ومنه فالحركة الاستشراقية مازالت تنمو وتزداد على حد اليوم، فالإصدارات الاستشراقية مازالت تصدر وتخدم المصالح الغربية.

---

[1]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 169.

[2]- المرجع نفسه، ص: 139.

[3]- المرجع نفسه، ص: 155.

[4]- ينظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، (ط2)، ص: 52-53.

ونجد مستشرق آخر فرنسي وهو جاك توبي**(Jack Toby)**يقول "لست مستشرقا ولكني مؤرخ للعلاقات الدولية وفي هذا الإطار أرخت للمنطقة العربية في فترة محددة"[1]، فهو يرفض أن يلقب بمستشرق ويسعى أن يلقب بمؤرخ الشرق.

"وفي مؤتمر المستشرقين الأخير الذي عقد عام 1974م في باريس ثم الاتفاق على إبطال استخدام هذا المصطلح وكان في هذا المؤتمر متخصصون، في لغات وآداب مجتمعات متنوعة من الشرق أي تخصصوا في الدراسات العربية واليابانية والصينية وبتالي فإن كلمة مستشرق،أو استشراق لاتعني في الواقع شيئا على أنه مصطلح نسبي، فالاستشراق بالنسبة لنا يعني موضة ثقافية معينة، أخذت ملامحها من الاهتمام بأشياء الشرق وظواهره[2]، فإن كثيرا من المستشرقين يتهربون من مصطلح الاستشراق لأنه لم يكتسب سمعة طيبة وكثير من المشتغلين بالشرق يفضلون أي تسمية، عدا إطلاق المستشرق إلتفافا على المصطلح والتهرب من المصطلح لايعفي من استمرار التمسك بالمضمون.

ويضيف الباحث محمد خليفة حسن في قضية التنصل للمصطلح "وأكد على لجوء المستشرقين إلى تسميات أخرى لاتخرج عن المضمون، مثل أن يقال عن المستشرق إنه متخصص في الدراسات الإسلامية أوالهندية أوالأفريقية أو اليابانية أو العربية أو المصرية أو الآشورية"[3].

كما أن بعض المستشرقين يحبذون تسمية أنفسهم بالتخصص الذي تخصصوا فيه إنَما هي "عند بعض المستشرقين المعاصرين، محاولة للتركيز على تخصص معين دخل الاستشراق، وتاليا الرغبة في أن يسموا باسم التخصص الدقيق الذي يعملون فيه، بدلا من التخصص العام وهو الاستشراق وهو اتجاه يمثل نزعة إلى التخصصية على الأخص مع اتساع مجالات الاستشراق، وتغطية لكل شعوب الشرق على مستويات الدين والحضارة والسياسة، والاجتماع والاقتصاد والأدب والفن...إلخ"[4].

وذلك لأن الفكر الاستشراقي متهم، بأنه أسهم في إقامة شراكة غير متساوية،بين الشرق والغرب لايكاد يفلت منها باحث في الغرب حتى لو لم يكن مستشرقا "معنى هذا أن كل فكر غربي، هو في العلاقة

---

[1]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 160.

[2]- المرجع نفسه، ص: 74.

[3]- محمد خليفة حسن: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص: 27. نقلا عن علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 156.

[4]- المرجع نفسه، ص: 27. نقلا:المرجع نفسه، ص: 156.

بالشرق فكر استشراقي، لأنه ينظر في الشرق بعين هذا الفكر، ولأن الشرق هذا هو شرق الاستشراق، لاالشرق نفسه"[1].

وهنا يتسائل النملة لماذا يتهرب المستشرقون لاسيما الجدد من مصطلح الاستشراق؟ولماذا لايرغبون في أن يقال عن هم أنهم مستشرقون، ويحبذون أن يقال عنهم أي شيئ سوى ذلك؟

ونستشهد بالمستشرق برناند لويس(**Lewis Bernard**) الذي يمقت مصطلح الاستشراق ويدعو إلى رميه في زبالة التاريخ وأنه أصحبت كلمة مستشرق منذ الآن فصاعدا ملوثة ويقول أيضا وهكذا تم رمي مصطلح "المستشرق"في مزبلة التاريخولكن المزابل ليست أماكن مضمونة ولانهائية،فالواقع أن كلمتي "مستشرق"و"استشراق"اللتين رميتا من قبل العلماء بصفتهما لاجدوى منهما قد استعادا من جديد ووظفتها ضمن معنى مختلف:أي ككلمتين تدلان على الشتيمة والمماحكة الجدالية[2].

"لايخلو الأمر والحال هذا من وجود نماذج من المستشرقين كانوا صريحين في رفض تسميتهم مستشرقين، ويفضلون أن يسموا بما تخصصوا به أكثر من فروع الدراسات الشرقية دون ذكر مصطلح الاستشراق أو المستشرقين في التسمية أو التصنيف المعرفي لهم"[3].

فمثلا عالم الإسلاميات جون أسبوزيتو، الذي بات لايقبل أن يقال عنه إنه مستشرق لما توحي الكلمةبهمن معنى غير مقبول في الاوساط العلمية والفكرية العربية والإسلامية[4].

ويقول المستشرقون بصفة عامة أن أخطاء الاستشراق ليست جريمة وأن الحصيلة النهائية لإنتاج المستشرقين هي حصيلة غير إجابية عل الرغم مافيها من هنات وسلبيات[5].

فلقد شكل هذا المصطلح مفهوما مشؤوما لدى العالم العربي "اتسم بها الفكر العربي والإسلامي قد وفقت إلى تعرية الاستشراق وبيان ماحمل، من ضرر على الفكر في إجماله، وبتالي كانت هناك أطروحات قوية وقفت في وجه الاستشراق والمستشرقين، كان من ضمنها المناظرات والمحاورات، مما أدى في ضوء ذلك

[1]– مهدي عامل: هل القلب للشرق والعقل للغرب، ماركس في استشراق، ادوارد سعيد، 2006، (ط3)، ص: 9– 10.

[2]– ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 154–155.

[3]– علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 118.

[4]– علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 169.

[5]– أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، ص: 8.

إلى تلقيص النفوذ الاستشراقي، ثم توجه المستشرقين إلى العلوم الأخرى بجانبها الإعلامي"[1]، وهذا ما سوف يطل علية الإعلام الاستشراقي أي صبغ المصطلح بلون آخر.

ولكن قد لايروق هذا التغير في الاسم بعض المستشرقين "الذين لايزالون يتمسكون بالمصطلح المطلق "الاستشراق"دونما تقييده بأي صفة، فقد ظهر من ينعت الاستشراق الأصيل بالاستشراق التقليدي أو ربما يعبر عنه بالاستشراق الكلاسيكي"[2]، هناك بعض المستشرقين من يحبذون هذا المصطلح ويتفاخرون بحمله، ويفضلون تصنيفهم أونعتهم بهذه الصفة.

فالاستشراق الكلاسكي وأفكار المستشرقين كانت القاعدة الأولى للاستشراق المتجدد وماهو معروف بالاستشراق السياسي[3]،كما أن بعض المستشرقين المعاصرين اعتمدوا على الاستشراق القديم، فيصقل أفكارهموهذا ماأدى إلى تراكم الأخطاء وصعوبة فهم الإسلام، فالاستشراق يظل عملا إنسانيا ومنتوجا بشريا، فمن الطبيعي سوف يكون محكوما بأفكار أصحابة، فالاستشراق هو إنتاج الغرب موضوعه ومادته الشرق.

وفي محاضرة ألقاها النملة يقر بأن هناك استشراق متجدد وأن القديم بدأ بالزوال بسبب (تعدد المناهج، وتخلفها فقدان الخصوصية وغيرها من العوامل...).

إذ يمكن القول أن الاستشراق التفت حول نفسه ويعيد ترتيب أوراقه لما هو مناسب وذلك لمناقشة العلاقة بين الغرب والشرق "إن الاستشراق المتجدد مافتئ يسعى إلى الخروج من عباءة الاستشراق القديم، ويسعى كذلك إلى تقديم نفسه للعرب والمسلمين على أنه لايحمل أوزار المستشرقين التقلديين الذين يرى العرب فيهم أنهم في معظمهم، لم يكونوا منصفين للاسلام والمسلمين"[4] .

فالتف المستشرقون لهذا المصطلح "وربما إلتفات فريق منهم على المصطلح والتبرؤ منه، لما شعروا بأنه لم يعد يحظى بالقبول لدى الفئة المستفيدة غالبا من إسهامات الاستشراق والمستشرقين"[5].

---

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 156.

[2]– المرجع نفسه، ص: 156-157.

[3]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 65.

[4]– علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 98.

[5]– المرجع نفسه، ص: 86.

إضافة إلى بعض الاتهامات والصور المزيفة عن العالم العربي الإسلامي وحتى صورة الشخص العربي المسلم الذي كتبت في شأنه الكثير من الكتب "فقد وصف المستشرقون المجتمعات العربية الإسلامية، بأنهم مجتمع بدائي جاهل، لصوص يعيشون تحت الخيام يربون الجمال، ولكن هذه الأوصاف عدل عنها المستشرقون المحدثون، لأنهم يدركون أنها أوصاف سريعة لم يعد لها سوق، في البحوث والدراسات العميقة"[1].

كانت هناك نهضة فكرية علمية، عربية إسلامية واستشراقية مناهضة للاستشراق في وجه القاتم تمثلت في كثرة الردود على المستشرقين، فيما أسهموا به من دراسات وتحقيق وغيره، مما أصبغ على مصطلح الإستشراق ومصطلح المستشرق مدلولاسلبيا ففكرة التخلي عن الاستشراق كانت من حيث المصطلح أي الشكل لكن المضمون باقي فلايستطيعون التخلي عنه لأن محوره الأساسي للاسلام فهم سعو لرفض المصطلح وعدم الانتساب إليه.

ونجد إبراهيم النملة قد أفرد في كتابه مسارات الاستشراق، عنوان نهاية الاستشراق إلا أن كثيرا من الباحثين في الشأن الاستشراقي لايؤمنون بنهاية هذه الحركة كونها لها أصول وقواعد ومبادئ ومدارس وأساتذة "والاستشراق أقرب إلى تقليص النفوذ، بدلا من القول إنه انتهى تماما، مصطلحا ومفهوما، فلايظهر أنه انتهى لاهذا ولاذاك، ولايظهر أنه سينتهى، على اعتبار أن الإسلام المدروس نفسه أولا مايزال جانب جذبللباحثين، عن أثر هذا الدين وما يتعرض له من تلاطم الآراء والأفكار، بين الايجابي والسلبي وأن منطقة المسلمين تشهد على الدوام فيما يبدووتغيرات تثير العالم المعاصر"[2].

وهنا يطرح السؤال هل لايزال الاستشراق يعيش الآن عصر الازدهار، أم نجمه بدأ يأفل وتأثيره بدأ يقل ويتضاءل؟ فقد حاول كثير من المستشرقين التنصل والهروب من المصطلح نظرا لما يحمله من معاني وأفكار "فبعض المستشرقين المعاصرين يحاولون الالتفات على مصطلح الاستشراق والمستشرق ويستبدلون بهما مصطلحات قد تكون أكثر خصوصية من المصطلح الأعم، داخله فيه دخول الخاص في العام أو دخول الأخص في الأعم"[3]، وكما أسلفنا سابقا أن المدرسة الألمانية تعد من المدارس المنصفة إتجاه العالم

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 238.
[2]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 139.
[3]- المرجع نفسه، ص: 11.

العربي الإسلامي "مصطلح الاستشراق لم يعد يستعمل في ألمانيا، اليوم بعد صدور كتاب إدوارد سعيد الاستشراق إذ المصطلح المستعمل اليوم في ألمانيا على حد قول من يقول هذا هو الاستعراب والدراسات الإسلامية"[1].

وأهم ما يؤخذ عن الاستشراق من وجهة نظر إسلامية، هو التمسك المستشرقين بالأساليب الاستشراقية البالية، في فهم الإسلام وتناوله، والروح العدائية التي تحملها دراساتهم حول الإسلام، تلك الروح التي لاتزال مسيطرة على غالبية علماء الإسلاميات من المستشرقين.

ومن سمات الالتفات على المصطلح (الاستشراق) توجه معظم المستشرقين إلى العلوم الأخرى، بجانبها الاجتماعي لاسيما الأنثروبولوجي، مما ولد مصطلحا جديدا قد يصدق عليه اسم الاستشراق الجديد أو بتسمية أدق الاستشراق المتجدد[2].

فحديث علي بن ابراهيم النملة عن نهاية الاستشراق ليسبالأمر الحتمي، والمسألة ليست بالبساطة، ولايمكن القول بأن الحركة الاستشراقية بدأت تنحسر،بل هي مازالت متماسكة وقوية ومنظمة، وهذا نظرا لتغلغل المصالح الغربية في بلدان العالم الإسلامي كما وقد ظهرت أجيال جديدة تسير على الدرب نفسه، وتترسم خطى السابقين، ومزال الغرب بحاجة إلى الاستشراق لذا سيظل قائما.

فقد كان للاستشراق أثره الايجابي والسلبي، في الفكر العربي الإسلاميمنذ أن انطلق في بداياته من الأديرة والكنائس "مما جعل قسطا من هذا الأثر لايخدم الفكر الإسلامي والعلوم الإسلامية، فأدى هذا المنحى إلى وقوف العرب والمسلمين، علماء مفكرين في مواجهة هذا الأثر السلبي للإستشراق،لاسيما ماله علاقة مباشرة بالتعاطي مع الحضارة والثقافة الإسلامية ومقدرين تلك الآثار الايجابية التي قدمها الاستشراق للثقافة الإسلامية[3].

فهذا التوجه إلى تحرير المصطلح إلى مصطلح آخر هو أمر مقبول عموما لأن لهذه الكلمة تأثيرا جد قوي على نفسية المسلم العربي لاسيما فيما يخص الدين الإسلامي فقد طعنوا فيه كثيرا والإسلام ديننا السماوي المقدس.

---

[1]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 116.

[2]- المرجع نفسه، ص: 141.

[3]- علي بن ابراهيم النملة: الالتفات على الاستشراق ومحاولة التنصل من المصطلح، ص: 10.

فإذا كان الاستشراق من محددات العلاقة بين الشرق والغرب،فإن الملحوظ هو تقهقر وجود المستشرقين في المحافل الفكرية والأدبية والثقافية.

فالردود الفكرية العربية جعلت المستشرق غير مرحب به فكونوا المؤتمرالذي أشرنا إليه سابقا في باريس لرمي المصطلح في مزبلة التاريخ فالاستشراق ظاهرة وليس علما لأن العلم له نظرياته ومقوماته فقد أنتج المفكرون العرب والمسلمون دراسات وكم هائل من الكتب والمجلات كانت كرد فعل لظاهرة الاستشراق وسنغوض في هذا الأمر فيما بعد.

لقد حكمنا على الاستشراق حسب مسببات وجوده، ودوافع اختراعه وأهداف منطلقاته، وهذا يعني كذلك التأكيد على الابتعاد عن التعميم، في الحكم على الاستشراق بهذه الصورة التي تزخر بها،كثير من المراجع العربية التي تصدت لنقد الاستشراق، من منطلقات فكرية أكثر من كونها موضوعية[1]،نجد أن غالية المفكرين العرب نقدوا الاستشراق من منظور ذاتي على العكس من علي بن ابراهيم النملة الذي يدعو إلى الموضوعية في الحكم على المستشرقين وأعمالهم وهوفي هذا يقول "وأدين بهذا التروي في الحكم، على الاستشراق لهؤلاء العلماء والباحثين الكرام فلهم مني جزيل الشكر"[2].

لابد من التوكيد على أن النبرة العامة لدى كثير من الباحثين العرب والمسلمين، لنقد الاستشراق تركز في أنه ظاهرة لم تكن إيجابية في انطلاقها، مع التراث العربي الإسلامي، وأن هذه النبرة التي توارثها رهط من الكتاب العرب والمسلمين، المعنيين بالثقافة الإسلامية، لم تكن في مجملها موضوعية في حكمها على الاستشراق وهم في هذا لا يصدرون من فراغ بل جاء هذا الحكم التعميمي، على الدراسات الاستشراقية بعد استقراء غالبية هذه الدراسات[3]،إن هذه الموجات الاستشراقية كان هدفها الهجوم على العقل العربي والتراث الإسلامي، وهذا ماتضح في أطروحات الغرب.

وبما أن موضوع الاسشتراق، قد شغل بالنا وأهمنا وقوبل بالنقد فقد "حاول بعض المستشرقين أن يغيروا من المصطلح بالالتفات عليه، والتنصل منه هروبا من مؤداه غير الحسن،لدى العرب والمسلمين،

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 85.

[2]– علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 11.

[3]– ينظر: علي بن ابراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 31.

ومهما حاول بعض أبناء العروبة والإسلام التقليل من الشأن الاستشراقي"[1]، إلاأننا نجد النملة متمسكا بموقفه ودعوته بالموضوعية في النقد، فهو يشيد بالذين تروو في اتخاذ موقف من الاستشراق.

لأنه يرفض الانتقادات الغير موضوعية والتي لم تبنى على أسس واضحة، بمجرد سماع الاستشراق نهجم عليه ونصفه بالتيار المعادي للاسلام،ونربطه بالجاسوسية، والتنصير والاستعمار، لأن هناك مستشرقون صبروا وتحملوا عناء البحث في التراث العربي، ومنهم من دافع عن الإسلام.

ومن هذا المنطلق في ضعف التفريق، بين الاستشراقات يمكن أن يستنتج المتابع، أن معظم النقد السلبي للاستشراق، إذا كان لابد من الترتيب،إنما ينصب على الاستشراقات الثلاثة، الاستشراق الاحتلالي، الاستشراق الساسي، والاستشراق المتصهين، ثم يأتي الاستشراق الديني أوالتنصيري، في مرتبة رابعة وهذه الأقسام الأربعة ليست هي الاستشراق كله[2]،إذن لم يقتصر النشاط الاستشراقي، أونشاط الدراسات العربية والإسلامية الغربية على العالم العربي على هذه الأقسام الأربعة ويبين النملة "أن هناك احتمال وجود طرفين متناقضين بين المستشرقين، أحدهما يعمل على تجسير بين الثقافات، والآخر يعمل على افتعال الكراهية بين الثقافات، وهذا أمر متوقع في شأن واسع الاهتمامات، متشعب الارتباطات،كالشأن الاستشراقي"[3].

فالاستشراق مفهوم غير واضح المعالم لدى كثير من المفكرين العرب والمسلمين، وتعتمدقوة الحديث عنه على منطلقات المتحدث الفكرية، ونجد في هذا الصدد أن المنطلقات الفكرية متعددة متفاوتة، فهناك من ينظر إلى هذا المفهوم نظرة الاعجاب التي تصل أحيانا إلى الانبهار، وهناك النظرة الرافضة لكل مايأتي عن هذا المفهوم، مهما اصطبغ بالصبغة العلمية إلى درجة التشكيك في إهتداء من اهتدى من أصحاب هذا المفهوم، لاسيما بعض من المستشرقين قد تظاهروا بالاهتداء، ربما قصدا إلى تحقيق أغراض غير علمية على أحوط الأحكام[4]، فأراء المفكرين العرب نابعة من ثقافة كاملة تقوم على مجموعة معتقدات ومعايير.

أما الرؤية العربية للاستشراقفجدها متناقضة وغير واضحة، وفي نفس الوقت متداخلة مع بعضها البعض و"يعاني الانتاج الفكري العربي، في مجال الاستشراق في مجمله من ضعف الموضوعية والتجرد في

[1]- علي بن ابراهيم النملة: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، ص: 10-11.

[2]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة، الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، بيسان للنشر والتوزيع، 2001، (ط1)، ص: 07.

[3]- المرجع نفسه، ص: 31.

[4]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 17.

معالجة هذا المفهوم، ويبرز هذا أحيانا في عناوين الكتب والمقالات المنشورة، ناهيك عن الدخول في المعالجات، هذا عدا عن أعمال محدودة حاولت التجرد، ولكنّها وقعت في محاذير لم تكن قد رسمتها دوافع لدراستها، أومنطلقات لها"[1]،فالإنتاج الفكري العربي في مجال الاستشراق محدود ومتداخل ويعاني من الضعف ولايلمس جوانب الاستشراق.

فقد نبه العديد من الباحثين على ضرورة استيعاب التيار الاستشراقي، ومنه فعلي بن ابراهيم النملة نجده معترفا بجهود المستشرقين وفي هذا يقول "لابد من الاعتراف بأن للمستشرقين جهودا في التعامل مع المعلومات الإسلامية التراثية والمعاصرة، وإن كان اهتمامهم بالتراث المكتوب أكثر وضوحا، والذي يبدو أن الدوافع والأهداف لهذا الاهتمام الاستشراقي أضحت واضحة لذوي الاهتمام والمتابعة، ولهذا فإن هذه الوقفة لن تهتم بالعودة إلى هذه الدوافع والأهداف، مع التوكيد على أن الاستشراق يعد اليوم مصدرا فاعلا من مصادر المعلومات عن الإسلام والمسلمين[2]، لعب الاستشراق دورا مؤثرا لايمكن إغفاله فقد وضعوا منهجية كاملة للبحث والتحقيق، فالدراسات الاستشراقية أضحت جزءا لايتجزأ من الدراسات العربية الإسلامية، ولايمكن أن ينكر ذلك.

وهويؤكد على فضل المستشرقين "اهتم المستشرقون بالتراث الإسلامي، فحفظوا مخطوطاته ونشروا أجزاءا لا بأس به منها وحققوا بعضها وترجموا بعضا منها، ودرسوا العالم الإسلامي في قرونه الأولى، وأضحت هذه الجهود كلها شائعة بين الباحثين العرب والمسلمين"[3]، وقد ظهر على هذه الساحة كثير من المستشرقين المفتتنين بحضارة الشرق والعالم الإسلامي والتراث العربي.

ولنكون أكثر دقة نبرز بعضا من أعمالهم التي لاحصر لها مثلا أن المعلقات قد ترجمت إلى أكثر من لغة، وأن الحديث النبوي الشريف قد فهرسته مجموعة من المستشرقين، وأن معاني القرآن الكريم قد ترجمت إلى أكثر من مئة وإحدى وعشرين لغة وغيرها من الانجازات والكثير من المستشرقين طبيعة فريدة في البحث في العلوم والمعارف[4]، ولهذا العمل تجدر الإشارة لقول علي بن ابراهيم النملة "كل هذه الجهود تفرض

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 20.
[2]- المرجع نفسه، ص: 235.
[3]- المرجع نفسه، ص: 235.
[4]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 244.

الاحترام، وبالتالي تفرض القبول للدرسات التي قام بها هولاء"[1]، فعلي بن ابراهيم النملة يبرز الدور الذي لعبه المستشرقون وجهودهم لبيان الدور الحضاري الذي لعبه الاستشراق، لذا وجب التعامل مع الاستشراق بالعدل.

وممن يساند النملة في رأيه الدكتور أحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي فهويشيد لأعمال المستشرقين على حد قوله "وأصدروا المجلات وجمعوا المخطوطات، ثم كتبوا البحوث القيمة في تحقيق الألفاظ وتحرير الأصول، وتصحيح الأخطاء وكشف المجهول على الأسلوب العلمي الصحيح، والمنهاج المنطقي الحديث، فكانوا قدرة لمعلمي اللغة ومؤرخي الأدب، من العرب في تحضير المادة، وتنظيم البحث وتوخي الدقة وتحري الصواب وتقصي الفروع"[2]، فقد استيقظ في نفوس الغرب لاسيما الباحثين منهم طموح البحث عن المعرفة والكمال الإنساني فطلبوالعلم وبحثوا عنه متخلين عن أنفس شئ موجود في حياتهم فلم يجدوا هذا الطموح إلا في بلاد العرب خصوصا والشرق عموما.

أما عن أخطائهم فإن هناك من يعدها ويعترف بها ولكنه يراها أخطاء بشرية، مثل تلك الأخطاء التي يقع فيها أي بشر على أي صعيد كان[3]،وهذا أمر معقول فكلنا معرضون للأخطاء، لقد انتهى كثير من المستشرقون في بحوثهم إلى عدة نتائج خاطئة والسبب هو لابد من مراعاة الترابط الوثيق بين شتى العوامل والمؤثرات السياسية والنفسية والفكرية للمستشرقين أنفسهم، الأمر الذي أدى بدوره إلى وجود كثير من الأخطاء وتراكمها في بحوث المستشرقين.

وفي هذا الجانب يقول أحد الباحثين في مجال الاستشراق علينا ألا نضع المستشرقين جميعا في سلة واحدة فالخطابات الصادرة عن ثقافة الغرب لايمكن قرائتها بعين واحدة، فالغرب ليس كتلة واحدة وإنما تشكلت ثقافاتها من تيارات وقناعات ومناهج عديدة، وبالتالي فإن مواقفهم من شؤوننا وتكويناتنا الثقافية ومفرداتها ليست واحدة[4]، إذن هناك إزدواجية في التعامل مع الحضارة العربية أي نقبل مايطور ونرفض مايضر.

---

[1]- المرجع نفسه، ص: 244.

[2]- أحمد حسن الزيات: تاريخ الأدب العربي، ص: 514.

[3]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 244.

[4]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 85.

وفي سياق هذا الكلام نستشهد بقول محمد ألتونجي وهوضليع في الأدب المقارن "إلى جانب عدد كبير من المستشرقين في روسية، وإيطالية،والنمسة،إسبانيا، والولايات المتحدة، ولم يشتهر واحد من المستشرقين إلا بعد أن خدم العربية، ونشر مؤلفاتها ودراساته عنها، وقد اتسمت كتبهم بالدقة والمنهجية والتحقيق، مما نفتقر إليه أحيانا، كما تهيأت لهم ظروف ساعدت على نشر مؤلفاتهم وتحقيقاتهم،أهمها راحة البال،والاطمئنان الفكري، والسخاء المالي الذي كانت دولهم تبذلها لهم، كما أن تلامذتهم العرب لم يقصروا،ولم يألوا جهدا في خدمة الكتاب والموضوع، بشكل كادوا أن يصلوا إلى المستوى الذي بلغه أساتذتهم"[1]،فالنتاج الثقافي العربي الذي شمل المبادئ الاجتماعية والأخلاقية والدينية والسياسية، فكانت بفعل الانفتاح العالم العربي على العالم الغربي، وهو انفتاح متبادل وفي موضع آخر يقول عمر لطفي العالم عندما عرب كتاب حركة الاستشراق ليوهان فوك "ليس من العدل أن ننظر نظرة متهجمة، ونأخذ الكل بجريرة البعض، سواء ماكان منه بدافع التعصب الديني أوالطمع الاستعماري أو الغلو المنهجي، فكما وجد من بين هؤلاء من قذف العربية واتهمها بالعجز وقصر الأداء، وجد أيضا من شغف بها واستبسل في الدفاع عنها، بل واتخذ من شعرها الغزلي هدية لعروسه في يوم زفافها"[2].

هذه النظرة السلبية للاستشراق لاتلغ جهود كثيرمن المستشرقين المنصفين الجادين من جهود محمودة حسنة الاسهام في حفظ التراث العربي الإسلاميودراسته ونشره وتحقيقه وترجمته.

وهكذا نشطت آداب الأمم المختلفة لاسيما العربية وحتى في جميع مراحل حياتها التاريخية فركزوا على شكلها وحتى مضمونها وشحنوها بأفكار تقدمية وتجديدية أدت إلى تقدم الأدب العربي وحتى أنها فاقت أدب الغرب في ذلك من حيث المعارف والعلوم لأن الأدب العربي ركد حوالي خمسة قرون فلم يدرس ولم يبدع فيه فجمدت عقول كثير من الأدباء "ولكن رياح الثقافة الغربية هبت على الشرق، فأحيت مواته، وأعادته إلى جذوره الحياة وثبتت فروعه بدعائم راسخة،وخاف لفيف من الأدباء على الأدب العربي من هجمة الغرب أن تذوب شخصيته وتزول معالمه وتغدو أمة ضائعة"[3].

---

[1]– محمد ألتونجي: الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت، 1995، (ط1)، ص: 217.

[2]– ينظر: يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، ص: 10. نقلا عن علي بن براهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 85.

[3]– محمد ألتونجي: الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت، 1995، (ط1)، ص: 207.

إن هذا الاهتمام الكبير بالتراث العربي من قبل المستشرقين والأفراد والهيئات والحكومات الغربية فنجد كثيرا من الأدباء والمفكرين العرب الذين رحبوا بعملهم هذا"رحبت بالإنتاج الاستشراقي، ونظرت إليه على أنه نصر جديد لهذا التراث حيث رزق من يدرسه دراسة متأنية"[1].

إذن فالاستشراق كان هدفه المعرفة الأساسية وكذا الفضول المعرفي لدراسة الأداب العربية الإسلامية والمجتمعات التي أنتجت هذه الآداب والحضارة الإسلامية.

وكما هو ملاحظ فقد كان للأديب الجزائري عبد الجليل مرتاض رأي حول ماقدمه المستشرقون وفي هذا الصدد يقول"ليس كل ما خلفه هذا الطاقم الاستشراقي نحسا أومغرضا في حق اللغة العربية، إذ هنا جملة من المستشرقين لم يقصروا على دراسة العربية ونشرها وبعث وتحقيق تراثها، وحسب بل تجردوا من كل ذاتية وعرقية وبينوا ما لهذه اللغة من بصمات علمية ولسانية مؤثرة في لغات هندو أوربية"[2]، فهو يعترف بما قدمه الاستشراق للغة العربية وآدابها، وأن اللغة العربية، هي المستفيد الأكبر لكلما قدمه الاستشراق.

ويوضح لنا أن الاسشراق الجديد والمتأخر لم يكن كسابقة القديم المعروف بتعصبه "لم يعد لكل المستشرقين المتأخرين غرض إيديولوجي أودافع عرقي للإطلاع على الثقافة العربية الإسلامية، من باب حب الفضول الزائد على ماتقتضيه الرغبة الهائجة في الوقوف السليم على تراث هذه الأمة الخالد،لقد تجاوز هذا الفريق المتنور ذلك المفهوم الضيق (الشرق) الذي ظل ردحا من الزمن، مستحوذا على حركاته وسكناته، مقابل كل ماهو غربي ولاسيما يوم تأكدهم بما تزخر به اللغة العربية[3]،فهنا يتبين أثر وإسهامات وبصمات المستشرقين التي لا يمكن أن ننكرها، فهذا الصرح الاستشراقي له فضل كبير على العالم العربي والإسلامي.

يظل الحديث عن الاستشراق، والمواقف منه حديثا قابل للاختلاف في الأراء بحسب توجه الباحث وموقفه المبيت غالبا من حركة الاستشراق، إيجابا أو سلبيا والموقف السالب هو الغالب في الفكر العربي مما يؤكد استحالة الحياد العلمي، وإن نحا الباحثون إلى الموضوعية والتجرد[4]، لقد هيمن على الإدراك العربي

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 243.

[2]- عبد الجليل مرتاض: في رحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، (ط2)، ص: 199.

[3]- عبد الجليل مرتاض: في رحاب اللغة العربية، ص: 204.

[4]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 27.

الموقف السلبي الصريح، اتجاه الاستشراق على الرغم بأن هناك تصورات وانطباعات فكرية غربية خلقت قولبة على العام والخاص.

ثانيا: في مواجهة الاستشراق بالاستغراب

نظرا لما حققه الاستشراق على الساحة العربية والإسلامية، وكذا تأثيره البالغ على المفكرين العرب، فقد حاولو التصدي والرد على الاستشراق بمفهوم أومصطلح سمي بالاستغراب لكن ليس بنفس الطريقة التي انتهجها الباحثون الغرب.

فكثرت الردود والوقفات وقام مفكرون عرب بتقسيم الغرب إلى أدنى، والأوسط والأقصى مثل ما قسموا عالم الشرق "ويدخل هذا التقسيم في محاولات السعي إلى فهم الغرب ثقافيا من منطلق مفهومالاستغراب، كما هو امتداد ولو محدود جدا لأثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية"[1].

فنظرا لتبعات الاستشراق في العالم العربي الإسلامي، حاول مفكرون عرب دراسة الحضارة الغربية، ولربما الرد على شبهات كثير من المستشرقين وذلك باستحداث علم همه دراسة الغرب ومعرفة أغواره، عن طريق الاستغراب والذي ذكرنا سابقا على أنه محدد من محددات العلاقة بين الشرق والغرب.

فنتج عن هذا ظهور حركة إسلامية نقدية لأعمال المستشرقين، وبدأ المسلمون يتعاملون مع الاستشراق تعاملا علميا ينتقدون سلبياته ويعترفون بإيجابياته، ويشتركون في مؤتمرات المستشرقين، وبدأ ظهور بعض الشخصيات العلمية المسلمة في الجامعات الغربية ومراكز بحوثها، وهم بلا شك يسهمون في تغيير الصورة الاستشراقية التقليدية عن الإسلام والمسلمين[2]، فقد انقلب الميزان وأصبح الغرب هو الموضوع المدروس، وظهرت بنية الوعي العربي وتفكيره والذي تكون عبر حضارته.

فالاستشراق يسعى إلى تغيير الصورة القبلية المتعارف عليها "فتأتي الالتفافة إلى واقع اليوم، ومحاولة الانعتاق من الارتباطبتلك المدد التي خدم فيها الاستشراق حركات لم تكن إيجابية مع المجتمع المسلم، كالاحتلال والتنصير،بحيث ينظر إلى الاستشراق من خلال صورته الحاضرة ويقوَّم بموجب معطياته الحاضرة واهتماماته الآنية، التي قد لاتخلو من معاضدة للامبريالية والهيمنة والعولمة وغيرها من التيارات التي ماتزال تعمل في الساحة، وهذا مما يعد نقلة نوعية معاصرة في هذا المسار"[3].

---

[1]- أحمد علي الملا: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، دار الفكر، دمشق، 1981، (ط2)، ص: 239.

[2]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 88.

[3]- المرجع نفسه، ص: 90.

"قام بعض المفكرون العرب المعاصرون، إلى أن يدعو إلى قيام، علم الاستغراب، فانبرى الدكتور حسن حنفي ونشر كتابا ضخما في مجلد واحد سنة (1412هـ-1992م) بعنوان في علم الاستغراب"[1]، فجاء هذا العلم ليواجه الاستشراق الذي هدد استقلالنا الحضاري وتغلغل في شتى حياتنا الفكرية والثقافية والاجتماعية...إذن فعلم الاستغراب يهدف إلى بلورة الفكر العربي وجعله علم الاستشراق.

"هذا الأسلوب في الرد على المستشرقين والحوار معهم، يتطلب تظافرا لجهودالهيئات والمؤسسات العلمية الإسلامية، بحيث تقيم جبهة علمية، تكون مهمتها جمع ما كتبه المستشرقون عنالإسلام والمسلمين ومن ثم تكلف من يقوم بقراءة ذلك، والبحث فيه والرد عليه بلغة كاتبه أو كتّابه، ولو دعا الأمر إلى كتابة الكتب بدلا من المقالات، إذ إن بعض الموضوعات عند الكتابة عنها تحتاج إلى أكثر من مقالة، في سبيل إقناع المعنيين بالأمر ببطلانها وعدم علميتها أو موضوعيتها"[2]، هذا مايتمناه النملة حتى يكون الرد جديا مبنيا على قواعد مستندا على مؤسسات تدعمه.

وهناك مصطلح آخر لابد من التعريج عليه هوالاستعراب،الذي يهتم فقط بدراسة علوم العرب "لعل أن الدقة العلمية أن نفرق بين الاستشراق والاستعراب، والذي يبدو هنا أن الاستعراب ينصب على الاهتمام بالعرب ولا يمكن الاهتمام بالعرب بعد البعثة،المحمدية من دون الاهتمام بالدين، الذي نقله العرب إلى بقية العالم، وإذا كان هناك إصرار على الاستعراب فيمكن أن ينصب على الاهتمام بحياة العرب قبل الإسلام وحضارتهم وثقافتهم وآدابهم وتقاليدهم وأساطيرهم ومعتقداتهم قبل الإسلام".

أما الاستعراب في نظر أحمد سمايلوفيتش فهو فرع من فروع الاستشراق فالاستعراب هوعلم خاص يختص بدراسة العرب وما يتصل بهم من حضارة وآداب، ومبلغ تأثيرهم في غيرهم وتأثرهم بسواهم، وله مؤتمراته حيث تقدم الابحاث وتعقد الندوات، أما المفهوم العلمي فهو أن الاستغراب علم يختص بدراسة حياة العرب ومايتعلق بهم،منحضارة وآداب ولغة وتاريخ وفلسفات، وأديان وله أصوله وفروعه، ومدارسه وخصائصه وأصحابه وأتباعه ومنهجه وفلسفته وتاريخه وأهدافه،وأما المستعرب فهو العالم بالعرب وبالأدب العربي[3].

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 188.

[2]- علي بن ابراهيم النملة:كنه الاستشراق، ص: 250.

[3]- ينظر: أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص: 32.

ومن هنا يتضح لنا أن الاستعراب والاستشراق متدخلان وحتى يمكن أن نقول أنهما متكاملان وذلكلأن المستعرب في دراسته للعرب سوف ينطلق في دراسته أثناء وبعد بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى العرب فبذلك لايستطيع أن يفصل العرب عن علاقتهم بالإسلام وبهذا نستشف أن الاستشراق والاستعراب متدخلان متكاملين.

1- تعريف الاستغراب:

"وعليه يمكن أن ينظر إلى الاستغراب، على أنه الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض، من الاستشراق فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا(الشرق)من خلال الآخر (الغرب)،فيهدف علم الاستغراب أذن لفك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والأخر، والجدل مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر"[1]، فالاستغراب هو طريقة لفهم الغرب ولدته عدة عوامل اجتماعية ونفسية وتاريخية.

وأهم كتاب يعالج هذا الطرح(الاستغراب) كتاب أحمد الشيخ "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب"، "لقد بدأ عندنا نقد الاستشراق، بصورة رئيسية من منظور إسلامي، وذلك لأسباب عديدة، منها الصراع العقائدي ودفاع مفكري الإسلام عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وعقائد الإسلام لأن الاستشراق الغربي ترك بصمات واضحة لاتنمحي من الذاكرة العربية الإسلامية، مليئة بالمزاعم والافتراءات اتجاه الدين الإسلامي بدءا بكتابات مصطفى السباعي "في الإسلام والمستشرقين، ومحمد البهي في الفكر الإسلامي وصلته بالاستعمار الغربي[2].

الاستغراب يسعى إلى معرفة ما لدى الغرب،والتعريف به (العلوم، والاداب، والمعتقدات...)ولكن "لم ينل هذا المصطلح الاستغراب العناية التي يستحقها، وظل جانب معرفة الآخر قاصرا، لدى جمع من المثقفين الذين يرغبون في توسيع أفاقهم، وفتح مجالات للحوار بين الثقافات"[3]، ومنه نستنتج أن الساحة العربية الفكرية سعت للحوار مع الآخر والرد عليه، حسب ما يقتضي الأمر.

---

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، (ط3)، ص: 23.

[2]- ينظر: أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، حوار الاستشراق، الناشر المركز العربي للدراسات الغربية، 1999، (ط1)، ص: 60.

[3]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 196.

"وليس الاستغراب أو غربلوجيا، هو التعامل مع الأخر بمنطلق نفسه الذي تعامل فيه الآخر مع المسلمين، ذلك أن منطلقات المسلمين نفسها، تمنع من ذلك"[1]، وذلك لأن الاستشراق انطلق بدافع ديني استعماري هو الطعن في معتقدات المسلمين، فالاستغراب على العكس من ذلك فهو مدفوع بدوافع علمية، ولتصحيح بعض الأفكار الغربية والغالطات، فكوننا مسلمون،فنحن نحترم الديانات الأخرى ونؤمن بها.

ونستشهد بقول النملة "وهذا العلم الذي يكشف الآخر، كشفا موضوعيا مبنيا على التحليل العلمي، والثقافي والاجتماعي، والانثروبولوجي والاثنوجرافي،والسياسي، والاقتصادي وذلك للوصول إلى رؤية واضحة نحو التعامل مع الآخر"[2].

فالاستغراب هو نظرة مفكري العرب الى الغرب وهذا الأمر لايتحدد بالموقع الجغرافي فالجهة لاتؤثر على الموضوع ولاعلى طبيعة الدراسة"ومن هذا المنطلق فإن الاستغراب يدرس الدين السائد في الغرب كذلك، وهو هنا النصرانية أولا ثم اليهودية، ويأتي الإسلام ليطغى على اليهودية من حيث العدد، وقد يطغى على النصرانية في المستقبل"[3].

وبتالي يمكن القول لأن نقد الاستشراق، على حد رأي النملة هو نوع الاستغراب ولكن تجدر العودة إلى دوافع هذا النقد "فإن كان من الدوافع الغيرة، على الدين والمجتمع، المسلم فإن عدم الولاء لهذه الدراسات وارد ومطلوب"[4]، على أنه لابد أثناء نقدنالدراستنا للغرب أن نعتمد على منطلقات،تقوم على علو النقد الموضوعي البناء الذي يبين الايجابات، كما يظهر السلبيات ولا يتعمد التعمية والإهانة والجريح وكذا الجناية على الحضارة الغربية أي يكون موضوعيا بعيدا عن الذاتية.

ولقد بدأ أدبائنا العرب الكتابة في ميدان الاستغراب ومنهم أحمد الشيخ في كتابه من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق وهذا "كتاب متميز في طرحه عن الاستشراق يقوم على حوار مباشر مع ثلة من المستشرقين، ومن في حكمهم من التغربيين العرب والمسلمين، الذين أقاموا في

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 191.
[2]- المرجع نفسه، ص: 192.
[3]- المرجع نفسه، ص: 198.
[4]- المرجع نفسه، ص: 202.

الغرب وتبنوا الفكر الاستشراقي، حول الإسلام والمسلمين"[1]، وكذلك دعوة حسن حنفي في كتابه الضخم المسمى مقدمة في علم الاستغراب.

ومن هذا المنطلق يكون المفكرون العرب قد انتفضت قريحته الأدبية "قد بدأو يطرقون أبواب الاستغراب بعد دعوات عدة لدراسة الغرب،في ثقافته وعاداته وتقاليده وآدابه"[2]، إذن فالاستغراب يعني دراسات علمية وفكرية وثقافية للغرب.

ومن هنا نستنتج أن للاستشراق طريقته في الدراسة والبحث وللاستغراب طريقته كذلك يمكن القول أن المفكرون العرب لم يقوموا بالدور الكافي لدراسة الاستشراق وذلك "وإن ظاهرة عدم وجود دراسات شرقية للغرب لايعني بالضرورة تقصير النقاد، بقدرما هو صعوبة العلاقة بين الشرق والغرب التي يربطها التوتر والنزاع وكذا الحروب والاستعمار إلا أنَه هناك محاولات جادة لايمكن إنكارها من طرف مفكرين عرب ومسلمين.

"أننا لدينا فعلا محاولات للاستغراب، لايمكن إنكارها أو التقليل من شأنها، وإن هذا المحاولات كانت تشكل بداية موفقة في زمن رفاعه رافع الطهطاوي في مصر، وقبل في تركيا السفير العثماني محمد أفندي، في فرنسا حيث ألف كتابا في الاستغراب هو "جنة المشركين" سجل فيه عادات وتقاليد المجتمع الفرنسي كما درس الأنظمة الإدارية والسياسية والفكرية"[3].

إلتقى أحمد الشيخ مع محمد أركون وتحاور معه حول قضية الاستشراق ومن الملاحظ أنه يعترف بأنه رد على المستشرقين انطلاقا من الواقع المعاش وفي هذا الصدد يقول "أن أرد على مناهج المستشرقين في دراسة الفكر الإسلامي بصفة عامة،وموقفي مما يخص جمع الثقافة العربية الإسلامية هو موقف جزائري تربي في الجزائر تكون في الجزائر "فهو عاش في الجزائر وترعرع في ظل الاستعمار وأنه عندما سافر إلى باريس اتسع فكره الغربي أما رأيه الشخصي إتجاه الاستشراق فيقول "أن مانطلق عليه الاستشراق هو في حقيقة

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 196.

[2]- المرجع نفسه، ص: 197.

[3]- أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، 1999، (ط1)، ص: 9.

الأمر حركة علمية هامشية في المجتمعات الغربية وهذا ما أذكر وأكرر في جميع كتبي ومحاضراتي في الجامعات الغربية والعربية"[1].

ونجد علي بن ابراهيم يوضح لنا كيف تكون الطريق الصحيحة لدراسة الغرب "ولعل الأجدر من ذلك كله أن يدرس هؤلاء من جوانب كثيرة، تبدأ بدراسة لغاتهم وطرق تفكيرهم وأسلوب بحثهم، بحيث يتمكن المرء الدارس لهذا كله أن يكتب لهم عنهم، ردا عليهم بأسلوب تفكيرهم، متبعا بذلك الموضوعية التامة، التي لم يتبعوها، إذ إنه سيجد نفسه أمام حقائق، وهم يرون أنفسهم أمام نظريات، ويكتب لهم عنهم بلغاتهم، وينشر عنهم بصحفهم ومجلاتهم ودورياتهم، مثيرا قضايا أثاروها، مستشهدا بأعمال كتبوها، ردا على نظريات وضعوها وصاغوها"[2]،فالفكر الغربي ينتشر في أماكن واسعة في العالم، وهذا الفكر له جذورممتدة في التاريخ، وشكل هذا الفكر الغربي تحديا كبيرا أمام الفكر الإسلامي لذا وجب فهمه.

ويرى آخر "أن الرد على هؤلاء المستشرقين بالعربية لم يكن مجديا، وإن السكوت عنهم دلالة عجز،كما إن التهجم وإلقاء التهم بلا نهج لايقنع القارئ الغربي، فعلى الباحث أن يتسلح بلغات حية (الفرنسية، الالمانية الانجلزية) ويقرأ أراء المستشرقين هذه اللغات، ويفندهم بهذه اللغات التي عادة ما يكتب فيها المستشرقون"[3].

فإن رفض الظاهرة الاستشراقية،لابد أن تعتمد على أقيسة منطقية أوقرائن يتم الاستدلال عليها في عملية النقد والواقع المثالي لدراسة الغرب هو اتباع منهج قويم أثناء التحليل حتى تكون دراستنا دراسة علمية مقنعة قائمة على المقارنة فيما يستحق ذلك.

المفكر العربي علي بن ابراهيم النملة يدعو إلى الدراسة العلمية والموضوعية في دراسة التيار الاستشراقي، فهو معجب بالأسلوب والطريقة التي اتبعوها في دراسة الشرق وخدموا بذلك بلدانهم "إذ إنهم لم يتركوا جانبا من جوانب الثرات الإسلامي لم يكن لهم عليه ملحوظة،ولم يسلم منهم عالم من علماء الإسلام والمسلمين، لم يقدحوا في علميته، بدءا بالبخاري ومسلم وأصحاب الصحاح والسنن، مرورا بعلماء

[1]– أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق، ص: 64.

[2]– علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 247.

[3]– رواء محمود حسين: نقد الاستشراق، مناقشة حول الكلام والفلسفة، دار ناشري للنشر والتوزيع، ص: 170.

الطبيعة والطب والاجتماع والآداب واللغة والجغرافيا والتاريخ فقد شجع النملة على الحوار بين الثقافات والتروي في إصدار الأحكام.

ونجد فئة من المفكرين العرب، لها طريقة في دراسة كتابات المستشرقين "تأخذ هذه المجموعة من الاسهامات العلمية والفكرية، وتعرف خلفياتها ومنطلقها فتدرسها، ثم ترد عليها وتوضح للآخرين مواقع، الخطأ فيها وتبرز لهم مواطن الضعف وأسباب هذا الضعف ودوافعه"[1]، لقد تحكم أدباء العرب في المعرفة الغربية، والمحصلة أن هناك موقف ليس بالرافض الكلي للفكر الغربي ولا متقبلا له جزئيا، ولاغارقا فيه إنما يجمع الظواهر ويحدد طبيعتها.

والدليل الذي يستدل به هولاء المفكرون العرب أن جل كتابات المستشرقين، قد عمت وصار لها وجود ولها رواد ومفكرون ومصدقون، فهي لم تقف عند إسهامات فردية من مجموعة من علماء الغرب،ولكنها إسهامات جماعية وفردية في آن واحد تدعمها مؤسسات علمية كبرى، كالجامعات والهيئات العلمية الكبرى والهيئات البحثية الخيرية[2].

ويظل مصطلح الاستغراب مصطلحا، لم يأخذ حظه من الدراسة، فقد فتح الكاتب أحمد الشيخ بابا في الدراسة كما ذكرنا سابقا من خلال كتابه حوار الاستشراق وأعجب النملة به في قوله تضمن هذا الكتاب "أطروحات جيدة حول هذا المفهوم، لا يملك المتابع لها أن يخفي إعجابه بها، وإن كان قد لا يتفق معها دائما، ولكنه الحوار الهادئ العميق الذي يجذب القارئ إليه ويتيح له هامشا، كبيرا من التأمل والتفكر ولعله لايخفى على القارئ استمرار المتعة بهذا الطرح، والافادة منه في ملاحقة ظاهرة الاستشراق"[3]، فنجد النملة متناولا الاستشراق في عدة أشكال ووقف على الوعي الحضاري الغربي وتداعياته الفكرية.

وهذاالكتاب في غاية الأهمية لمن يعينهم الاستشراق، والدعوة إلى الردود عليه، فيما بدأ يطرح الآن على أنه دعوة إلى قيام علم الاستغراب أوظاهرة الاستغراب التي يرجى ألا تكون مجرد فعل رد فعل بظاهرة الاستشراق، والتي تكونت منذ أكثر من سبع مئة سنة على أقل تقدير وتعرضت، تعرضت لتقلبات عديدة بحسب ما تعرض له المجتمع المسلم من تقلبات عديدة، بحسب ما تعرض له المجتمع المسلم من تقلبات،

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 240.
[2]- المرجع نفسه، ص: 240.
[3]- المرجع نفسه، ص: 203.

بدءا بالحروب الصلبية ثم الاحتلال تم التنصير[1]، لذا وجب علينا أن نقوم بهذا العمل وهو الاستغراب تهيأ الظروف بتشكيل هيئات تسهر على هذه المهمة والقيام بالندوات والمؤتمرات، وكذا إنشاء المجلات والكتب.

وعليه فتفنيد ونقد ماجاء به الاستشراق، يستوجب دراسته والاحاطة به والرد عليه لايكون إلا على الأساس الذي قام هو عليه، فقد شكل هذا النوع من النقد "جدلا حول الخدمات التي قدمها الاستشراق، للتراث الإسلامي، والثقافة الإسلامية في مقابل تلك الخدمات، التي خدم بها الاستشراق المصالح الغربية الدينية، وحتى الاحتلالية والسياسية والاجتماعية، وكون الاستشراق في مجمله عونا، على بسط الهيمنة الغربية بمختلف أشكالها على العالم الآخر غير العربي الإسلامي"[2]،فالمؤسسة الاستشراقية التي خاضها كثير من المستشرقين، قد سخروا أقلامهم وأغراضهم لخدمة مصالحهم المعروفة في ربوع العالم الإسلامي.

ولانستطيع أن نمر بمفهوم الاستغراب، نعرج على رأي المفكر الكبير في عالم الاستشراق، وهو أحمد سمايلوفيتش إذيقول "لقد وددت لو استغربنا كما استشرقوا، ووددت لو تتبعنا آثارهم ومخترعاتهم الفائقة الوصف، ونقلناها إلى اللغة العربية، ولم نكتنف بدرسها في لغاتهم فلو فعلنا ذلك، لأغنينا اللغة العربية وأمددنا النشء الجديد، بكل أنواع الثقافات الحديثة مع التبحر في العلوم والفنون"[3]، فمن خلال حديثه هذا نستنتج أن أحمد سمايلوفيتش يسعى لإيجاد شبيه لدي الشرقين ليجاروا به الغربيين فقد أشار سمايلوفيتش إلى أن العرب قاموا بمجهود سعيا لدراسة الغرب وفي هذا الصدد يقول "حقا إن العرب قد اهتموا اهتماما بالغا في العصر الحديث بحضارة الغرب وآدابها، فأرسلوا البعثات إلى المعاهد ومراكزه العلمية، وقاموا بترجمة كثير من الكتب والدراسات، والمؤلفات ونشرها ونقدها، ومع ذلك فإنه من الصعوبة بمكان أن يقطع أحد بوجود علم الاستغراب له كيانه ومنهجه ومدارسه وأهدافه، وأصحابه وأتباعه، أوأنه علم أبلى رجاله في فهم حضارة الغرب بمثل ما أبلى المستشرقون في فهم الحضارات الشرقية"[4].

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 203-204.

[2]- ينظر: خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأمريكي، دار الفكر، دمشق، 2004، ص: 248.

[3]- أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 35.

[4]- المرجع نفسه، ص: 35.

وقد أشار أحمد سمايلوفيتش إلى معنى الاستغراب فكلمة الاستغراب مأخوذة من كلمة غرب وكلمة غرب تعني أصلا مغرب الشمس، وبناء على هذا يكون الاستغراب هو علم الغرب، ومن هنا يمكن كذلك تحديد كلمة المستغرب وهو الذي تبحر من أهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها إذن فالاستغراب هو دراسة العالم العربي الإسلامي للفكر الغربي والثقافته بكل حمولاتها[1]، وعلم الاستغراب كانت له محاولات كثيرة قام بها مفكرون عرب، أمثال مالك بن نبي، عباس محمود العقاد وغيرهما ...

فقد أشار الكاتب نور الدين مسعودان إلى أن مالك بن نبي يعد من المستغربين في قوله"إن مالك بن نبي –أحد كبار أقطاب (الاستغراب) والذي قضى قسطا كبيرا من عمره محتكا بالمجتمع الغربي، ومفكريه وفلاسفته علم أن الديمقراطية الغربية متخلفة في جانبها التطبيقي، وإن كان يرى الأخذ بإيجابياتها المنسجمة مع الإسلام، لقد علم أن الإنسان في الغرب ينتخب تحت تأثير الأجهزة الإعلامية والدعائية الفاعلة والمؤثرات ماظهر منها وما بطن الجلية والخفية"[2]، فمالك تأثر بالثقافةالأجنبية وتأثر بما يخدم به مجتمعه فهو مزيج بين الثقافتين الغربية والشرقية.

وكما شاهدنا سابقا أن المستشرقين قسموا الشرق، إلى أقصى أدنى،أوسط، فاهتموا بالبعد الجهوي على حساب البعد الفكري، فوجب هذا الأمر على المستغربين تقسيم الغرب وقياسا على الشرق.

قسم الغرب من حيث موقفه الثقافي من الشرق إلى ثلاثة أقسام "الغرب الأدنى ويشمل روسيا وتركيا الأوربية، البلقان أو أوربا الشرقية، كما كانت تسمى وفيه غالبية مسلمة،الغرب الأوسط ويشمل دول أوربا الغربية، ولهذا التقسيم نظرته الشعبية السلبية التراكمية، للشرق ونظرته المصلحية الرسمية مع الشرق لكن ساسته، يغلبون المصالح ويراعون الجوار، الغرب الأقصى ويشمل شمال أمريكا ووسطها وجنوبها، ولهذا التقسيم الثالث نظرته الشعبية الايجابية، ونظرته الرسمية السلبية الآنية مع الشرق وهي تختلف عن نظرة الغرب الاوسط"[3]، فقد قسم الغرب إلى ثلاثة أقسام حتى تسهل مهمة الدراسة وتتضح الرؤية فكما نعلم جزءا كبيرا من العالم الغربي مسلم، لعل تقويما للغرب يكون منطقيا خاليا من الهفوات والأخطاء.

[1]– أحمد سمايلوفيتش: فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، ص: 36.

[2]– نور الدين مسعودان: مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار النون، (دط)، (دت)، ص: 106.

[3]– ينظر: صلاح عبد الرزاق: المفكرون الغربيون المسلمون، دوافع اعتناقهم الإسلام،ج2، دار الهادي، بيروت، 2005، ص: 269.

ويؤكد أحمد عمايرة، أن الذي أوقع كثيرا من المستشرقين في الخطأ أنهم يقيسون الأمور بموازين مختلفة إلى حد كبير عن مقاييسنا، بل إن إختلاف المقاييس هو الذي أوقع كثيرا من المستشرقين في الخطأ،كما أوقعنا ذلك في خطأ مقابل حين أقدمنا على تقويم أعمالهم دون معرفة كافية،بطبيعة منا هجهم ومستلزماتها، والاستنتاجات المترتبة عليها[1]، فالاستشراق مظهر من مظاهر الثقافة الغربية لهاصيت كبير.

والمستشرق مكسيم رودنسون يؤكد أن النقد الأوربي بمافيه النقد الاستشراقي للعرب والمسلمون، ربما يكون غير عادل في نقاط معينة، لأنه يقول أن المستشرقين لايرون في الشرق إلا مايردونه رؤيته فيه،فكان اهتمامهم منصبا على الأشياء الصغيرة، والغريبة، ولو يكن من أهدافهم تطوير الشرق[2]، ومنه لم يكن الاستشراق يوما علما مبرأ من الأسبقيات المعرفية، أو منزه عن المآرب الغربية الاستعمارية، كما يرى ذلك عدد من دارسيه ومنتقديه.

وعليه فنجد أن الرد على الحركة الاستشراقية من طرف مفكري العرب بالأخص على الاستشراق القديم، فقد قوبل بموجة كبيرة من الردود على شبهات ودعاوى المستشرقين ومن أدوات هذا الرد الكتب وإعداد المجلات والدراسات والمقالات والبرامج الاذاعية والتليفزيونية وذلك لدحض وتفنيد أقوالهم ومزاعمهم وهذا ما أكده الباحث في الشأن الاستشراقي أحمد الشيخ، بأن الاستشراق القديم لقي من الرد كثيرا من طرف مفكري العرب والمسلمين لأنه لامس الدين الإسلامي ولكنه ينتقد هولاء المفكرين لأنهم لم ينقدوا الاستشراق الجديد الذي تخلص من ثياب الاستشراق القديم وآثر أن يكون له ثوبه الخاص به فقال"إن الاستشراق الجديد لم يجد المساحة النقدية التي يستحقها ضمن الكتابات الرئيسية لأعلام النقد"[3].

فهو يعيب على الناقدين لأنهم لم يتبحروا في الاستشراق الجديد والذي تباينت الأراء حول أنه فعلا تجدد وغير أسلوبه أم أنه قديم غير فقط كنيته "ربما يجد القارئ بعض الاشارات العابرة عن جاك بيرك، وأندري ميكيل، ومكسيم رودنسون، في دراسة أنور عبد المالك، وربما نجد بعض الاشارات السريعة لهم في كتاب إدوارد سعيد لكن دون أن يتجاوز هذا الأمر نطاق الاشارات العابرة، ودون أن نجد صورة شاملة عن

[1]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 55.
[2]- ينظر: محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، الدوحة، 1984، ص: 116-125.
[3]- أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، ص: 7.

حركة الاستشراق الجديد، وأجياله ومدارسه ومناهجه"[1]، فالاستشراق الجديد لم يحض باهتمام ونقد مثلما بلغ نقد القديم في ثقافتنا العربية الإسلامية.

فنقد الاستشراق لم يعد يقتصر على تفنيد أراء بعض المستشرقين، المتعصبيين أوإظهار العلاقة الخفية بين سلطة الاستشراق، وسلطة السياسة المباشرة، وصار يحمل معه توجهات لها ملامحها البارزة وآثارها في رؤيتنا للآخرين ولأنفسنا في آن واحد[2].

"فالاستغراب هو المصطلح الذي يسعى إلى معرفة ما لدى الغرب والتعريف به، ولم ينل مصطلح الاستغراب العناية التي يستحقها، وظل جانب معرفة الآخر قاصرا لدى جمع من المثقفين، الذين يرغبون في توسيع آفاقهم وفتح مجالات للحوار بين الثقافات"[3]،فقد أفرد في كتابه الاستغراب المنهج في فهمنا للغرب، واستنتج أن الاستغراب علم جديد ظاهره،وقديم في باطنه وقديم قدم العلاقة التي تربط بين العالم العربي الإسلامي والغربي.

وفي هذا الشأن يقول جان دي جاك واردنبرغ"ماإن أبدى المستشرقون الغربيون اهتماما بالحضارة والدين الإسلاميين، حتى بدأ العلماء المسلمون يطورون إهتماما متزايدا في التاريخ المشترك بين العالمين الإسلامي والغربي...فبعد بضعة روايات لرحلات خلال العصر الوسيط اكتشف،الأتراك العثمانيون والعرب وطلاب من دول إسلامية يدرسون في أوربا الثقافة الأوربية، وتابع هذا الاهتمام باحثون متخصصون، أظهر مفكرون مسلمون مسبقا –خلال العصر الوسيط– اهتماما معينا في الثقافات والأديان الأخرى غير الإسلامية"[4].

ويوضح المؤلف علي بن ابراهيم النملة في كتابه مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف أن الحركة الاستشراقية قد مرت على ستة طرق وأولها "التفات الغرب نفسه للتراث العربي الإسلامي ونقله من مواطنه وترجمة بعضه ونشر بعضه، ودراسة بعضه، وحفظ بعضه، فتولدت من هذا المسار حركة الاستشراق ثانيا إلتفات العرب والمسلمين إلى النقد الموضوعي لإسهامات المستشرقين، السابقين والمعاصرين للتراث

[1]– أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب، ص: 7.
[2]– المرجع نفسه، ص: 7.
[3]– علي بن ابراهيم النملة: علاقة الشرق والغرب، ص: 196.
[4]– علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 104.

العربي وتاريخه وحاضره، ثالثا التفات العرب والمسلمين أنفسهم إلى تراثهم بالدراسة والتحقيق والنشر والحفظ بصورة أوسع مما كانت عليه من قبل، رابعا التفات الاستشراق نفسه إلى ذاته، واعتماده النقد الذاتي، واعادة ترتيب أوراقه بما يلائم الحال القائمة، خامسا التفات العرب والمسلمين إلى فهم الغرب من حيث تفكيره وتطلعاته ومواقفه من الأمم الأخرى، وأخذ هذا المسار مفهوم الاستغراب، أما سادسا فهو التفات المستشرقين على مصطلح الاستشراق واللجوء إلى تفتيت الاستشراق وتشتيت مهماته على حقول المعرفة الكبرى[1].

إن الساحة الفكرية العلمية العربية تسعى جاهدة لفهم الآخر (الغرب) من زوايا كثيرة ومعرفة الآخر تسمى استغرابا وهذا الأمر تداوله الكثير من المفكرين فمنهم من اعترف بوجود هذا العلم (الاستغراب) ومنهم من لم يقتنع بهذه الفكرة إلا أننا نجد النملة يشير إلى قضية الاستغراب فقد توجه الأدباء العرب والمفكرون لدراسة الغرب "التفات العرب والمسلمين إلى النقد الموضوعي لإسهامات المستشرقين السابقين والمعاصرين للتراث العربي وتاريخه وحاضره، من خلال الدراسات العلمية المنهجية الموضوعية بالردود المتواصلة، وتشخيص المفهوم والندوات والمؤتمرات وبتسليط طلبة الدراسات العليا في التاريخ والحضارة والثقافة الإسلامية، وقليل جدا من أقسام الدراسات الاستشراقية القليلة في بعض الجامعات الإسلامية، لنقد الاستشراق والمستشرقين، نقدا موضوعيا بحيث أصبح النقد أكثر ميلا إلى النظرة العلمية القائمة، على نقض الرأي بالحجة ورد الشبهات بالبرهان، في مسار هادئ بعيد عن التشنج وإطلاق الأحكام المسبقة والألفاظ غير المقبولة علميا، كما جرت عليه العادة في بعض الاسهامات الذاتية التي تعبر عن رؤى شخصية، من خلال تلك النظرة السلبية الشمولية للاستشراق على أنه بعمومه معول من معاول هدم الإسلام"[2].

ومنه نستنتج أن الاستغراب ربما لم يكن عادلا في بعض المواقف، فنجد أن عدد من الأدباء العرب والمسلمين حاولوا دراسة الغرب لغرض واحد وهو الرد وتفيد رؤى المستشرقين نحو ماقالوه عن العالم العربي الإسلامي بصورة نوعا ما في غضب وسخط وحقد على مخلفات الاستشراق أما على الجهة المقابلة نجد جماعة آثرت النقد الموضوعي لدراسة الغرب وفهم اتجاهاته ومناهجه.

[1]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 79-80.

[2]- المرجع نفسه، ص: 83.

وفي هذا المجال ركز كثير من الكتاب العرب "تأييدا وتفنيدا وتبيانا لدوافع الاستشراق ومنطلقاته من الأديرة والكنائس وأهدافه ووسائله وتحولاته،الفكرية واستمراره أوانتهائه، وكذا في بيان منافع الاستشراق والأضرار، وتفاوتت المواقف والنقاشات من هذا الالتفات الغربي للتراث العربي الإسلامي"[1].

وفي هذا الصدد يقول علي بن ابراهيم النملة "إن الغرب يعاني كذلك من الطرح العربي لصورة الغربي في الدراسات، التي تصدت للاستشراق كما تصدت لصورة العربي، في الاعلام الغربي الذي يبني اليوم حضارة قائمة على العلم والثقافة ويسعى إلى التخلص من خلفياته الدينية والذاتية، ومثل هذا الطرح هو مايمكن أن يصدق عليه بنواة الاستغراب"[2]، هو تصور يعالج بوضوح الفكر الغربي الدائر اليوم جوهرا وخارجا.

المسار الخامس: "التفات العرب والمسلمين إلى دراسة الغرب بأقسامه وبسماته،ولغاته وثقافاته وتطلعاته ومواقفه من الأمم الأخرى، وذلك في دراسات علمية وأكاديمية موضوعية، ومن ثم تكون عادلة ومنصفة وأخذ هذا المسار اسم الاستغراب بالمفهوم العلمي للمصطلح"[3]، فالاستغراب مازال اليوم وسط جدال فكري عربي غربي.

فنلاحظ أن الاستشراق لقي مواجهات كثير من الأوساط العربية الإسلامية فوجهات النظر اختلفت حوله،فقد تلقى ردودا عنيفة ونقد سلبيا إلا أن الكاتب النملة يدعو إلى الموضوعية وفي هذا يقول"بعد كل هذا النقد الذي جعل من الاستشراق تهمة تلاحق أصحابها، ألا يجدر بالبحث العلمي والموضوعي أن يتناول الجوانب الايجابية،للإستشراق بعد أن لعب دورا مهما في الحفاظ على الكثير من تراثنا الثقافي في وقت كان فيه هذا التراث عرضة للضياع والإهمال"[4]، فلولاهم لضاع التراث ومازلنا لحد اليوم نعود ونستعين بالمكتبات الغربية الزاخرة بتراثنا العريق وهذا كله في عقر دارهم.

ويقول حمد القاضي في هذا الشأن إنه مهما وجهت من تهم للاستشراق والمستشرقين، لابد من إنصاف بعضهم وخصوصا أولئك الذين أدوا للتراث العربي الإسلامي، خدمات جليلة، سواء بأبحاثهم

[1]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق، ص: 81.
[2]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 185.
[3]- علي بن ابراهيم النملة: مسارات الاستشراق: ص: 104.
[4]- المرجع نفسه، ص: 86.

العلمية القيمة وتحقيقاتهم للتراث واكتشاف مصادره، ووضع فهارس مهمة يستفيد منها القارئ العربي والغربي في أبحاثه ودراساته[1]، إذن فللاستشراق دور كبير في صناعة الشرق من حيث الناحية الفنية الجمالية.

عموما فالاستغراب هو دراسة وبحث ووقوف علمي على العالم الغربي ومفاهيمه ولكن ليس بنفسالأسلوب الذي انتهجه المستشرقون في دراسة الإسلام والمسلمين وأقصد هنا قضية التشكيك في الرسالة المحمدية وفي القرآن الكريم وغيرها من الأمور المتعلقة بالإسلام، فالمسلمون أصحاب قيم ومبادئ ولايمكن أن نمس الديانة المسحية وحتى اليهودية لأنهما ديانتين منزلتين على أنبياء الله موسى وعيسى ولايمكن أن نطعن فيهما لأننا كوننا مسلمون فنحن نؤمن بهم.

[1]- ينظر: محمد القاضي: الاستشراق بين الانصاف والاجحاف، مجلة التاريخ العربي (المغرب)، العدد 26، 2003، ص: 179-208.

ثالثا: رؤية علي بن ابراهيم النملة للتنصير وعلاقته مع الاستشراق

تكلمنا في الفصل الأول عن التنصيرلابد من التفريق بينه بين التبشير وقلنا عنه أنه أحد الدوافع الأساسية للاستشراق، ولكن سنوضح هنا في هذا المبحث رأي علي بن ابراهيم النملة حول التنصير وعلاقة بالاستشراق.

فهو يؤكد على أن هناك ترابط بين الاستشراق والتنصير لاسيما من حيث الأهداف، فالعلاقة قوية بين التنصير والاستشراق وفيها يقول "يمكن القول أن كل منصر موجه إلى المسلمين، يعد مستشرقا وليس بالضرورة العكس فليس كل مستشرق منصرا"[1].

وحيث كتب في هذا الأمر نجيب العقيقي فلقد أدرج كثيرا من المنصير، في قائمة المستشرقين، وأكد على أن طلائع المستشرقين ومعتقداتهم كانت من الكنائس والأديرة[2]، لأن بداية دراسة العام الإسلامي العربي وظهور ماهو معروف بالاستشراق هو الخوف من انتشار الإسلام.

"ومنذ انتشار الإسلام في الأندلس إلى اليوم، والاستشراق يعد عاملا مهما من عوامل تحديد العلاقة، وطبيعتها بين الشرق والغرب، إذ إن غالبية الاستشراق وليس، كله كان سببا ولايزال في قيام فجوة بين الشرق والغرب"[3]، فالاستشراق أثر على بلاد المسلمين قلبا وقالبا.

فالاستشراق والتنصير مكملان لبعضهما البعض، وهذا الأمر قد استفضنا فيه كثيرا"استفاد المستشرقون من المنصرين الميدانين من خلال انطباعاتهم، التي سجلوها وتصيدوها عن المجتمع المسلم الذي عايشوه، فخرجوا منه بهذه الصورة، التي لاتعبر عن الإسلام بقدر ماهي تعبير عن الخرافات عن الإسلام في المجتمع المسلم"[4].

فنرى بعض الباحثين في الاستشراق والمستشرقين يحاولون من خلال استقراءئهم، أن يصنفوا المستشرقين حسب قوة اندفاعهم لتحقيق أغراض التنصير فيسعى من المنصفون من المحللين لحركتي

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 164.
[2]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 110.
[3]- علي بن ابراهيم النملة، الاستشراق بين الشرق والغرب، ص: 167.
[4]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 165.

الاستشراق والتنصير إلى عزل فئة من المستشرقين عن هذه العلاقة الحميمية، في الوقت الذي يقرون فيه وقوع الكثير من المستشرقين في أخطاء مقصودة أوغير مقصودة أفاد منها التنصير.

فالمستشرقون بشر والبشر فيه الموضوعي والسطحي وعموما فالمستشرقون بمجملهم قد عملوا على تحقيق أهداف عدة.

وقد استفاد المنصرون من المستشرقين، كثيرا واستفاد المستشرقون من المنصرين قليلا، ذلك أن فائدة المستشرقين جاءت من خلال الجهود العلميّة التي قاموا بها، لاسيما الدراسات التي قاموا بها حول الإسلام وتراث المسلمين وواقعهم المعاصر، فالاستشراق هو تلك الحركة البحثية التي أطلقها الغرب، وجعل من الشرق وعقائده، وعاداته وثقافته وأخلاقه موضوعا لهذه الحركة البحثية.

فأفرد علي بن ابراهيم النملة عنوان في كتابه الشرق والغربالموسوم بالاستشراق والتنصير، فقد سار الاستشراق والتنصير على خط واحد فيقول في هذا "فإن هناك رابطا قويا بين الاستشراق والتنصير، من حيث التقاء الأهداف وإن اختلفت الوسائل، وإن كانت هذه العلاقة القوية تخفت مع الزمن، فإن ذلك عائد إلى وضوح فكرة الاستشراق لدى المسلمين، والحد من قبولها، بعد ما تبين ارتباطها بالتنصير من جهة وبالتيارات الأخرى الموجهة إلى المسلمين من جهة أخرى، تلك التيارات مثل الاحتلال المنقشع والتغريب المستعمر والصهيونية والماسونية"[1]، فالملاحظ أن الاستشراق ارتبط اسمه بالتنصير وفي هذه الحالة يصبح الاستشراق مصدر ضرر على العالم العربي الإسلامي والمستشرقون منهم المنصفون والمتعصبون ولكل هوى خاص به.

وفي هذا يقول رواء محمود حسين "ينطوي الاستشراق كونه معرفة إنسانية، كما يبين على داخل نفسي يحتويه، لأنه من إنتاج المستشرق نفسه،هو بالتأكيد منفعل بداخله النفسي لأنه يحتويه، أيضا ومن ثم يبدولهذا الداخل أثرا كبيرا في الخارج"[2]، فيتبن كل مايصدر عن المستشرقين هو من مكنوناتهم النفسية.

ويقصد بالاستشراق على رأي النملة هواشتغال غير المسلمين بعلوم المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم،وآدابهم وأساطيرهم وهذا التعريف ألقاه في إحدى المحاضرات، فوجد نوعا من عدم تقبل هذا التعريف، فهناكمحاولات كثيرة لأدباء في تعريف الاستشراق.

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 163.

[2]– رواء محمود حسين: نقد الاستشراق، مناقشة حول الكلام والفلسفة، دار ناشري للنشر الإلكتروني، ص: 20.

وبما أننا نتحدث عن الاستشراق وعلاقته بالتنصير، فلا نستطيع أن بغض الطرف عن الارساليات التبشرية التي كان لها دور كبير في عملية التنصير، "فقد توافد دعاة المسيحية من الأمريكان البروتستانت، وأسسوا جامعة أمريكية في لبنان، ومدرستين أمريكيتين في حلب ودمشق، وتبعهم اليسوعيون والكاثوليك، وأسسوا في سورية ولبنان كذلك جامعة وعدة مدارس وأديرة ومستشفيات، وجعلت هذه الإرساليات،اللغة العربية في أول أمرها اللغة الرسمية لتسهيل عملية نشر تعاليمهم وآدابها"[1]، فللإرساليات التبشرية تأثير كبير على العالم العربي فلقد غذت الأمة العربية بتعاليم الدين المسيحي، وأثرت على فئة كبيرة من الشباب.

ومن هنا نستنتج أنه إذا احتك الاستشراق بالتنصير فإنها يشكلان خطرا على العالم العربي الإسلامي "فيظل الاستشراق في عومه تيارا يسئ إلى الإسلام ويسئ تقديمه للآخرين بقصد غالبا، ومن دون قصد في حالات خاصة، والذين سعوا إلى فهم الإسلام من الغربيين فها صحيحا لم يفهموه، عن طريق الاستشراق بل إنهم تجنبوا إسهامات المستشرقين"[2]، فالتنصير مادته ميدانيةتجريبية، أما الدراسات الاستشراقية فمادتها نظرية تحليلة.

واستفاد المستشرقون من المنصرين الميدانين من خلال إنطباعتهم التي سجلوها وتصيدوها عن المجتمع المسلم الذي عايشوه، فخرجوا منه بهذه الصور التي لاتعبر عن الإسلام بقدر ماهي تعبر عن الخرافات، عن الإسلام في المجتمع المسلم، فعدوها من الإسلام وجعلوا الناس حجة على الدين أخذا بالنظرية الاجتماعية التي تقول إن الدين يِخذ بقدر ما يأخذ الناس منه، الأمر الذي أدى إلى تصنيف الدين ألى جملة من الأديان، فالإسلام عندهم وعند من تأثر بهم، إسلامات وليس إسلاما واحدا، إذ إن هناك عندهم الإسلام الشعبي، والإسلام التقليدي، والإسلام السياسي والإسلام اليساري والإسلام اليميني، والإسلام الوسط والإسلام المتطرف والإسلام العلماني[3]، فقد قسم المستشرقون الإسلام إلى عدة تصنيفات كل من زوايته الخاصة به.

[1]- محمد ألتونجي: الآداب المقارنة، ص: 210.

[2]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 169.

[3]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق والدراسات الإسلامية، مصادر المستشرقين ومصدريتهم، مكتبة التوبة، الرياض، 1998، ص: 262.

ومن زاد من انشار هذه التقسيمات وشيوعها هو تبني أفكارها لمفكرين عرب "ودَعَوهم إلى تصنيف إسلام الاشخاص بحسب ما يظهر عليهم من فرب أوبعد عن الإسلام أوذاك وقد تبنى الأستاذ عبد الجليل الشرفي من دار الجنوب بتونس نشر أعمال عدة حول الإسلام المصنف إلى إسلاميات في سلسلة سماها الإسلام واحدا ومتعددا وتبنت رابطة العقلانين العرب ودار الطليعة بيروت نشر هذه الأعمال وما يأتي بعدها"[1].

كما أن هذا الأمر(تصنيفات الإسلام) تبنته مؤسسات غربية وأعدت له العدة لأنه له علاقة مع المؤسسات السياسية، وكما نعلم أن الاستشراق القديم قد ولى وظهر في عصرنا الحالي ماهو معروف بالاستشراق الجديد أو السياسي وهو أمر محقق على الواقع.

والخلاصة أن هناك رابطة قوية، بين الاستشراق والتنصير فقد عملا إلى بعضها جنبا إلى جنب فالاستشراق عالج الفكر الإسلامي من خلال إضعافه للقيم والمثل الإسلامية وفي المقابل تمجيد وتعظيمه بطرق قد لاتكون مباشرة وذلك لنشر القيم والمثل الغربية المسيحية.

ومن هنا نستنتج أن الاشتشراق ولد غير شرعي من أبويين وهما التنصير الذي خطط والاستعمار الذي نفذ الخطط وبتالي سهرا على رعايته وتغذيته وتسهيل الطريق له وتحقيق مستقبله.

كما أن الاستشراق يعتبر الظاهرة الوحيدة التي تلبست بالعلمية والمنهجية، وسعت بهذا اللباس إلى تحقيق أهداف احتلالية وتنصيرية "ولعل مراكز البحوث المهتمة بالدراسات الإسلامية تسهم في هذا المجال فتوفر المادة العلمية للباحثين وتعينهم على الدراسات، وتعقد المؤتمرات والندوات التي تُقوم جهود المستشرقين وإسهاماتهم، في خدمة التيارات الأخرى كما تبين وقوف بعضهم، موقف الموضح لهذه التيارات وأثرها على العلاقة بين المسلمين والعرب، وتعقد الموازنة بين خدمتهم للاسلام والتراث وجهودهم في خدمة التيارات الأخرى[2]، فيجب أن يدلي المسلمون العرب بدلوهم في هذا الأمر، من أجل أن يساهموا في دعم الجهودالاستشراقية، ولامانع من أن يمد العالم الإسلامي بالمواد العلمية، وذلك لدراسة الإسلام من قرب وذلك لمعرفة الحق من الباطل.

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب، ص: 166.

[2]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 113.

وقد نبه العديد من الباحثين إلى ضرورة استيعاب التيار الاستشراقي الذي خدم، عدة اتجاهات وليس التنصير فقط، فقد قدم خدمات لليهودية "فقد مهد بطريق مباشر أو غير مباشر،لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين وأن الاستشراق في بعض نزعاته لايزال يسعى إلى تسهيل مسألة قبول قيام الوطن القومي لليهود،في فلسطين بين مفكرين الغربيين والمفكرين العرب على حد سواء"[1]، لقد اعتمدت في هذه الدراسة فقط على كتب علي بن ابراهيم النملة لأن رأيه هو الأساس فلقد أحاط بالاستشراق من جهاته ووضح أفكاره وبين معالمه ونظرياته، ويشير الكاتب إلى أن الاستشراق يعد أحد الروافد التي عرف الغرب من خلالها الإسلام إلاأنها معرفة لم تكن في مجملها دقيقة، وسيتبين من هذه الوقفات أن الاستشراق في مهمته، قد اتكأعلى معلومات شعبية غربية قديمة، ذات بعد مسيحي مما كان له الأثر الكبير لهذه الفجوة بين الغرب والإسلام.

[1]- المرجع نفسه، ص: 113.

رابعا: علاقة الاستشراق بالنظام السياسي أو"مايسمى بالاستشراق السياسي"

أفرد علي بن ابراهيم النملة كتابا عن الاستشراق السياسي معنون،الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب وبدأ كتابه بمقولة من عند العلامة عبد العزيز بن باز رحمة الله عليه (الكراهية لاتأتي بالوراثة، بل تأتي بالتربية والتعلم)، ونستنج من هذا القول أن الكره يصتنع ولايورث فهو يريد أن يبين لنا أن الكراهيته الغرب إلى العالم الإسلامي، أمر مفتعل ومصتنع.

فعلي بن ابراهيم النملة ناقش قضايا كثيرة مثل، الاستشراق السياسي واعتبره مؤثر سلبي أكثر من مؤثر إجابي لاسيما في إنشاء العلاقة بين الشرق والغرب.

وهنا نستشهد بقول مالك بن نبي "أن الاستشراق مر بمرحلتين في اكتشاف الفكر الإسلامي، الأولى كانت من أجل إثراء ثقافة أوربا، والمرحلة الثانية العصرية من أجل تعديل سياسي لوضع خططها السياسية مطابقة لما تقتضيه الأوضاع في البلاد الإسلامية[1].

فالبعد السياسي وعلاقتة بالاستشراق أمر حتمي لاسيما في وقتنا الحال فقد ارتبطت كثير من النظريات الاستشراقية بالواقع السياسي لأن السياسة هي الأمر الوحيد الذي يتحكم في العالم "يزعم بعض الدارسين أنه الدافع الأول للاستشراق"[2]، فلقد شمل نشاط المستشرقين مختلف القضايا التي تخص الحكومات العربية، وتدخلوا في الشؤون السياسية التي تهتم بمصالح المسلمين.

وهنا نعود لقضية النقد الاستشراقي وبالأخص نقد الاستشراق السياسي "سبيل التوكيد على ذلك يقتضي الموقف النقدي من ناقدي الاستشراق، أن يكون البعد السياسي حاضرا لديهم من حيث وجود خلفية علمية سياسية كافية، مايحتم القدرة على التحليل السياسي، الأمر الذي لايتحقق بالضرورة لغير المختصين، في العلوم السياسية مما أظهر بعض المفكرين بمن فيهم المشتغلون بنقد الاستشراق، بعض القدرات الفكرية في الخوض في الأبعاد السياسية وهذا يصعب من نقد هكذا بعد من لأبعاد الاستشراق"[3].

[1]- علي بن ابراهيم النملة: كنه الاستشراق، ص: 339.

[2]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2015، (ط5)، ص: 34.

[3]- المرجع نفسه، ص: 48.

سنوضح من سياق هذا البحث ميل الاستشراق الجديد إلى التركيز على البعد السياسي للاستشراق على حساب أبعاد الاستشراق الأخرى، كالبعد الديني، والبعد العلمي، ما أكسبه سمعة غير ايجابية بين المفكرين العرب والمسلمين، وبين بعض المستشرقين الآخرين ظهرت في النبرة التي يواجه بها المنتقدون الاستشراق الجديد[1].

هناك من يظن أن الاستشراق تجدد بصورة أخرى عن الاستشراق الكلاسكي القديم إلا أن فاضل الربيعي يبن هذه الفكرة في قوله "ليس هذا مجال التفرقة بين الاستشراق التقليدي أو الكلاسيكي، والاستشراق الجديد أو المعاصر أو المتجدد، أو مايعبر عنه بعض المفكرين، بما بعد الاستشراق قياسا بمصطلح الحداثة، سوى الميل إلى أنه لافرق يبنهما إلا بالأدوات فقد غير الاستشراق من أدواته،ولم يتغير في مفهوماته"[2]،رغم تغيرالاستشراق لمنهجه ومساره،فلايزال يمثل أسلوبا غربيا للسيطرة على الشرق، وإعادة هيكلته وإمتلاكه ونهب ثرواته لأن التغير كان مجردا من الإطار، من دون أن يلامس المضمون والهدف، فلايمكن للباحث الغربي أن يغير من نفسه في إسقاط الحكم على العرب وينعكس هذا على نتاجه الفكري خاصة التي تتمحور حول دراسة الحضارة الإسلامية من جانبها الديني.

ونستقرأ ماكتبه علي بن ابراهيم النملة في هذا الشأن"يقصر النثر العربي الفعلي الافتراضي، عن نقد الاستشراق السياسي مستقلا في محاولة لعزله عن بقية الاستشراقات، وفيما عدا إسهامات إدوارد سعيد المشهورة في كتابه ضائع الصيت الاستشراق الذي غطى فيه، الجانب الامبريالي من الاستشراق"[3]، فالحديث في هذا المضمار الاستشراقي السياسي يعاني من فتور كثير من الأدباء العرب ويقصد علي بن ابراهيم الاستشراق السياسي الامبريالي المتعلق بأمريكا، اعتمدالاستشراق الجديد على جذور من الاستشراق القديم والاستشراق الجديد كان منبته من أمريكا، فالاستشراق الجديد يشكل ظهيرا ثقافيا وأديولوجيا وذلك لترتيب العالم من منطلق أمريكي.

وفي سياق هذا الكلام فقد تعرض إدوارد سعيد للنقد والتفنيد لكثير من الأطروحات التي وجدت في كتابه المثيل للجدل فكانت ردة الفعل بين مؤيد ورافض لما كتبه، فالمستشرقون كانوا أشد عنفا في الرد

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، ص: 47.

[2]– فاضل الربيعي: خطاب النخبة الثقافية العربية، وأساطير ما بعد الاستشراق، مجلة الجزيرة الثقافية، العدد 175، ص: 8.

[3]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 85.

عليه، الاستشراق وإن أيده بعض المفكرين فيما ذهب إليه فكره فكتابه أثر على المسلمين والعرب وحتى الهنود والصينيون، وكل من عانى من هذه الصورة التمثيلية أي كان جزءا من عملية القمع، فلم يكن كتابه مجرد عمل فكري أدبي بل هوتصوير لما قامت به المستعمرات الامبريالية في حق الشعوب وادوارد سعيد كان قد عايش هذا الواقعفي كتابه هذا ربط الاستشراق بالأمبريالية الأمريكية فيقر أن ماكتبه المستشرقون والغربيون من الخارج وتجربة ادوارد سعيد الشخصية في الشرق غير متطابقان فهم يكتبون أشياءا لم تعكس واقعنا ولاتجاربنا أبدا بصورة صحيحة أومعقولة فقد تمحو الاستشراق على دراسة العقليات والشخصيات والمجتمعات.

"فلقد تعرض ادوارد سعيد لانتقادات لاذعة وتهديدات وضغوطات بطرده من الجامعة، التي يعد من ألمع أساتذتها فقد انتقدوا طرحه للاستشراق من الشرق والغرب،بربطه بالامبريالية على وجه من التعميم"[1].

وهذا الأمر أكده بعض النقاد بأن أول من ركز على الاستشراق السياسي، على المستوى العربي هوالمفكر العربي الفلسطيني الأصل ادوارد سعيد في كتابه المشهور الاستشراق، كما هو الحال لدى عائشة عبد الرحمن ثم يأتي أنور عبد الملك، وعبد الله العروي وحسن حنفي وغيرهم، كنماذج تصدت لأطروحات المستشرقين في نظرتهم إلى العرب والإسلام من زاوية طغى عليها النقاش السياسي، وإصرار بعض المستشرقون على أسلوب إثارة الشبه، هذا مع إختلاف الانطلاقات الفكرية لكل من هؤلاء المذكورين[2].

"ويمكن القول أن أنور عبد الملك وبعده إدوارد سعيد هما اللّذان حركا الاستشراق السياسي، على المستوى العالمي في الزمن المعاصر ومن داخل مناطق الاستشراق السياسي، وأظهرا الاستشراق السياسي على السطح وربطاه ربطا مباشرا بالامبريالية، لاسيما الامبريالية الأمريكية، وعابا على الاستشراق خدمته للاحتلال الأوربي القرنين التاسع عشر والعشرين الميلاديين"[3].

ومع هذا لم يتخل الاستشراق المعاصر عن موضوعات الاستشراق التقليدي المعروفة بدراسة الإسلام ومذاهبه وفرقه ولكن وظفها بما يخدم الاستشراق السياسي إذن فمهة الاستشراق الجديد هو إعادة تحوير

[1]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق الساسي، ص: 24.

[2]- ينظر: نديم الجندي أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، 2005، ص: 9-21.

[3]- علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 23.

الاطروحات الاستشراقية القديمة وتحديثها، فالاستشراق غير الأقنعة تماشيا مع طبيعة المراحل والظروف ولإخلاص للمسلمين من كيده سوى توحيد سياساتهم الثقافية والحضارية، وابتكار أمصال مقاومة لهذه الاختراعات الاستشراقية.

يقول النملة "أن الأهداف الاستشراق مختلفة وإن اتفقت مراميها إلا أن هناك فرقا بين الأهداف الاحتلالية والأهداف السياسية من حيث الديمومة من عدمها"[1]، فهو يرى أن كثير من الأدباء العرب من ربطوا الاستشراق بالسياسية ونقدوه على هذا الأساس.

وفي هذا الصدد يقول رضوان السيد "الاستشراق إذن عند الكثرة الكاثرة، من الكتاب العرب والمسلمين المحدثين، والمعاصرين هوالوجه الأكاديمي أوالمدون للسياسة الاستعمارية في الشرق"[2]، فالاستشراق في حد ذاته له بعد هام من أبعاد الثقافة الحديثة السياسية، فهو الأداة الثقافية المسيطرة للاستعمار.

[1]– علي بن ابراهيم النملة: الاستشراق السياسي، ص: 20.

[2]– رضوان السيد: ثقافة الاستشراق ومصائرة وعلاقات الشرق بالغرب إسهام مهدى لرودي بارت، الفكر العربي، 1983، ص: 17.

خاتمـــة

بعد هذه الجولة القصيرة في رحاب هذا البحث، نأتي إلى نهايته لنختمه، بمجموعة من التوصيات المتوصل إليها، والتي سنوردها في النقاط التالية:

- تمكن الاستشراق من تحقيق إنجازات معرفية، وثقافية وعلمية أثرت بصورة عامة في الشرق، وأسهم في التعريف بالثقافة العربية الإسلامية وتقديمها إلى المجتمعات الغربية والعالم.

- للاستشراق دور بالغ الأهمية في الساحة النقدية العربية، إذ حدد مكانة الفكر الإسلامي وقيمته العظيمة في إطار الفكر العالمي.

- أفاد المستشرقون الثقافة العربية الإسلامية، فائدة جليلة بما نشروا من مؤلفات وكتب، وحفظوا كثيرا من تراثنا القديم مخطوطا ومطبوعا.

- أثار موضوع الاستشراق نقاشات كثيرة وردود فعل متباينة من طرف المفكرين العرب المسلمين فانقسموا إلى فريقين فريق مؤيد وقابل وآخر رافض للاستشراق.

- كان لمالك بن نبي موقف معاد للاستشراق وكل مايصدر عنه ،فهو يحذر من أن الفكر الاستشراقي في معظمه حركة فكرية غربية، مضادة للاسلام والمسلمين، وجب مواجهتها والتصدي لها.

- درس الاستشراق الإسلام بكل صوره،عقيدة وشريعة وفكرا،ونظاما، وحضارة ومصادر وفلسفة .....إلخ.

- استطاع إدوارد سعيد أن يرسم للاستشراق الطريق الذي من أجله خلق في كتابه "الاستشراق"وأظهره في حلته الخبيثة المتنكرة في ثوب المعرفة من أجل توسيع الهيمنة والسيطرة الغربية على الشرق الذي لطالما اعتبره نقيضا لها.

- أما الموقف المؤيد والداعم لهذه الحركة الاستشراقية فهو يتضح عند بعض كتابنا، الذين أخذوا على عاتقهم مهمة الدفاع عن أعراض المستشرقين وتبيان فضلهم في حركة النهضة العربية الحديثة ودورهم في إحياء ثراثنا الحضاري، ومن أبرزهم نجيب العقيقي الذي يبين لنا دور المستشرقين الفعال في إحياء تراثنا الغلمي والأدبي.

- تتبع طه حسين آراء وأفكار المستشرقين فحذا حذوهم في الدراسة والتحليل وأسلوب الشك في صحة القرآن الكريم والأدب الجاهلي فهو الابن البار للاستشراق.

- كان لهذه الحركة الاستشراقية بعض الآثار المفيدة التي تمثلت في إحياء المخطوطات العربية وطبعها وتحقيقها وترجمتها إلى اللغات الأجنبية وفي نفس الوقت، كان لها آثار سيئة كانت من أخطر ما يكون على المسلمين ومنها الغزو الفكري، الذي حول المسلمين إلى مسخ آدمية لاتحمل معنى الإسلام إلا بالإسم، فقد قضى على العادات والتقاليد الإسلامية وكذا التشريعات الدينية.

- يعد علي بن ابراهيم النملة أحد العلماء المهتمين بالاستشراق،حيث أفرد لهذه الظاهرة عدة كتب منها الاستشراق السياسي،كنه الاستشراق،نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية وغيرهم من الكتب،وهو يشير في أحد كتبه أن ظاهرة الاستشراق ستظل موضع جدل وبحث،وهو عمل شائك وشائق والحكم عليه صعب ويحتاج إلى مزيد من الدراسة والبحث،فقد اهتم بالمستشرقين المنصفين وكذا المتعصبين،فالمفكر العربي علي بن ابراهيم هو من أبرز العاملين على المجال الاستشراقي فهو صرح عظيم للمعرفة.

- لذا يجب على كل مثقف من المسلمين أن يضع دراسات المستشرقين في طليعة بحوثه.

الملاحـــق

السير الذاتية للمستشرقين

رودي بارت:Rudi Baret:مستشرق ألماني ترجم القرآن إلى الالمانية، ولد في 3 أفريل 1901م،في الغابة السوداء جنوبي ألمانيا من أسرة كثر فيها القساوسة المسحيون، دخل جامعة توبنجن، فحصل على الدكتوراه 1924م ثم عين مدرسا مساعدا في 1926م، ثم شغل كرسي علوم الإسلام والساميات في جامعة بون ثم سنة 1951م،عين أستاذا للساميات والإسلاميات في جامعة توبنجن حيث أحيل إلى التقاعد 1968م،توفي 1983م،إثر مرض قصير المدة له رسالة"محمد والقرآن"ورسالة أخرى الإسلام والتراث الثقافي اليوناني[1].

بطرس المحترم:Pierre le Venerable:راهب ولاهوتي فرنسي ولد 1092م في اوقرن وسط فرنسا نشأفي دير كلوني، سنة 1120م صار رئيسا لمدير في دومين قام بطرس الملقب بالمحترم بتأليف كتاب في الرد على الإسلام كان ذلك 1143موله كذلك أربعة كتب الأول يبحث في حفظ اليهود والنصارى لكتبهم المقدسة، والثاني يبحث في حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، والقرآن للطعن فيهما، فيما زعم الثالث يتناول فيه خلو حياة النبي صلى الله عليه وسلم من المعجزات ومسألة النبوات والرابع يستمر في هذه المطاعم وفيما يزعمه من أصولها المبتدعة [2]. ومنه انطلقت حركة إصلاح عمت النصرانية الأوربية كما أنه تفرغ في ديره للرد على علماء الجدل المسلمين توفي (1156م).

آسين بلاثيوس Migul Asin Balacios:مستشرق اسباني، ولد في5يوليو1871م،بمدينة سرقسطة شمال مدريد، فأثرت هذة المدينة على حياة بلاثيوس، درس بلاثيوس في مدارس المدينة في مدرسة الأسبكولاييبوس، وأتم دراسته في اليسوعين بنفس المدينة برز في الرياضيات، واللغة اللاتنية، تخرج قسيسا (1895م) في كنيسة سان كيتانوا بسرقسطة[3]، تتلمذ بلاثيوس، على يد خليان ربيرا، تحصل على الدكتوراه من جامعة مدريد بدرجة ممتازة برسالة عن الغزالي، ثم عدلها إلى عنوان الغزالي العقائد،والأخلاق، والزهد ثم شغل كرسي اللغة العربية (1902م) وبهذا ذاع صيته في الاستشراق الدولي فكتب في المجلات الأوربية الاستشراقية، أما قنبلته العلمية الكبرى لما تقدم بلاثيوس ببحث استهلالي بمناسبة تعيينه عضوا في الأكادمية

[1]- ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار الملايين، بيروت، 1993، (ط3)، ص: 62-63.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 111.

[3]- المرجع نفسه، ص: 121.

الملكية الأسبانية، (1979م) بعنوان" الأخرويات الإسلامية في الكوميديا الالهية "فقد أثارث مشكلة كبرى في الأوساط العلمية في العالم كله[1] وأنتج كتابا آخر"ابن عربي حياته ومذهبه"،لقد كان أسين بلاثيوس طودا شامخا من أطواد الاستشراق، رسخت أقلامه تاريخ الإسلام الروحي في إسبانيا ولهذا سيظل أسين بلاثيوس علما حيا من أعلام البحث العميق والفهم الناقد والادراك الموحي والوجدان المبثوث[2].

بوستيل Postel: مستشرق فرتسي من الأوائل ولد في دولري، شمال فرنسا (1501م) وتوفي (1581م) تعلم اليونانية والعبرية في باريس درس اللغات الأوربية الحديثة الايطالية، الاسبانية والبرتغالية، عين أستاذا في الكوليج (1539م) ونشر كتابا (1538م) بعنوان حروف هجاء اثني عشرة لغة مختلفة مدخل قراءتها بأسهل الطرق عام (1539م) وصدر كتابا آخرا بعنوان"نحوا عربيا"ثم ذهب إلى البندقية وتأثر بالأم حنة ثم نشر كتابا بعنوان"في الأصول" وأكبر ما قدمه بوستيل للاستشراق هوما جمعه من مخطوطات شرقية منها تاريخ أبي الفداء ومؤلفات يوحنا الدمشقي وترجمة سريانية للعهد الجديد من الكتاب المقدس[3]، وقد كان أول المستشرقين ذهابا إلى اسطنبول ودمشق للحصول على المخطوطات، وعين أستاذا للغات الشرقية في جامعة باريس (1537م)[4]،ومن أهم آثاره أبجديات اللغات، توافق القرآن والإنجيل، عادات وشريعة المسلمين، فتوح النساء، وصف دستور القدس، وصف القاهرة، اللغة العربيةوالفينقية[5]، فقد أفادت كتاباته الثقافةالإسلامية.

أطوان جلان Galland Antoine:مستشرق من الرعيل الأول ولد في رولو (1646م) شمال شرق فرنسا توفي (1715م) كان فقيرا، درس في مدرسة نوايون درس اللغات القديمة واللغة العربية، عمل في السفارة الفرنسية في اسطنبول ثم واصل دراسة اللغات الشرقية وفي سنة (1709م) عين أستاذا للغة العربية في الكوليج دي فرانس لكن العمل العظيم الذي اقترن به اسم جالان هو ترجمة كتاب ألف ليلة وليلة ترجمة حرة تصرف فيها تصرفا شديدا لكن بلغة جميلة وتكيف للنص الأصلي بحيث يتلائم مع الذوق الأوربي وقد

---

[1]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 124.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 126.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 135-138.

[4]- ينظر: صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 15.

[5]- ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص: 158.

ظهرت هذه الترجمة في اثني عشر مجلدا ظهرت (1704-1717م) وبهذا فتح لجالان لأوربا نافذة واسعة على الادب القصصي العربي وأعطى صورة حافلة بالتهويل والتهاويم عن العالم الإسلامي والشرقي، ولاقت الترجمة نجاحا هائلا ومن مؤلفاته كلمات رائعة، في أصل وتقدم القهوة، وترجمة القرآن[1]،وكان سفير فرنسا إلى تركيا (1670م) للبحث عن الآثار والنقوش،فلما عاد إلى فرنسا انتدب أستاذ للعربية في معهد فرنسا ولقب بأثري الملك وله كتب أخرى منها كلمات مأثورة عن الشرقيين في باريس (1694م) آخر بعنوان أخبار عن وفاة السلطان عثمان (1694م)، وله أبحاث في النقود العربيةنشرت في صحيفة العلماء[2].

جبهاملتون Gibbe Hamilon:مستشرق انجليزي ولد في مدينة الاسكندرية مصر (1895م) وكان أبوه ناظر زراعة، دخل جامعة أدنبرة حيث تخصص في اللغات السامية والعربية والآرمية، وخاض الحرب في جبهتي فرنسا وإيطاليا تم حصل على الماجستير في جامعة لندن وعين مدرسا للغة العربية، زار الشرق زيارة طويلة أثناءها قام بدراسة الأدب العربي، فلقب قارئ تاريخ العرب والأدب العربي، صار أستاذ للغة العربية في جامعة إكسفورد، لكن عمله الخليق بالذكر في هذا الميدان وهو الكتاب الذي ألفه بالاشتراك مع هارولديووون، بعنوان المجتمع الإسلامي والغرب، المجتمع الإسلامي في القرن الثامن عشر، وتناول فيه المؤلفان النظم الاجتماعية في تركيا والبلاد العربية، وله عدة مقالات منها تفسير التاريخ الإسلامي، كتب عن السير في الإسلام، وأخيرا ماتذكره له ترجمة لرحلة ابن بطوطة وقد ظهرت هذه الترجمة في ثلاثة أجزاء نتوفي في أكتوبر (1971م)[3].

جولد تسهير Ignaz Golziher:ولد بمجر (1850م) منأسرة يهودية قضى سنينه الأولى في بودابست، ثم ذهب إلى برلين، ثم عاد إلى بودابست فعين أستاذا مساعدا في جامعتها، ارتحل إلى الشرق فعاش في فلسطين، وسوريا والقاهرة تحصل على الدكتوراه من خلال رسالته المعنونة "شارع يهودي في العصور الوسطى"، ثم بعد ذلك صار أستاذا للغات السامية سنة (1894م) واستقر بوطنه، فكانت عناية بشؤون الشرق المعاصر، وكان يعتمد على المنهج الوجداني الاستدلالي وله كتاب عظيم بعنوان "دراسات إسلامية"، ففي الجزء الأول يتحدث فيه عن الوثنية والإسلام فهو يصور الصراع بين الروح والوثنية

[1]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 166-167.

[2]- ينظر: نجيب العفيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة، ص: 160.

[3]- ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المسشرقين، ص: 174-176.

الجاهلية[1]، ونشر عدة كتب منها كتاب المعمرين لأبي حاتم السجستاني (1899م) وكتب مقدمة عن التوحيد لمحمد بن تومرت مهدي الموحدين (1903م)، ومن أهم أبحاثه محاضرات في الإسلام، اتجاهات تفسير القرآن عند المسلمين وهكذا يقدم لنا جولد تسهير في الظاهر تاريخا حيا لتفسير القرآن بينما هو في الحقيقة،إنما يعرض لنا فيه مرآة صافية انطبعت فيها صورة واضحة للحياة الروحية طوال ثلاثة عشر قرنا عند الملايين الملايين من المسليمن[2].

جربرت البابا سلفستر الثاني Cerbert Silvestre: بابا فرنسيوهو البابا رقم 146وأول بابا فرنسي يخلف أول بابا ألماني، وهوالبابا الوحيد الذي تعلم العربية، واتقن العلوم عند العرب ولد في أوربا سنة (930م) وانتخب بابا كنيسة روما الكاثوليكية 2 أفريل (999م) وتوفي (1003م) درس في إسبانيا ليتلقى من العرب المسلمين العلم، ولما عاد إلى فرنسا أدخل الأرقام العربية، والساعة ذات الميزان في فرنسا ومن أهم مؤلفاته رسائله وعددها مئة وتسعة أربعون رسالة وتمثل وثائق تاريخية مهمة نظرا لارتباطها بأحداث عصرها السياسية الخطرة، مثل أعمال مؤتمر سان بال، ومؤلفات جربير في الرياضيات، فقد شجع على نفوذ العلوم العربية إلى العالم الأوربي المسيحي كما وقد إستفاد من علوم الفلك عند العرب[3].

سانتالا Santillana: يعد من خيرةالباحثين في الفقه المالكي ولد في ماي (1855م) من أسرة يهودية ذات أصل إسباني قديم، لجأ إلى تونس تحصل عى ليسانس الحقوق من روما، (1880م) تفرغ للبحث في الشريعة الإسلامية دعى للتدريس في مصر، لكن أعظم إنتاج هو كتابه الرئيس، نظم الشريعة الإسلاميةبحسب مذهب مالك مع مراعاة أيضا المذهب الشافعي[4].

أرنست رينان A Renan:فليسوف ومستشرق ومفكر فرنسي ولد في مدينة ترجيه بفرنسا (1823م) دخل في المدارس اللاهوتية حيث برز فيها وولع باللغات الشرقية صنف كتابه حياة يسوع في دير عني خصوصا بتاريخ المسيحية، وتاريخ شعب إسرائيل، ولقد أتقن اللغة العبرية، أما العربية فلم يتقنها ولقلة معرفته باللغة العربية، لم ينشر أي نص عربي سواماكان برسالة الدكتوراه وعنوانها "ابن رشد والرشدية "ومن أهم مقالاته، مقامات الحريري، إسبانيا الإسلامية، ابن بطوطة، مروج الذهب للمسعودي وكل هذه

[1]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 198-200.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 201-203.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 178-189.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 343.

المقالات تكشف عن الإطلاع واسع على التراث العربي وله موقف من الإسلام نظرا لمحاضرة ألقاها في سوبرون عنوانها الإسلام والعلم وقال أن الإسلام اضطهد دائما العلم والفلسفة فهوينعي على الإسلام كراهيته للعلم العقلي والتجريبي وهو لايخص الإسلام بهذا الوصف دون غيره من الأديان بل الأديان كلها على هذا السواء لأن رجال الدين يرون في العلوم العقلية والتجريبة حقا لهم، وقد رد عليه الإمام جمال الدين الأفغاني وفي هذا أقر رينان لتعقيبه على رد جمال الدين الافغاني، أنه لم يقصد من محاضرته الإساءة إلى الذين يعتنقون الإسلام حين نعى على الإسلام معاداته للعلم، وآخر ما كتبه رينان في ميدان الدراسات الإسلامية هو مقال كتبه بمناسبة بحث كتبه ألكسندر دانكونا، بعنوان أسطورة محمد في الغرب يبدي فيها سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وشخصية الراهب بحيرا توفي سنة (1892م)[1].

يوهان جاكوب رايسكا، REISKE– J: كان أول من اعتنى باللغة العربية وجعل منها علما ودرسا مستقبلا ولد في 25 كانون الأول سنة (1716م) في قرية تسوريج في مملكة ساكسونيا، نسخ وعلق مجموعة من الكتب في التاريخ والجغرافيا لأبي الفدا والمعارف لابن قتيبة وحصل على شهادة الدكتوراه في الطب سنة (1774م)[2]، كما قام بدراسة كل المطبوعات، وراح يبحث في المخطوطات العربية فولع باللغة العربية، كما درس الشعر العربي فشرح المعلقات والحماستين لأبي تمام وللبحتري وكذا شعر المتنبي، أبو العلاء المعري كما نشر معلقة طرفة بن العبد، التي فتحت له فتحا جديدا وعظيما في ميدان الدراسات العربية، حصل على الدكتوراه من كلية الآداب بليدن، كما أنه مجد الإسلام، لذا ظل اللاهوتيون يبغضونه أشد البغض ولم يشأ تقسيم العالم إلى نصف مقدس ونصف دنيوي، بل وضع العالم الإسلامي في قلب التاريخ العالمي، ومن أهم منشوراته، رسالة ابن زيدون إلى ابن عبدوس وقام بترجمتها إلى اللاتنية، كما له كتاب تحت عنوان رسائل عن النقود العربية[3].

تيودرو نولدكه Noldeke th:ولد في هامبورج سنة (1836م)، التي أطلت اسمه على أحد شوارعها من أسرة عريقة قاتل قدماؤها الرومان وشغل أفرادها مناصب علمية وإدارية[4]،وبفضله أصبحت ألمانيا مركز

---

[1]– ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 311-316.

[2]– ينظر: صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 15-18.

[3]– ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 299-300.

[4]– ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون،ج2، دار المعارف، ص: 379.

للدراسات الشرقية، وهو عالم ألماني من الطراز القديم في ذرى كماله ومن صفاته أنه كان متواضعا، وفي سنة (1853م) إلتحق بجامعة جوتنجن ليصبح مستشرقا تحصل على الدكتوراه (1856م)، وكان عنوان دكتورته "حول نشوء وتركيب السور القرآنية "وأول مؤلف له تاريخ القرآن وهو مؤلف عظيم توفي سنة (1930م)[1].

كارل بروكلمان Brockelmenn-c:ولد في سبتمبر من عائلة ميسورة الحال، في مدينة روستوك، سنة (1868م) أحب دراسة اللغات شهد منذ الثمانيات الازدهار الكبير، الذي مربه الاستشراق كان عضو شرق في جمعية المستشرقين الألمانية، والجمعية الأسيوية الملكية والجمعية الشرقية الأمريكية ومنح الجائزة الوطنية من المرتبة الأولى[2]، كان ضليعا في اللغات السامية فنبغ فيها وطارت له شهرة في فقه العربية وقراءتها قراءة فصيحة، وكتابتها كتابة سليمة وفي التاريخ الإسلامي وتاريخ الأدب العربي حتى عد إماما من أئمتها وعين أستاذا لها في جامعات برلين، برسلاو[3]، يعد المرجع الأساسي والوحيد في كل مايتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها وتحصل على دكتوراه التأهيل للتدريس الجامعي برسالة عنوانها عبد الرحمن أبو الفرج ابن جوزي "تلقيح هموم أهل الأثار في مختصر السير والأخبار"،كما قام بفهرسة المخطوطات الشرقية وظهر كتاب بعد وفاته معنون "بنظم اللغة العبرية"[4]،اشتهر بروكلمان بجم نشاطه وغزار إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدة، مما جعله مرجعا للمنصفين في التاريخ الإسلامي والأدب، إذ قل منهم لم يستند إليه أو يتوكأ عليه في منصفاته ومنها العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري، أما أول مؤلف له المعجم السرياني توفي سنة (1956م)[5]، وبذلك فلقد خلف كاربروكلمان إنتاجا ضخما من الكتب مثل كتاب تاريخ الادب العربي وتاريخ الشعوب الإسلامية ويقول عن هذا الكتاب "لاتزال كتابة تاريخ الشعوب والدول الإسلامية، منذ نشأتها حتى الوقت الحاضر

[1]- ينظر: صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية، ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1)، ص: 115-121.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 153.

[3]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 424.

[4]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 98-105.

[5]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 425.

ضربا من المحاولة الخطرة ولقد حاولت أن أقدم إلى قراء هذا الكتاب، بالاضافة إلى التاريخ السياسي لمحة عن الحياة الثقافية والفكرية"[1]،وأنتج على أكمل وجه علم الاستشراق.

البارون دي ساسي Sacy .S.DE: مستشرق فرنسي مشهور ولد في باريس (1758م) فقد أباه وليس له من العمر إلا سبع سنوات،بدأ دروسه في المنزل تثقف بالأدبين اللاتيني واليوناني أحب العربية ودرسها مع العبرية والفارسية والتركية في سنة (1778م) عينه الملك واحدا من ثمانية أعضاء في جمعية نشر كنوز المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، فوضع بحثين في تاريخ قدماء العرب وأصل آدابهم فلما بلغ 32 سنة من عمره كان من طليعة المستشرقين العالمين،وعين عضو من أعضاء مجمع الكتابات والأداب[2]، اعتكف دي ساسي بالريف فألف كتابا"أبحاث في الأثار القديمة لفارس، وكانت المادة الرابعةمن مرسوم جمعية الوفاق الوطني الخاص بإنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية، تقضي بأن يؤلف المدرسون كتبا في نحو اللغات التي يدرسوها فقام دي ساسي بتأليف كتاب في النحو العربي ليستعمله تلاميذ المدرسة الخاصة باللغات الشرقية الحية[3] وفي سنة (1808م) انتخب عضوا في الهيئة التشريعية ولقب ببارون بأمر امبراطوري جزاء جهوده وخدماته ثم عاون على إسقاط نابليون الأول سنة (1814م)، فأنعمت عليه الملكية بلقب رئيس جامعة باريس.

ومن أهم كتبه، ثلاث مذكرات قدمها إلى المجامع العلمية عن مصر منذ الفتح الإسلامي إلى الحملة الفرنسية، تلخيص كتاب الخطط للمقريزي، صنف كتاب الأنيس للطالب المستفيد، نشر كتاب كليلة ودمنة في ستة عشر بابا، نشر وترجم مقامات الحريري، وكتاب التحفة السنية في علم العربية، وله مقالات في المجلة الآسيوية بعنوان دراسة الشعر العربي، النقود الإسلامية توفي سنة (1838م)[4]، ومنه فسلفستر دوساسي خلف زادا معرفي كبيرا فعد إمام المستشرقين في عصره فقد قضى حياته في الجمع والتصنيف والترجمة فترك أثارا بارزا في عالم الاستشراق وتخرج على يده حشد كبير من كبار المستشرقين.

أندري ميكيل A- Miquel:ولد في ميزهيرول بتاريخ 1929/9/26م وتخرج من مدرسة المعلمين العليا (1950م) حيث تلقى العربية على الأستاذ بلاشير، عين أستاذا في المدرسة العليا للآداب ببيروت،

[1]- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، الأنيس، الجزائر، 2012، ص: 9.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 162-165.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 336.

[4]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 163-165.

تحصل على الكثير من المناصب وقد تناول في أبحاثه اللغة العربية وأساليبها، وأدب الفصحى قديما وحديثا،والنقد الأدبي، كما عين عضوا في اللجنة الوطنية لمركز الأبحاث[1].

إجناتي اغناطيوس كرتشكوفسكيIgnatij Krackovskij: يعد من أبرز المختصين بالدراسات العربية من بين المستشرقين الروس، ولد سنة 16 مارس 1883م في مدينة قلنا عاصمة جمهوري لتوانيا، تعلم الروسية والأوزبكية، نظرا لعيشه في إقليم التركستان في صغره وروسيا في كبره، وفي سنة (1901م) التحق بكلية اللغات الشرقية في جامعة سان بطرسبرج، حصل على دبلوم من الطبقة الأولى لرسالته "خلافة المهدي العباسي وفقا لمصادر عربية"، كما له بحث بعنوان "الخمر في قصائد الأخطل" ثم اتجه إلى دراسة المتنبي وشرح المعري على ديوان المتنبي وعنوانه "معجز أحمد"، كذلك عني بنفس الفترة بالعلاقات بين الآداب المسيحية والأداب الإسلامية في الشرق، كما كون صداقات مع كثير من الأدباء العرب أمثال محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق، ومع جورجي زيدان الصحفي التاريخي، اهتم كرتشكوفسكي بجمع مخطوطات "أبي العلاء المعري ومن ثمرة أبحاثه"في نشأة وتأليف رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، كما أنه ترجم ونشر النصوص القديمة وأهم كتبه التي نال منها شهرة عالمية هي "بين المخطوطات العربية"و"تاريخ التأليف في الجغرافيا عند العرب، توفي (1951م)[2].

كارلو نلينو Carlo Nallino:مستشرق إيطالي عظيم ولد بمدينة تورينو في السادس عشر من شهر فبراير 1872م كان تلميذا ممتازا في دراسته الابتدائية والثانوية، وكان يميل إلى الدراسات الأدبية والدراسات الطبيعية والرياضية، معا تعلم اللغة العربية من نحو وصرف، منذ صغره وأول بحث عده "قياس الجغرافين العرب لخطوط الزوال "فقد بعدة علوم وهي دراسة الفلك والتنجيم والجغرافيا وله كتاب تحت عنوانها علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، وله كتاب آخر" اللغة العربية في لهجتها المصرية "كما كان مهتما بالدراسات العربية وحدها دون العلوم، زار الجزائر (1905م) بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للمستشرقين وهناك دفعته نزعته للأسفار ثم عني بالشريعة الإسلامية، فكان عضوا في مجلس التعليم

[1]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون،ج1، ص: 379-380.

[2]- ينظر: عبد الحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 468-480.

الأعلى[1]، ونلينو له مكانة ممتازة من بين المستشرقين لايساويه ومن أهم مخلفاته: منتخبات من القرآن ونشر كتابا البيان لابن رشد، مشهد من الحياة المصرية، تكوين القبائل العربية قبل الإسلام[2].

نيكلسون Reynold Nicholson،مستشرق إنجليزييعد أكبر الباحثين في التصوف الإسلامي ولد سنة 08 أغسطس 1868م دخل جامعة أبردين ثم كلية الثالوث في كمبردج، حيث بدأ بالدراسات الكلاسكية وتوفي في (1945م)، أما إنتاجه العلمي فكان غزيرا وتدور حول التصوف الإسلامي خصوصا، لكنه اهتم أيضابالأدب العربي والشعر الفارسي له دراسات في التصوف منها الصوفية في الإسلام، أسرار الذات، أهداف التصوف الإسلامي، الصوفية دائرة معارف الدين والأخلاق[3]،وآثاره منتجات من ديوان شمس تبريز لجلال الدين رومي، نظمها شعرا إنجليزيا دراسة عن رسالة الغفران لأبي العلاء المعري، والأدب الشعبي العربي والفارسي توفي سنة (1945م).

بلاشير ريجر Regis Blachre:ولد في ريجر بلاشير (1900م) في ضاحية مونروج باريس وسافر مع أبويه إلى المغرب في (1915م) عين في معهد الدراسات العليا المغربية حصل على الدكتوراه الدولة من جامعة باريس برسالتين الأولى" شاعرعربي من القرن الرابع الهجري:أبو الطيب المتنبي "تاريخ الأدب العربي منذ البداية حتى نهاية القرن الخامس عشر"، كما ترجمة القرآن للفرنسية شغل منصب مدير معهد الدراسات الإسلامية، انتخب عضوا في أكاديمية النقوش[4]، عين أستاذا كرسي للأدب العربي، ثم أستاذا محاضرا في سوربون، ثم مديرا لمدرسة الدراسات العليا والعلمية (1942م)، ثم أستاذا للغة العربية وحضارتها في جامعة باريس، كما له مؤلفات أخرى وهي دراسة أدب الأمثال عند العرب ودرس خطبة حجة الوداع وله في المجلة الآسيوية مختصر تاريخ الأدب العربي لعبد الجليل، وكراسات معهد الشرق المعاصر، ونبذة عن اسم الربع الخالي والشعر الإسباني العربي والشعراء الجوالون[5]،توفي (1973م).

مرجليوث داقيد صمويلD S Margoliouth: ولد (1858م) بلندن وقد تخرج باللغات الشرقية من جامعة إكسفورد، انتخب عضوا في المجمع العربي بدمشق، والمجمع اللغوي البريطاني، والجمعية الشرقية

[1]- ينظر: عبد الحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 583-586.

[2]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 432.

[3]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 593.

[4]- ينظر: المرجعه نفسه، ص: 127.

[5]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 309-311.

الألمانية وغيرها[1]، أتقن الدراسات الكلاسكية واليونانيةواللاتنيةفي جامعة إكسفورد، ثم انتقل إلى دراسة اللغات السامية، وكانت ثمرة هذه الدراسات فن الشعر لأرسطو طاليس بترجمة متى بن يونس، ثم عين أستاذا في جامعة إكسفورد (1889م)، كتب بحثا عن أوراق البردي العربية وفي سنة (1905م) نشر دراساته عن الإسلام فله فضل كبير على العالم العربي، فنشر مجموعة من الكتب وهي معجم الأدباء لياقوت، ورسائل أبي العلاء المعري، وترجمة قسم من تاريخ مسكويه[2]، كما ترجمة مختارات البيضاوي وكذا المعجم السرياني، ترجمة تلبيس ابليس لابن الجوزي[3].

يوهان فوك Fuck .J: ولد عام (1894م)،أستاذ العربية في جامعتي ليبزيج وهالة ومن أهم أثاره العربية لغة وأسلوبا، وله الدراسات العربية في أوربا، وفي الآداب الشرقية القرآن وحديث البخاري، والإسلام، والصوفية، وترجمة القرآن، والموسيقى العربية، وفي المجلة الشرقية الألمانية فهرست غبن النديم، وأصالة النبي محمد[4]، وغيرها من الكتب والمقالات.

الأمير ليوني كيتاني، Leone Caetane:مستشرق إيطالي وأمير من آل كيتاني وهي أسرة من كبار الأمراء في تاريخ إيطاليا الحديثة، ولد في روما 12سبتمبر 1869م[5]، تخرج من جامعتها وتعلم سبع لغات منها الفارسية والعربية، تقلد سفارة إيطاليا في واشنطن، جمع مكتبة شرقية زاخرة بالمخطوطات النفيسة، واه مخطوط عربي مجهول المؤلف، بعنوان غرر السير وله دراسة في التاريخ الشرقي وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم[6]،أحب العالم الإسلامي وأعجب به فكتب عنه كتابه المشهور "حوليات الإسلام"ومعجم الأعلام العربية، معجم السير والمؤلفات الإيطالية، ولكن تخصصه في التاريخ والتراجم الإسلامية ومن أهم كتبه كذلك " الإسلام والمسيحية"،الجزيرة العربية قبل الإسلام، العرب القدماء توفي سنة (1935م)[7].

[1]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 77.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 546.

[3]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج2، ص: 78-79.

[4]- ينظر: المرجع نفسه، ج2، ص: 463.

[5]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 493.

[6]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 429.

[7]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 494-496.

بدرو دى الكالا Pedro de Alcala:تعلم العربية وأتقن الخطابة فيها، فأوفده رئيس أساقفة طليطلة إلى غرناطة وذلك للتقريب بين المسلمين والنصارى سنة (1499م) ومن أهم مؤلفاته: معجم عربي قشتالي،والمعجم السليم لتيسير تعليم اللغة العربية فيه قواعد النحو والصرف، والإرشادات بالاسبانية والعربية، وهو أول مصنف لقواعد العربية في أوربا[1].

براون، ل،إى،Browne L E:ومن أهم كتبه في العالم الإسلامي:الدين في تركيا، انتشار الإسلام، الثقافة الإسلامية[2].

هانوتو مونيه Munie H:ولد سنة (1884م) وتوفي سنة (1945م) هو أمين مكتبة المتحف المصري، ثم أمين عام للجمعية الجغرافية بالقاهرة، وقد أنشأ متحفا للتقاليد الشعبية في مبنى الجمعية، ومن أهم مؤلفاته المراجع الجغرافية لمصر، فالجزء الأول فيه موجز تاريخ مصر، أما الجزء الثاني مصر البيزنطية والإسلامية وله ثبت تحليلي لوصف مصر،ومؤلفات أخرى عن الآداب القبطية[3].

لويس برنارد، Lewis Bernard:المولود في لندن بتاريخ 1916/05/31م وحصل على الليسانس مع مرتبة الشرف الأولى، من جامعة لندن (1936م) ودبلوم الدراسات السامية من جامعة باريس (1937م)، أما الدكتوراه من جامعة لندن (1939م)، وعين أستاذ الدراسات الخاصة بالشرق الأدنى، تحصل على كثير من المناصب فهو عضو شرف في الجمعية التاريخية التركية، ووفي وزارة الثقافة التركية، كا أنه عضو في الجمعية الآسيوية الملكية، والجمعية التاريخية الملكية ومن أهم مؤلفاته:أصول الإسماعلية، وأرض السحرة،العرب في التاريخ، الإسلام في التاريخ، عمل محرر في دائرة المعارف الإسلامية[4].

أتين دينيه Dinet Et:ولد في سنة (1861م) تعلم في فرنسا وقصد الجزائر، فكان يقضي في بلدة بوسعادة نصف السنة من كل عام وحتي أنه ابتنى فيها قبرا وأشهر إسلامه وتسنى بناصر الدين (1927م) وحج إلى بيت الله الحرام (1928م)، ومن أهم كتبه محمد في السير النبوية، حياة العرب، وحياة الصحراء، أشعة من نور الإسلام، والحج إلى بيت الله الحرم[5].

---

[1]- المرجع نفسه، ج2، ص: 180.

[2]- المرجع نفسه، ج2، ص: 100.

[3]- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 270.

[4]- المرجع نفسه، ص: 144.

[5]- نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 228..

أدلرد أوف باث :Adelard of Bath: ولد في مدينة باث ومنها نسب إليها، إنخرط في سلك الرهبانية، طلب العلم في الأندلس وصقلية، جمع معارف علوم الطبيعة والفلك والرياضيات، ولما عاد إنجلترا عين معلما للأمير هنري الذي أصبح فيما بعد الملك هنري الثاني، غاص في علوم العرب وأصبح عالما فيها على غرر علوم الفرنجة، ومن أهم أثاره، ترجمات لاتنية وافرة في الفلك والرياضيات أشهرها زيج الخوارزمي، كتاب الأصول لإقليدس، صنف كتاب الأسئلة الطبيعية، وله عدة مباحث في الفلك ووالرياضيات، ولقد ساعد بنفوذه على نشر تلك العلوم وإزدهارها في أوربا بأكملها[1].

تونسيا،الملقب بقسطنطين الأفريقي:Constantinus Africanus:ولد بقرطاجة ورحل إلى خرسان وبغداد والشام ومصر والقيروان والهند، اعتنق النصرانية والتحق بمدرسة الطب، ترجم كتب الطب والفلك من العربية إلى اللاتنية، عن إسحاق بن عمران، جمعت آثارهوعددها أربعة وعشرون مصنفا منها كتاب قسطنطين الأفريقي في طب العيون توفي سنة (1087م)[2].

بيرك جاك Berque J:مستشرق فرنسي، بعد تخرجه من باريس نزل بالمغرب لدراسة علم الاجتماع، ثم عين مديرا لقسم البحوث الفنية والتجريبية بمصر، ثم مشرفا على مركز الدراسات العربية، ثم أستاذ في كرسي التاريخ الاجتماعي، للإسلام المعاصر في معهد فرنسا ومن أهم مؤلفاته، دراسات في التاريخ الريفي المغربي،النوازل المزارعة، تاريخ مدرسة فاس، تاريخ الرباط، تاريخ التبادل في الأطلس، وله ابن رشد والأضداد الإغريق وعلماء الكيمياء العرب، اللغة العربية من الإنسان إلى التاريخ[3].

مكسيم رودنسون،Rodinson M:ولد بباريس 1915/01/26م، وحصل على الدكتوراه في الآداب ثم على شهادة المدرسة الوطنية للغات الشرقية الحية، والمدرسة العلمية للدراسات العليا، كما وعين أستاذا في المعهد الإسلامي بصيدا من لبنان، تحصل على عدة مناصب ومنها كذلك محاضرا في المدرسة العليا للآداب ببيروت، وأمين مكتبة في المكتبة الوطنية، تحصل على عدة أوسمة نظرا لما قدمه من مجهودات فكرية منها السعف المجمعية وخدمة التطوع في فرنسا الحرة، وبعضوية الجمعية الآسيوية، جمعية آرنست رينان، واتحاد علماء الاجتماع باللغة الفرنسية...إلخ ومن أهم كتبه جهود فرنسا الأثرية في الشرق، الإسلاموالرأسمالية،

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 111-112.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 110.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 338.

إسرائيل والرفض العربي، الماركسية والعالم العربي، تاريخ الاقتصادي وتاريخ طبقات المجتمع في العالم الإسلامي[1].

نسنك Arent Jan Wensinck: ولد سنة (1882م) وتوفي (1939م) وهومستشرق هولندي وكان إنتاجه هورسالته التي تحصل بها على الدكتوراه (1908م)، وعنوانها "محمد واليهود في المدينة"، كما وضع المعجم المفهرس بحسب الألفاظ وبالترتيب الهجائي للأحاديث الواردة في كتب السنة الصحاح، وفي موطأ الإمام الدرامي، وفي مسند أحمد بن حنبل، في موطأ الإمام مالك، فاستعان بثمانية وثلاثين باحثا، من مختلف البلدان وله أبحاث مفردة نذكر منها العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي،فكر الغزالي، أساطير القدسين الشرقيين وقد جمع بعض زملائه دراسات سامية قام بها ولم يكملها فأطلقوا عليها "دراسات سامية من مخلفات الأستاذ الدكتور أي،قنسنك[2]،وله كذلك كتاب محمد والنبوة، وفلسفة ابن خلدون الاجتماعية للدكتور طه حسين مذيلا برسالة من ابن خلدون، قيمة الحديث في الدراسات الإسلامية، والخمر في الإسلام[3].

هوداس، و،Houdas O: ولد سنة (1840م) توفيبالجزائر (1916م)، كان أستاذا للغة العربية في الجزائر، ثم مفتش عام للتعليم صنف عدة كتب للتدريس بالعربية، ثم اشتغل بدراسة المغرب الأقصى والتاريخ الحديث لمغرب، عين أستاذا بمدرسة اللغات الشرقية الحية بباريس، وعضوا في مجلس المعارف العامة، ومن أهم مؤلفاته ترجمة الأربع والستين سورة الأخيرة من القرآن، ومختارات من ألف ليلة وليلة، وله رسالة في تيسير طباعة النصوص العربية، وموجز من كتاب ترجمان المغرب لأبي القاسم الزياني، تاريخ المغرب الحديث في باريس (1886م)[4]، وكذلك ترجم تحفة ابن عاصم في الفقه المالكي وهو العمل الذي شغله قرابة عشر سنوات، كما ترجم أعمالا تتعلق بتاريخ المغرب العربي عموما والسودان القديم[5].

لويس ماسنيون Louis Massignon:مستشرق فرنسي عظيم ولد في الخامس والعشرين من شهر يوليو (1883م) إلتحق بالمدرسة الوطنية الشرقية الحية، وهي التي تخرج فيها أجيال متاحقة من المستشرقين

[1]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 359-360.

[2]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص: 418-419.

[3]- ينظر: نجيب العقيقي، المستشرقون، ص: 319-320.

[4]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 200 -201.

[5]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 40.

الفرنسين والأجانب، فتحصل على دبلوم اللغة العربية للفصحى والعامية، ثم بدأ حياته الإستشراقية فاشترك في المؤتمر الدولي الرابع عشر للمستشرقين، الذي انعقد في أفريل (1905م) بمدينة الجزائر، وهومن بين المستشرقين وله مكانة لايضارعه فيها أحد، قد امتاز بنفوذ النظرة، وعمق الاستيطان، وكان تخصصه في التصوف الإسلامي عامة وفي الحلاج خاصة، وكانت تستهويه المذاهب المستورة والحركات السرية الروحية والسياسية في تاريخ الإسلام، كانت وفاته سنة (1962م)[1]، ومن آثاره ست مئة وخمسون أثر،بين مصنف ومحقق ومترجم، وبين مقال ومحاضرة وتقرير ونقد ومقدمة وسيرة وأهم كتاب له ألام الحلاج شهيد التصوف في الإسلام وهي أول رسالة دكتوراه من السربون في جزأين فيها أكثر من ألف صفحة، أثبت فيها أصالة التصوف في الإسلام ووثائق علم النفس الإسلامي[2]، كما لاننسى إهتمامه البالغ بالصحابي سليمان الفارسي فكانت له أبحاث جديدة عن سليمان الفارسي فنشر بحثا بعنوان "سلمان باك والبواكير الروحية للاسلام الايراني، وأصدر كتابا حول الحلاج بثلاث مجلدات الحلاج شهيد الإسلام، كما أنه أسس الجمعية الأسيوية الفرنسية وأشرف عليها"[3].

جيرا ردي كريمونا Gremona Gerard:ولد سنة (1114م) توفي (1187م) إيطالي، قصد طليطلة، وترجم ما لايقل عن 87 مصنف في الفلسفة والطب والفلك.

زيغريد هونكا:اتسمت كتاباتها بالإنصاف وذلك بإبرازها تأثير الحضارة العربية على الغرب، في مؤلفها المشهور شمس العرب تسطع على الغرب.

غوستاف لوبون، مستشرق وفيلسوف مادي، لايؤمن بالأديان مطلقا، جاءت أبحاثه وكتبه الكثيرة متسمة بإنصاف الحضارة الإسلامية مما دفع الغربين إلى إهماله وعدم تقديره

برينيه،ل،ج،Bresnier L j:ولد سنة (1814م) وتوفي في سنة (1869)متتلمذ على يد دي ساسي كان نابغا في اللغة العربية، فأرسل إلى أفريقيا لإتمام بحوثه، تولى إدارة مدرسة عربية في الجزائر[4]، فهو

[1]- ينظر: عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، ص 529-530.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ص: 265.

[3]- عبد الرحمن بدوي: شخصيات قلقة في الإسلام، دار الكتاب المصري، 1946، (ط1)، ص: 267.

[4]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ص: 187.

مستشرق بالإختصاص وفرنسي بالأصالة، فجميع ما ألفه من كتب وجهت للطلاب لكن بعضها بقي مرجعا لمدرسي العربية من المستشرقين حتى بعد وفاته[1]، فله دور كبير في ترويج اللغة العربية للأوروبين.

لوسياني ج دLuciani J D: من علماء القانون عمل مدة في شمال أفريقيا، ومن أهم آثاره نشر الفوائد الشنشورية وبغية الباحث عن جميل الوارث للسرجى، وترجمة الجزائر (1796م)، وأم البراهين في العقائد للسنوسي متنا وترجمة، وكتاب آخر توحيد الباري الابن تومرت ومن أهم مقالاته:اضطرابات، ووثيقة تركية عن الحرب[2].

رينPerron:ولد سنة (1805)م وتوفي سنة (1876م) طبيب تخرج من باريس، وعين مديرا لمدرسة الطب في القاهرة ورحل إلى السودان، حقق وترجم ونشر الكثير من المخطوطات العربية ومن أهم كتبه قواعد العربية، والعربية العامية في الجزائر، كما اشتهر بمصنفه نساء العرب قبل الإسلام وبعده ثم ترجم كتاب الطب النبوي لجلال الدين أبي سليمان داود، وترجم كتاب ميزان الشرع الإسلامي للشعراني[3].

دي سلان البارونSlane Baron Mac-Guckin: إرلندي الأصل، فرنسي الجنسية تخرجعلى دي ساسي، وعين مترجما في وزارة الحربية ونحا في استشراقه ناحية المغرب فذهب له فيه صيت بعيد ومن أهم مؤلفاته :نشر وفيات الأعيان لابن خلكان بعنوان تراجم المشهورين في الإسلام، وصنف كتابا في تاريخ البربر والأسر الإسلامية، ونشر المسالك والممالك للبكرى،ومقدمة ابن خلدون متنا وترجمة في ثلاثة أجزاء وله في المجلة الآسيوية المجاز في بعض مفردات الشعر العربي، وخطبة في موضوع الرؤيا لابن نباته...وغيرها[4].

توماس الأكوني Thomas D.Aquin:ولد سنة (1225م) توفي سنة (1274م) ولد في قصر روكاسيكا بمدينة أكويني من أسرة ألمانية شريفة، تعلم في دير مونتي كاسينو للرهبان البندقيين (1230م) إلتحق بجامعة نابولي صرف إلى جامعة باريس، واستدعى إلى روما، سجن عدة مرات أعلنت قداسته (1323م) أي بعد وفاته فأضحى أكبر أساتذتها، ومازالت فلسفته أساس الدراسات اللاهوتية الكاثوليكية

[1]- ينظر: أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص: 30.

[2]- ينظر: نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 210.

[3]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 172-273.

[4]- ينظر، نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، ص: 170.

حتى اليوم ومن أهم آثاره خلاصة المذهب الكاثوليكي ضد الوثنيين في أربعة مجلدات، ووحدة العقل، وأزلية العالم...[1].

ألبير الكبير Albert Le Grand:ولد سنة 1206م توفي سنة 1280ممن أسرة ألمانية شريفة تلقى تعليمه في جامعة بادوى، تخرج من جامعة باريس، كان له صيت بتدريس الفلسفة واللاهوت، عين أسقفا درس كنوز الثقافة الوثنية والعربية، واليهودية، والمسيحية لقب بالدكتور العام صنف كتابا ضخما في حيوان ألمانيا وسبعة كتب في الخضر والنبات، فعد أعظم علماء التاريخ الطبيعي في عصره، ألف كتابا بعنوان تفاصيل في الفلسفة ولاهوتية، تعلم من فلسفة العرب أي من الغزالي، ابن سينا وشروح ابن رشد والفرابي...[2].

[1]- ينظر: المرجع نفسه، ج1،ص: 117-118.

[2]- ينظر: المرجع نفسه، ج1، ص: 119.

السيرة الذاتية :

فالمفكر العربي علي بن ابراهيم النملة من مواليد مدينة البكيرية في منطقة القصيم بالسعودية عام 1372هـ-1952م هو من أبرز العاملين على المجال الاستشراقي فهو قامة علمية وقمة أخلاقية واجتماعية "فله خمسةوأربعون كتاب منها حوالي عشرين تخص الاستشراق، أكمل دراسته في الجامعة الإمام محمد بن سعودالإسلامية في المملكة العربية السعودية تخصص اللغة العربية، أما في الماجستير فكانت في جامعة فلوريدا الحكومية في الولايات المتحدة الأمريكة تخصص علم المكتبات والمعلومات، وأكمل دكتوراه وفي نفس التخصص، فهو باحث وعمل كعضو في مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية، وكوزير العمل والشؤون الاجتماعية في المملكة العربية السعودية، باحث في الشأن الاستشراقي والتنصيري والعلاقات الفكرية والحضارية بين الشرق والغرب"[1].

[1]- ينظر: علي بن ابراهيم النملة: الشرق والغرب منطلقات العلاقات ومحدداتها، ص: 334.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

- **المصادر والمراجع** :

1.أبو الحسن علي الندوي:الإسلاميات بين كتاباب المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، (ط1).

2.--------: الإسلاميات بين كتابات المستشرقين والباحثين المسلمين، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، (ط3)، ص: 19.

3.أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007.

4.ـــ: الحركة الوطنية الجزائرية 1860م1900م، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2007.

5.ـــ: تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954م، ج4، دار البصائر، الجزائر، 2007.

6.ـــ--: في الجدل الثقافي آراء ومناقشات لقضايا فكرية وثقافية وأدبية، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1993.

7.ـــ: من تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر هجري، ج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

8.أحمد الشيخ: من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب حوار الاستشراق، المركز العربي للدراسات الغربية، 1999، (ط1).

9.أحمد أمين: ضحى الإسلام، ج1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (ط8).

10. أحمد حسن الزيات، تاريخ الأدب العربي، دار النهضة، مصر، (دت)، (ط2).

11. أحمد سمايلوفيتش، فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

12. أحمد شلبي: كيف نكتب بحثا أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية لأصباحها حسين وأولاده، القاهرة، 1967، (ط6).

13. أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصري اللبنانية، مصر، 1996، (ط1).

14. أحمد عزت عبد الكريم: دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة، بيروت.

15. أحمد علي الملا: أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية، دار الفكر، دمشق، 1981، (ط2).

16. أحمد غراب: الاستشراق (رؤية إسلامية)، المنتدى الإسلامي، مطابع أضواء البيان، الرياض.

17. أحمد فؤاد محمود: أضواء على ثقافة الإسلامية، إشبيريا للنشر والتوزيع والدعاية والإعلام، الرياض، (ط1).

18. ـ: كتاب أضواء على الثقافة الإسلامية، مطابع الحميضي، إستبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، 2000، (ط1).

19. أحمد محمود هويدي وآخرون: دليل معلومات الإستشراق والتنصير والدرسات الحضارية، مملكة العربية السعودية، مركز الدراسات الإستشراقية الحضرية، قسم الاستشراق، 2001.

20. أحمد معاذ علوان حقي: نقض دعوى المستشرقين بتحريف القرآن الكريم من خلال المقارنة مع كتب أهل الكتاب.

21. إدوارد سعيد: الاستشراق (المعرفة، السلطة، والانشاء)، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، 1995.

22. ــ: الثقافة والامبريالية، تر: كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، 1997.

23. إسحاق موسى: الاستشراق نشأته وتطوره، أهدافه، مطبعة الأزهر، مصر، 1967.

24. آصف حسين: صراع الغرب مع الإسلام إستعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، تر: مازن امطبقاني، دار الوعي للنشر والتوزيع، مركز الفكر المعاصر، السعودية.

25. ــ: صراع الغرب مع الإسلام إستعراض للعداء التقليدي للإسلام في الغرب، ص: 67.

26. اغناطيوس كراتشكوفسكي: أدب التاريخ والجغرافيا عند العرب، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مراجعة إيفور بليا يف، قسم الأول جامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

27. الأمير كوكاسترو: حضارة الإسلام في اسبانيا، تر: سليمان العطار، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2002م-1423هـ، (ط1).

28. أنور الجندي: أخطاء المنهج الغربي الوافد في العقائد والتاريخ والحضارة واللغة والأدب والاجتماع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الموسوعة العربية، 1974، (ط1).

29. ــ: الفصحى لغة القرآن الموسوعة الإسلامية العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ودار الكتاب المصري، القاهرة، (دت)، (دط).

30. ــ:الفكر العربي المعاصر في معركة التغريب والتبعية الثقافية مطبعة الرسالة، بيروت، 1962.

31. ـ:خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الاعتصام، القاهرة، 1975، (ط1).

32. ـ: سموم الإستشراق والمستشرقين في العلوم الإسلامية، مكتبة التراث الإسلامية، القاهرة.

33. ـ:شبهات التغريب في غزو الفكر الإسلامي، المكتب الإسلامي بقطر، 1978، (د.ت).
34. ـ:طه حسين حياته وفكره في ضوء الاسلام، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، تونس، (دط)، (دت).
35. ـ:كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، 1985.
36. ـــ:محاكمة فكر طه حسين، دار الاعتصام، القاهرة.
37. ـــ: مقدمات العلوم والمناهج، دار الأنصار، شارع عبدين، القاهرة.
38. ـ:تاريخ الغزو الفكري والتغريب خلال مرحلة ما بين الحربين العالميين 1920-1940، دار الاعتصام، القاهرة، 1988.
39. أنيس المقدسي: الفنون الأدبية وأعلامها في النهضة العربية الحديثة، دار العلم للملايين، بيروت، 1970، (ط3).
40. توماس ماستناك: السلام الصليبي، تر: بشير السباعي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2003.
41. جاك بيرك: إعادة القران الكريم، تر: وائل غالي، تقديم: أحمد صبحي منصور، دار التنديم للصحافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1996، (ط1).
42. جورج قنواتي: تاريخ كيمبردج للإسلام، المجتمع والحضارة الإسلامية، تر: خالد أحمد حربي، مج 2، دار الوفاء، الإسكندرية، 2008.
43. حسان حلاق: قضايا العالم العربي، دار النهضة العربية، بيروت.
44. حسن باشا: دراسات في الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، مصر، 1975.
45. خالد أحمد أبوجندي: الجانب الفني في القصة القرآنية منهجها وأسس بنائها، للطباعة والنشر عمار قرفي، الجزائر، (دط)، (دت).
46. خلف الجراد: أبعاد الاستهداف الأمريكي، دار الفكر، دمشق، 2004.
47. رضوان السيد: ثقافة الاستشراق ومصائرة وعلاقات الشرق بالغرب إسهام مهدى لرودي بارت، الفكر العربي، 1983.
48. رواء محمود حسين: نقد الاستشراق، مناقشة حول الكلام والفلسفة، دار ناشري للنشر الإلكتروني.
49. زكارى لوكمان: تاريخ الاستشراق وسياسته، تر: شريف يونس، دار الشروق، مصر، 2007، (ط1).
50. زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، القاهرة، 1982، (ط7).
51. ـــ: تجديد الفكر العربي، دار الشروق، 1980.

52. زيغريد هونكا: شمس العرب تسطع على الغرب، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت.
53. زين الدين العابدين الركابي: الأدمغة المفخخة في مناقشة هذا المفهوم، غيناء للنشر، الرياض، 2003.
54. ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، ج1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2001، (ط1).
55. سالم المعوش: الأدب العربي الحديث، نماذج ونصوص، دار النهضة العربية، بيروت، 2011، (ط2).
56. سعد الدين السيد صالح: احذروا الأساليب الحديثة في مواجهة الإسلام، مكتبة رحاب، الجزائر.
57. السعيد الورقي: في مصادر التراث العربي، دار المعرفة الجامعية، 2013.
58. شارل بلا: تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب ابن وناس صالح حزم، الطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، (ط1).
59. شفيق البقاعي: أدب عصر النهضة، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، (ط1).
60. صلاح الدين المنجد: الألمان تراجمهم وما أسهموا به في الدراسات العربية،ج1، دار الكتاب الجديد، بيروت، 1987، (ط1).
61. صلاح عبد الرزاق: المفكرون الغربيون المسلمون، دوافع اعتناقهم الإسلام، ج2، دار الهادي، بيروت، 2005.
62. طاهر أحمد مكي: في الأدب المقارن (دراسات نظرية وتطبيقية)، دار المعارف، القاهرة، 1988، (ط1).
63. طه حسين: الأيام، ج3، مطبعة المعارف، مصر، 1942.
64. ــ: الفتنة الكبرى، دار المعارف، مصر.
65. ـ: حياته وفكره في ميزان الاسلام، دار الاعتصام، القاهرة.
66. ــ: خصام ونقد، دار الملايين، بيروت، 1985، (ط2).
67. الطيب ابن إبراهيم: الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع، الجزائر، 2004، ص: 34.
68. عابد بن محمد السفياني: المستشرقون ومن تابعهم وموقفهم من ثبات الشريعة وشمولها دراسة وتطبيق، دار المنارة، 1996، (ط2).

69. عادل الالوسي: التراث العربي والمستشرقوندراسة عن ظهور الكتاب العربي، ونفائس الكتب العربية الي طبعت في الغرب، دار الفكر العربي، القاهرة، 2007، (ط1).

70. عبد الجليل عبده شلبي: صور إستشراقية، الكتاب الأول سلسلة البحوث الإسلامية، 1398-1978.

71. عبد الجليل مرتاض: فيرحاب اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007، (ط2).

72. عبد الحميد صالح حمدان: طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، (دط)، (دت).

73. عبد الرحمن بدوي: دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، بيروت، 1979.

74. ـ: شخصيات قلقة في الإسلام، دار الكتاب المصري، 1946، (ط1).

75. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها (التبشير، الاستشراق، الاستعمار)، سلسلة 2، دار القلم، دمشق، 2000، (ط8).

76. عبد الرحمن خرشي: فلسفة الاستشراق وأثرها في الصراع الحضاري، دار هومة، الجزائر، 2013.

77. عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، دار الجيل، بيروت.

78. عبد القادر العماري: من أجل الإسلام، دار الضياء للنشر والتوزيع، مطبعة النور، الأردن.

79. عبد القهار داوود الله العاني: كتاب الاستشراق والدراسات الإسلامية، دار الفرقان، عمان، 2001، (ط1).

80. عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2006، (ط5).

81. عبد الله محمد الأمين النعيم: الاستشراق في السيرة النبوية دراسة تاريخية، دار الفكر، دمشق، 2008، (د،ط).

82. ـ: الإستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سلسلة الوسائل 199 الجامعية، العدد 21، 1996، (ط1).

83. عبد المتعال الجيرى: الاستشراق وجه الاستعمار الفكري، مطبعة المدني، القاهرة، 1995، (ط1).

84. عبد عبود: الأدب المقارن مشكلات وأفاق، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.

85. عصام سخنيني: المستشرقون ومصطلحات التاريخ الإسلامي، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2007، (ط1).

86. عقيلة حسين: المرأة المسلمة والفكر الاستشراقي، مؤسسة فؤاد بعنو للتجليد، دار ابن حازم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، 2004.

87. علي بن ابراهيم النملة: كنة الاستشراق، المفهوم، الأهداف، الارتباطات، بيسان للنشر والتوزيع، لبنان، 2011، (ط3).

88. ــ: الاستشراق السياسي وصناعة الكراهية بين الشرق والغرب، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2015، (ط5).

89. ـ: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1983، (ط1).

90. ــ: الاستشراق في الأديان العربية، دار فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، 1993.

91. ــ: الاستشراق والدراسات الإسلامية، مصادر المستشرقين ومصدريتهم، مكتبة التوبة، الرياض، 1998.

92. ــ: الشرق والغرب، منطلقات العلاقات ومحدداتها، بيسان للنشر والتوزيع، بيروت، 2010، (ط3).

93. ــ: المصطلح في الفكر العربي، الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، الرياض، 2001.

94. ــ: مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف، بيروت، 2016، (ط1).

95. ــ: مصادر المعلومات عن الاستشراق والمستشرقين، إستقراء المواقف، سلسلة 2، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1993، (دط).

96. ــ: نقد الاستشراق والمستشرقين في المراجع العربية، بيسان للنشر والتوزيع، 2001، (ط1).

97. عبد الرحمن عميرة: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير، دار الجيل بيروت.

98. علي جريشة، محمدشريف زبيق: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة.

99. علي عبد اللطيف أحميدة: ما بعد الاستشراق "مراجعات نقدية في التاريخ الاجتماعي والثقافي الحضاري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009، (ط1).

100. عمر الخطيب: لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998، (ط14).

101. عمر فروح: بحث الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، العدد 1.

102. فاروق عمر فوزي: الاستشراق والتاريخ الإسلامي في القرون الإسلامية الأولى، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، (ط1).

103. فاطمة هدى نجا: نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس، لبنان.

104. فالح بن محمد فالح الصغير: الاستشراق وموقفه من السنة النبوية، (دط)، (دت)، ص: 11.

105. فريد حجا: كتب أنصفت حضارتنا، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1977.
106. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: أمين فارس، الأنيس، الجزائر، 2012.
107. لامبرتور برينالو: تاريخ الأدب العربي في صقلية، منشورات الجامعة الأردنية، كلية الأدب، عمان.
108. لويس ماسينيون، مصطفى عبد الرزاق: التصوف، تر: إبراهيم خور رشيد، عبد الحميد يونس، حسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة، لبنان، 1984، (ط1).
109. لويس نافع: حضارة أوربا، تر: ميشل أزرق، دار الطليعة، بيروت، 1979، (ط1).
110. مازن صالح مطبقاني: الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مؤسسة عالم الأفكار، الجزائر، 2011، (دط).
111. مالك بن نبي: إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الرشاد، بيروت، 1969، (ط1).
112. ـــ: مشكلات الحضارة، تر: عمر كامل سقاوي، عبد الصبور شاهين، شروط النهضة القدس، دار الفكر، سوريا، 2009.
113. محمد إبراهيم الفيومي: الاستشراق رسالة استعمار "تطور الصراع الغربي مع الإسلام"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1993.
114. ـــ: الاستشراق في ميزان الفكر الإسلامي، سلسلة 3، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994.
115. محمد أبو ليلة: القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي، دراسة نقدية تحليلية، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2002، (ط1).
116. محمد أركون: الفكر العربي، تر: عادل العوا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، (ط2).
117. محمد البهي: الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة: مكتبة وهبة، القاهرة، 1981، (ط1).
118. محمد ألتونجي: الآداب المقارنة، دار الجيل، بيروت، 1995، (ط1).
119. محمد الخير عبد القادر، الاسلام والغرب (دراسة في قضايا الفكر المعاصر)، دار الجيل، دار السودانية، بيروت، الخرطوم، 1991، (ط1).
120. محمد الدسوقي: الفكر الاستشراقي، تاريخه وتقويمه، المنصورة، دار الوفاء، 1995.
121. محمد الدعمي، الاستشراق الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الإسلامي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، 2006.

122. محمد حسين علي الصغير: المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1986، (ط2).

123. محمد حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المعارف، (د ط)، (د ت).

124. محمد خليفة حسن: آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية، عين الدراسات الانسانية والاجتماعية، القاهرة، 1997، (ط1).

125. محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي في دراسة التاريخ وتفسير سلسلة دفاع عن التاريخ الإسلامي، قسم الثقافة الإسلامية، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية.

126. محمد عبد المنعم خفاجي: خلود الإسلام، دار الشهاب، باتنة، 1986.

127. محمد عويني عبد الرؤوف: تاريخ الترجمة العربية بين الشرق العربي والغرب الأوروبي، مكتبة الآداب، القاهرة، 2008، (ط1).

128. محمد فتاح العليان: أضواء على الاستشراق، دار البحوث، الكويت، 1400هـ.

129. محمد فتح الله الزيادي: الاستشراق أهدافه ووسائله، دار قتيبة، بيروت، 2002، (ط2).

130. ـ: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، ليبيا، 1983، (ط1).

131. محمد محمد داود: المعجم الوسيط واستدراكات المستدركين، دار الغريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2007.

132. محمد مفيد الشوباشي: رحلة الأدب العربي لأوربا، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، القاهرة.

133. محمد ياسين عربيي: الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، سلسلة الدراسات نقد العقل التاريخي، الرباط، 1991، (ط1).

134. محمود المقداد: تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، كتاب عالم المعرفة، العدد 167، سلسلة يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، نوفمبر 1992، ص: 21.

135. محمود حمدي زقزوق: الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، (ط2).

136. محمود درابسة: الاستشراق الألماني المعاصر والنقد العربي القديم، دار جرير للنشر والتوزيع، الأردن، 2010، (ط1).

137. محمود محمد شاكر، رسالة في الطريق إلى ثقافتين جدة، دار المدني، 1407هـ.

138. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم، دار السلام، دار الوراق، مصر، 1998، (ط1).

139. منذر معاليقي: الاستشراق في الميزان، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، عمان، 1997، (ط1).

140. مهدي عامل: هل القلب للشرق والعقل للغرب، ماركس في استشراق، ادوارد سعيد، 2006، (ط3).

141. موسى ربايعة: مرايا الاستشراق الألماني المعاصر والشعر العربي القديم، دار جرير، عمان، 2008.

142. مؤمن الهباء: لابد من دين الله...لدينا الناس، التنوير، لا لتضليل، سلسلة 3، الناشر، مكنة وهيبة، القاهرة، 1994، (ط1).

143. ميشال جحا: مجلة الاستشراق، موقف العرب من المستعمرين العدد الأول، 1987.

144. ناديا أنجيليسكو، الاستشراق والحوار الثقافي، الشارقة، دار الثقافة والاعلام، 1999.

145. نجيب العقيقي: المستشرقون، ج1، دار المعارف، القاهرة، 1985.

146. نديم الجندي أثر الاستشراق في الفكر العربي المعاصر، عند إدوارد سعيد، حسن حنفي، عبد الله العروي، دار الفارابي، بيروت، 2005.

147. نذير حمدان: الرسول صلى الله عليه وسلم في كتابات المستشرقين، دار المنارة للنشر والتوزيع، السعودية، 1986، (ط1).

148. نور الدين مسعودان: مالك بن نبي حياة وآثار شهادات ومواقف، دار النون، (دط)، (دت).

149. هادي المدرسي: لئلا يكون صدام حضارات، الطريق الثالث بين الإسلام والغرب، دار الجديد، 1996.

150. وفاء مرزوق: الاستشراق الجديد، صراع مصالح أم حوار حضارات، ثقافيات إلكترونية، 2014.

151. يحي الشامي: من أعلام الفكر العربي، طه حسين أديب وناقد، دار الفكر العربي، بيروت، (ط1)، (دت).

152. يوسف القرضاوي: الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مكتبة رحاب الجزائر، 1988، (ط13).

153. يوهان فوك: تاريخ حركة الاستشراق، نقله إلى الألمانية عمر لطفي العالم، دار المدار الإسلامي، بيروت، دار الكتب الوطنية ، بنغازي، 2001، (ط1).

- **المعاجم والموسوعات:**

1. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، تج: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج1 (د.ط)، (د.ت)، مادة، شرق.
2. ابن منظور: لسان العرب، المجلد الخامس، دار الكتب العلمية، بيروت، 2005، (ط1).
3. تأليف جماعة من كبار اللغويين العرب: معجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والعلوم، الجامعة العربية.
4. عبد الرحمن بدوي: موسوعة المستشرقين، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
5. ـ: موسوعة المستشرقين، دار الملايين، بيروت، 1993، (ط3).

- **المجلات والدوريات:**

1. ايناش حسني: الاستشراق وحضارة الشرق، مجلة دبي الثقافية، دار الهدي، الامارات العربية المتحدة، العدد 62، 2020، (ط1).
2. جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان، صراع الحضارات بين العولمة الغربية وبعث الإسلامي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، الرياض، 1431هـ، (ط1).
3. زكي مبارك: مجلة الهلال نفع المستشرقين أكثر من ضررهم، العدد 03، 1993.
4. ساجدة عمر فوزي: مجلة المؤرخ العربي حول طبيعة الاستشراق سنة 1980، العدد 14.
5. سعد بوفلاقة: الاستشراق والمستشرقون بين الانصاف والتجني، مجلة بونة للبحوث والدراسات، العدد 03، 2005.
6. فاضل الربيعي: خطاب النخبة الثقافية العربية، وأساطير ما بعد الاستشراق، مجلة الجزيرة الثقافية، العدد 175.
7. مجلة المعيار: دورية محكمة تعني بالدراسات الإسلامية والاجتماعية، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، العدد 10، سبتمبر 2005.
8. محمد الدسوقي: مجلة الحضارة الإسلامية، تقويم الفكر الاستشراقي، دار الغرب للنشر والتوزيع، العدد 7، وهران، 2001.
9. محمد القاضي: الاستشراق بين الانصاف والاجحاف، مجلة التاريخ العربي (المغرب)، العدد 26، 2003.
10. محمد كامل عباد: صفحات من تاريخ الاستشراق، مجلة العلمي العربي، ج1، 1960.
11. محمد كرد علي: المستعربون من علماء المشرقيات، مجلة المجمع العلمي العربي.

12. مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج5، 1985، (ط1).
13. المنطقة العربية للتربية والثقافة والعلوم: التراث الحضاري العربي الإسلامي خارج الوطن، تونس، 1991.
14. ناصر علي: مجلة الجدلية الاجتماعية، نقلا عن مقال الاستشراق في أزمة، لأنور عبد المالك، باريس 1971.

1المواقع الإلكترونية:

- أيمن شرف: الاستشراق مع المعرفة ،حين تصبح سلطةhttp://www.islamotine.net
- عبد العظيم ديب: الاستشراق في الميزان http://www.forumragheem.net

فهرس
الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة .....أ-ج

الفصل الأول: ماهيةالاستشراق

أولا: مفهوم الاستشراق..... 5

1- تعريف الإستشراق (لغة واصطلاحا) **5**

ثانيا: التأصيل التاريخي لظاهرة الاستشراق 9

1- المرحلة الأولى.....11

1-2- المرحلة الثانية.....12

ثالثا: دوافع الاستشراق 14

1- الدافع الديني..... 14

2- الدافع الاستعماري 15

3- الدافع العلمي..... 16

4- الدافع السياسي 17

رابعا: وسائل الاستشراق..... 20

توطئة..... 20

1- إنشاء الجمعيات العلمية الاستشراقية..... 20

2- المؤتمرات والندوات العلمية والمخطوطات 21

3- المعاجم والموسوعات 23

خامسا: مراحل الاستشراق 29

1- المرحلة الأولى: مرحلة النشأة والتكوين 29

2- المرحلة الثانية: مرحلة التقدم 29

3- المرحلة الثالثة: مرحلة الانطلاق..... 30

سادسا: أهم المدارس الاستشراقية..... 31
1- المدرسة الفرنسية..... 31
2- المدرسة الانجليزية 34
3- المدرسة الألمانية..... 35
سابعا: اهتمام المستشرقين بالثقافة العربية 41
1- الاهتمام بتاريخ ولغات وآداب العرب 41
2- الاهتمام بقضايا الإسلام (القرآن الكريم والسنة النبوية): 41
ثامنا: أهداف الاستشراق..... 47
1- الهدف الديني 51
2- الهدف العلمي 53
3- الهدف السياسي 56
4- الهدف الاستعماري..... 57
5- الهدف الاقتصادي والتجاري 58
6- الهدف الثقافي..... 58
تاسعا: مظاهر الاستشراق في الثقافة العربية..... 59
1- في الأدب العربي..... 59
2- ترجمة التراث العربي الإسلامي..... 59

الفصل الثاني: الاستشراق في رأي المؤيدين والرافضين

توطئة..... 64
أولا: الرؤية العربية الرافضة للاستشراق 65
ثانيا: أنور الجندي وموقفه من الاستشراق 80
1- ارتباط الاستشراق بالتبشير من وجهة نظر أنور الجندي 82
ثالثا: مالك بن نبي الرافض والداعي إلى التحصين 87
رابعا: محمود محمد شاكر وموقفه من الاستشراق 91

خامسا: إدوارد سعيد والظاهرة الاستشراقية 93
سادسا: تلخيص كتاب الاستشراق (السلطة، المعرفة، الإنشاء) لإدوارد سعيد 101
سابعا: موقف القبول المطلق للاستشراق..... 105
ثامنا: محمدخليفة حسن ونظرته للاستشراق 114
تاسعا: دعوة طه حسين لإتباع أراء المستشرقين ومساندة أفكارهم..... 117
عاشرا: حقيقة الاستشراق عند نجيب العقيقي..... 123

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية لموقف علي بن إبراهيم النملة من الاستشراق في كتابيه "كنه الاستشراق" و"مسارات الاستشراق من الالتفات إلى الالتفاف"

توطئة..... 131
أولا: نظرة علي بن إبراهيم النملة لمصطلح الاستشراق..... 141
1- منهجيته في دراسة الاستشراق 141
ثانيا: في مواجهة الاستشراق بالاستغراب 156
1- تعريف الاستغراب 158
ثالثا: رؤية علي بن إبراهيم النملة للتنصير وعلاقته بالاستشراق..... 170
رابعا: علاقة الاستشراق بالنظام السياسي أو "ما يسمى بالاستشراق السياسي" 175
خاتمة..... 180
الملاحق: السير الذاتية لبعض المستشرقين 182
ملحق :السيرة الذاتية للمفكر علي بن ابراهيم النملة 183
قائمة المصادر والمراجع..... 201
فهرس الموضوعات 213

الملخص

الملخص:

مثل الاستشراق تيارا فكريا، في الدراسات المختلفة عن بلاد الشرق والبحث عن علومه وعقائده وآدابه وثقافته فأسهم في صياغة التصورات الغربية، على العالم العربي الإسلامي واحتل حيزا مهما من تاريخ البشرية ومن الحياة العربيةالإسلامية، فقد درس الاستشراق الثقافة العربية، من جميع جوانبها.

فقد اهتم المستشرقون بدراسة آدابنا العربية ورأوا فيها أمرا حتميا لفهم حياتنا ونشاطنا، وفنوننا ويمكن إرجاع هذا الاهتمام إلى أسباب عديدة أولها صلة هذا الأدب بالإسلام، وأثره على الآداب المختلفة فالأدب العربي متصل بالقرآن الكريم والفكر العربي الإسلامي عامة، ونظرا للأهمية البالغة للاستشراق وأبعاده الفكرية والتاريخية وتأثيره على حضارتنا، فقد تضاربت أراء المفكرين والأدباء العرب اتجاهه فانقسموا على أنفسهم بين الرافضين والمؤيدين له ولكل فريق مبرراته المنطقية، واخترت علي بن ابراهيم النملة كنموذج تطبيقي لعرض رأيه ومعرفة نظرته اتجاه الاستشراق .

الكلمات المفتاحي:الاستشراق- العرب- الثقافة- الغرب-المستشرقون.

Resumé

L'orientalisme a représenté un courant intellectuel dans les diverses études des pays de l'Est et la recherche de ses sciences, croyances, littérature et culture. Il a contribué à la formulation des perceptions occidentales du monde arabo-islamique et a occupé une partie importante de l'histoire humaine et La vie arabo-islamique L'orientalisme a étudié la culture arabe, sous tous ses aspects. Les orientalistes s'intéressaient à l'étude de notre littérature arabe et la considéraient comme une question inévitable pour comprendre nos vies, nos activités et nos arts. Sur notre civilisation, les opinions des penseurs et des écrivains arabes s'opposaient à ce sujet, alors ils se sont divisés entre ceux qui rejettent lui et ceux qui le soutiennent, et chaque groupe a ses justifications logiques, et j'ai choisi Ali bin Ibrahim Al-Namlah comme modèle appliqué pour présenter son opinion et connaître sa vision de l'orientalisme.

Mocts clé :Orientalisme - Arabes - Culture - Occident - Orientalistes

Abstract :

Orientalism represented an intellectual flux in different studies made about the countries of the oreint and, the research about its sciences, beliefs, and literature.

It contributed in the shaping of views of the west on arab and Muslim world and it occupied an important part in the human and the arab and Muslim life so the Orientalism studied arab culture from all its sides.

Orientalists were interested in the study of our arab culture and saw that it was an absolute matter to understand our life, art and we can refer this interest to many causes firstly the relation of this litrature with islam and its impact on different literatures the arab literature is related to coran and the muslim and arab intellect in general and because of the great importance of orientalism and its intellectual and historical dimensions and ist influece on our ciolization arab intellectuals and which had different point of views towarads it they were grouped into those who accepted it and those who refused and each of the groups had his own logical justifications.

I have chosen Ali Ben Brahim el Namla as a pratical prototype to show his opinion and know his point of view towards orientalism.

Keys words :Orientalism - Arabs - Culture - West – Orientalists.